مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة واثنان وعشرون - ذو القعدة ١٤٤٤ هـ / جون (حزيران - يونيو) ٢٠٢٣ م

تقويم الصحة بالأسباب الستة

ابن بطلان: المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي، أبو الحسن ٤٥٨ هـ نسخة مكتبة كوبريلي

taqwim alsihat bial'asbab alsita
abn batlan : almukhtar bin alhasan bin eabdun albaghdadii , `abu alhasan 458 hu
copy maktabat kubrili

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسمٍ وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطِّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ---------- الاسم الكامل :

Institution ---------- المؤسسة :

Address ---------- العنوان :

P.O. Box : ---------- صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ---------- التوقيع : Date : ---------- التاريخ :

مركـــز جمعـــة المـــاجـــد للثقـــــافة والتـــــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،
فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٢٢) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.
راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.
مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا
و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (122). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك
Subscription Order Form

☐ One Year سنة

☐ More Than One Year أكثر من سنة

☐ of Years عدد السنوات

للأعداد : ---------- Issues

عدد النسخ : ---------- of Copies:

ابتداء من تاريخ : ---------- Subscription Date :

☐ Check شيك

☐ Bank Draft حوالة مصرفية

☐ Postal Draft حوالة بريدية

التاريخ : ---------- Date :

التوقيع : ---------- Signature :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

دبي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثانية والثلاثون : العدد مائة واثنان وعشرون ـ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ / جون (حزيران ـ يونيو) ٢٠٢٣ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير

د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الخطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

الرعاية الحثيثة للمخطوطات النادرة وحفظ الكنوز الثقافية والعلمية

سكرتير التحرير ٤

المقـالات

فصل الخطاب في فواصل الآي والكتاب ((دراسة موضوعية تحليلية))

د. سليمان آيدن ٦

أدب تقريظ الكتب في التراث العربي

د. إسلم بن السبتي ٤٩

رواية الشّعر في ميزان النّقد الأدبيّ عند العرب

أ.د. وليد إبراهيم القصّاب ٧١

المؤرخ شـاكر صابر الضابط، ومنهجَه في كتابة التأري

أ.د. سمير عبد الرسول العبيدي ٨٨

الإبل في الأندلس

أ.د. عبد السلام الجعماطي ١٠٧

تحقيق المخطوطات

جوابٌ عن سؤالِ مَن حَلَّ الطاعون بِبَلَدهم

تأليـف العلامـة أبـي العبـاس أحمد بـن مبارك السجلماسي اللمطي (ت: ١١٥٦هـ)

تقديم وتحقيق

د. علي قاسمي ١٢٧

رسالة الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ في العَلاقَاتِ المَجَازِيَّةِ لمحمَّـد بن عليٍّ الصَّبَّان الشَّـافعيِّ الأزهريِّ (ت: ١٢٠٦ه) دراسةً وتحقيقًا

د. مهنَّد عمر رنَّة ١٥٣

الملخصات ١٩٤

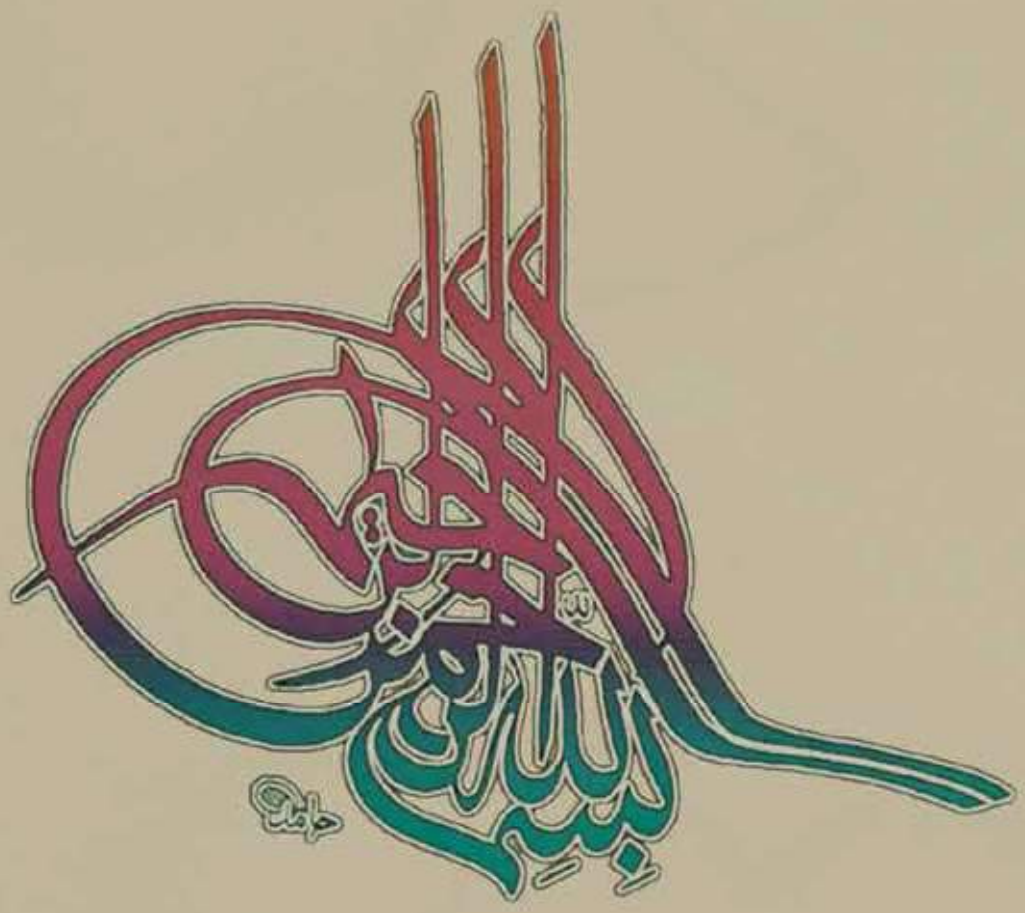
بسم الله الرحمن الرحيم

الرعاية الحثيثة للمخطوطات النادرة وحفظ الكنوز الثقافية والعلمية

للمخطوطات أهمية كبيرة في الحفاظ على التراث الثقافي والعلمي للمجتمعات. فهي تمثل بذلك جزءًا هامًا من الذاكرة الجماعية للمجتمع. وتنقل جوانب من الفكر والثقافة والفنون والتاريخ للأجيال السابقة ولذلك، فإن الحفاظ على هذه المخطوطات يعد أمرًا ضروريًا للحفاظ على الهوية الثقافية للشعوب وتطويرها. ولذلك، فإن الحفاظ عليها ونشرها يعد من الأمور الحيوية والضرورية للحفاظ على التراث الثقافي.

وتشمل المخطوطات كل ما يتعلق بالكتابة اليدوية، بما في ذلك الأوراق الورقية والرقائق المعدنية والرقائق الجلدية والألواح الخشبية والألواح العاجية والأواني الفخارية وغيرها. ويمكن أن تحتوي المخطوطات على العديد من الموضوعات، مثل العلوم والفنون والدين والأدب والتاريخ.

ويتطلب الحفاظ على المخطوطات جهودًا كبيرة؛ حيث يجب تخزينها بعناية وصيانتها بشكل دوري. كما أن عمليات الحفظ والصيانة يجب أن تتم بما يحقق أعلى معايير الأمان والحفاظ على الخصوصية، حتى يتمكن الجميع من الاستفادة من هذه المعلومات.

ومن الجدير بالذكر أن النشر الرقمي للمخطوطات يعد أيضًا أمرًا ضروريًا للحفاظ على هذه المعلومات وتوفير الوصول إليها لأكبر عدد ممكن من الباحثين، ومع ذلك، فإن نشر المخطوطات يواجه العديد من التحديات. ومن أبرز هذه التحديات هي صعوبة تحويل المخطوطات إلى شكل رقمي قابل للتحميل والتوزيع، وكذلك صعوبة الوصول إلى المخطوطات الأصلية وحمايتها من العوامل الطبيعية والبشرية التي يمكن أن تتسبب في تدهورها أو تدميرها. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يجب معالجة المخطوطات بحرص واهتمام لتفادي التغيير في النص أو فهمه بشكل خاطئ، وهذا يتطلب معرفة خبراء اللغة والأدب والتاريخ.

ومن أجل تجاوز هذه التحديات، يتم استخدام تقنيات حديثة في نشر المخطوطات. فمن خلال

استخدام التقنيات الرقمية والتصوير المتطور والنسخ المتوافق مع المعايير الدولية، يمكن تحويل المخطوطات الورقية إلى ملفات رقمية قابلة للتحميل والتوزيع عبر الإنترنت. وكذلك، يتم تطوير برامج الذكاء الاصطناعي لمعالجة الخط اليدوي وتحويله إلى نصوص رقمية دقيقة.

وقد تمتع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث والقائمين عليه بالحس الفطري اللازم لإدراك أهمية المخطوطات القيمة، وقد وجّه معالي جمعة الماجد جهودًا جبارة في جمع تلك النوادر الثمينة، وإعادة ترميمها وحفظها بكل حرص، بهدف الاستفادة منها والإسهام في نشر الثقافة والمعرفة. ولتجسيد هذا الهدف الرفيع، تقوم مجلة آفاق الثقافة والتراث بنشر المخطوطات النادرة المحققة في كل أعدادها، وتعكس بذلك مدى إدراكها للأهمية الكبيرة التي تحملها هذه النوادر، والكنوز المعرفية التي تضمها.

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

الرعاية الحثيثة للمخطوطات النادرة وحفظ الكنوز الثقافية والعلمية

فصل الخطاب في فواصل الآي والكتاب

((دراسة موضوعية تحليلية))

Süleyman AYDIN
Assoc. Dr., Yalova University,
Faculty of Islamic Sciences,
Department of Tafsir, Yalova/Turkey

الحمد لله الذي أنزل كتابًا وجعله قولًا فصلًا وخطابًا مفصلًا، والصلاة والسلام على نبيه الذي آتاه الحكمة وفصل الخطاب وجعل قوله وفعله فصلًا فاصلًا وعلى آله وصحبه الأخيار الذين رزقوا إدراك ما في فواصل الآيات القرآنية من أسرار وحكم، وعلى من اهتدى بهديهم وسار على نهجهم إلى يوم النبأ والدين.

أما بعد: فهذا البحث في شرح القواعد التي تتعلق بفواصل الآيات ودلالاتها في القرآن الكريم والتي استخلصناها من كتب أصول العلوم القرآنية والتفسيرية وغيرها والحديثية واللغوية والعقلية، وهو من أهم مباحث علوم القرآن وأصول التفسير، فأردتُ أن أكتب فيه على منهج البحث العلمي الأصيل الموصل في بحث لا يخلو من إضافة جديد أو جمع متفرق من صحيح وتحقيق ما كتب فيه الأولون من علمائنا الكرام والباحثين أو شرح مغلق أو تصحيح قول أخطأ فيه قائله أو ناقله أو اختصار طويل أو إتمام ناقص أو ترتيب مختلط، فكتبته رجاء أن يُنتفع به، فرتبته على تقديم ومقدمة ومبحث وخاتمة.

أما التقديم فقد جعلته على خطبة البحث ومحتوياته.

وأما المقدمة: في بعض مبادئ علم فواصل الآي، وفيها ثلاث مسائل.

١. المسألة الأولى: معنى الفواصل لغةً واصطلاحاً.

٢. المسألة الثانية: آراء العلماء والباحثين في فواصل القرآن ووجود السجع في القرآن الكريم.

٣. المسألة الثالثة: بيان فضل هذا العلم وأهميته.

مقالات

وأما المبحث: ففي بيان أقسام الفواصل القرآنية ومعانيها ودلالاتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أَقسام الفواصل القرآنية وأَنواعها.

المطلب الثاني: بيان صور الفواصل القرآنية.

وأما الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

المقدمة

بعض مبادئ علم فواصل الآي

وفيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: بيان معنى الفواصل لغةً واصطلاحًا.

المسألة الثانية: آراء العلماء والباحثين في فواصل القرآن ووجود السجع في القرآن والمقصود به.

المسألة الثالثة: بيان الطريق إلى معرفته.

المسألة الرابعة: بيان فضل هذا العلم وأهميته.

المسألة الأولى: بيان معنى الفواصل لغةً واصطلاحًا

السجع لغة: هو الاستواء والاستقامة والإشباه مِن: سَجعَ، يسجعُ، سَجَعًا، أيْ: استوى واستقام وأشبَهَ بعضَه ويُقال: سَجَعُ الحمامُ أيْ: هَدَلَ على جهة واحدة، وسجع الرجل أيْ: تكلّمَ بكلام مُقفّى غير موزون.(١)

السجع اصطلاحًا: هو توافق الفاصلتين أو الحروف الأخيرة في مواضع الوقوف من النثر أو الشعر على حرف واحد. وهو كالقافية في الشّعر، وهذا يعني أنّ اتفاق الكلمتين في الحرف الأخير يُسمى سجعًا، والكلمة سجعة، ويُطلق عليها قرينة لمقارنتها الكلمة الأخرى، وقد تُسمّى فِقرة، ويأتي السجع في الكلام على أربعة أنواع وهي: السجع المرصّع، والسجع المتوازي، والسجع المُطرّف، والسجع المَشطُور. وقيل: خمسة أنواع، كما يُقسم السجع في اللغة العربية بحسب الطول والقصر إلى نوعين إمّا قصيرًا وإما طويلًا، وهو من أنواع البديع اللفظي.(٢)

الفَاصِلَة لغة: تأتي على معانٍ منها:

أنها: خَرَزَة خاصَّة تفصِلُ بين الخرزتين في العِقد ونحوه، وأنها: العلامةُ في حساب الكسور العشْرية تكتب بين الكسر والعدد، وأنها: في علم العروض ثلاثة أَحرف متحركة يلِيهَا حرف ساكن، مثل: كتبَتْ، وهي الصغرى، وأَربعة أحرف متحركة يليها حرف ساكن مثل: سَمِعَهُمْ، وهي الكبرى والجمع: فَوَاصِلُ، وأنها: فَصْلة أي علامة من علامات الترقيم تُرسم هكذا (،)، وتُوضع بين الجمل المتعاطفة، وبين أنواع الشيء وأقسامه وبعد لفظة المنادى، خرزة تفصل بين الخرزتين في العقد.(٣)

والخلاصة: هي الحاجز بين الشيئين ماديًا كانا أم معنويًا، نقول: فصلت بينهما فصلًا، وانفصل الشيء؛ أي: قطعته فانقطع، ويقال: للقضاء فصل لأنه يفصل بين الحق والباطل. ويقال أيضا لخَرَزَة خاصَّة تفصِلُ بين الخرزتين في العِقد ونحوه فاصلة وهكذا ...

واصطلاحًا: هي الجملة الختامية أو الكلمة الأخيرة التي تنتهي بها الجملة والفِقرة، كقافية الشعر وقرينة السجع وقد فرَّق الرماني (ت: ٣٨٤هـ) بين الفاصلة والسجع، فقال: "الفواصل بلاغة، والأسجاع عيبٌ".[٤]

قال الداني (ت: ٤٤٤ هـ): " الفاصلة هي كلمة آخر الجملة".(٥)وقال الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ): "الفاصلة هي كلمة آخر الآية".(٦) وربط الرُّمَّاني (ت::٣٨٤ هـ) حدَّ الفواصل بتمام المعنى، فقال: "الفواصل حروف متشاكلة توجب حُسن إفهام المعاني".[٧]

قال الجعبري: "وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه ب ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود:١٠٥]، و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف:٦٤] وليسا رأس آي لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية ويلزم أبا عمرو إمالة ﴿مَن أَعْطَى﴾[الليل:٥]".[٨]

وقال القاضي أبو بكر: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"،[٩]وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال: " الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية قال ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود:١٠٥] و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[الكهف:٦٤] - وليسا رأس آيتين بإجماع- مع ﴿إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر:٤] وهو رأس آية باتفاق[١٠]، وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا".[١١]

والخلاصة: الفواصل جمع فاصلة، والفاصلة القرآنية: هي آخر كلمة في الآية أو آخر كلمة فيما تم معناه من الآية، وهي بمثابة السجعة في النثر، وبمنزلة القافية في النظم والشعر، أوهي توافق الفاصلتينِ في فِقْرتين أو أكثر في الحرف الأخير، أو هي توافق أواخر فواصل الجمل ويكون في النثر فقط أو هي ما خُتِمت به الآيات القرآنية من حروف أو كلمات، أو جُمَل تُلخِّص معاني النصوص. وسميت فاصلة؛ لأنها فصلت بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها.

ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى:﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١]، وقوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت:٣]، وتعد الفواصل في القرآن الكريم من أساليبه البلاغية الجميلة، وتراكيبه الرصينة المبدعة.

قال ابن عاشور عن الفواصل : " والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها وتكرر في السورة تكررا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آياته كثيرة متماثلة، تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع. والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون وهي أكثر شبها بالتزام ما لا يلزم في القوافي. وأكثرها

جار على أسلوب الأسجاع. والذي استخلصته أيضا أن تلك الفواصل كلها منتهى آيات ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادرا كقوله تعالى: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ [ص: ١] ، فهذا المقدار عد آية وهو لم ينته بفاصلة، ومثله نادر، فإن فواصل تلك الآيات الواقعة في أول السورة أقيمت على حرف مفتوح بعد ألف مد بعدها حرف، مثل: شقاق، مناص، كذاب، عجاب. وفواصل بنيت على حرف مضموم مشبع بواو، أو على حرف مكسور مشبع بياء ساكنة، وبعد ذلك حرف، مثل: ﴿أنتم عنه معرضون﴾ [ص: ٦٨] ﴿إذ يستمعون﴾ [الإسراء: ٤٧]، ﴿نذير مبين﴾ [الأعراف: ١٨٤]، من طين [الأنعام: ٢]. فلو انتهى الغرض الذي سيق له الكلام، وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام تكون الآية غير منتهية ولو طالت، كقوله تعالى: {قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك} إلى قوله: ﴿وخر راكعا وأناب﴾ [ص: ٢٤] ، فهذه الجمل كلها عدت آية واحدة. واعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز لأنها ترجع إلى محسنات الكلام وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع. فإن قوله تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم بالقوافي والسلاسل يسحبون﴾ [غافر: ٧١] ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ [غافر: ٧٢] ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون﴾[غافر: ٧٣] من دون الله إلى آخر الآيات. فقوله: ﴿في الحميم﴾ متصل بقوله: ﴿يسحبون﴾ وقوله: من دون الله متصل بقوله تشركون. وينبغي الوقف عند نهاية كل آية منها. وقوله تعالى: واشهدوا أني بريء مما تشركون آية. وقوله: من دونه ابتداء الآية بعدها في سورة هود [٥٤]. ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنثر. وإن الفاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة. ومن السذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق فيكون مضيعا لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته. والعلة بأنه يريد أن يبين للسامعين معاني الكلام، فضول، فإن البيان وظيفة ملقي درس لا وظيفة منشد الشعر، ولو كان هو الشاعر نفسه. وفي «الإتقان» عن أبي عمرو قال بعضهم: الوقف على رؤوس الآي سنة. وفيه عن البيهقي في «شعب الإيمان» : الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها اتباعا لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، وفي «سنن أبي داود» عن أم سلمة أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم يقف: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. ثم يقف: ﴿الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١- ٣] ثم يقف".[١٢][١٣].

القاعدة: السجع لغة: هو الاستواء والاستقامة والإشباه واصطلاحًا: هو توافق الحروف

الأخيرة في مواضع الوقوف من النثر أو الشعر على حرف واحد، وهو كالقافية في الشّعر أو هو جمل متساوية تعطي نغمة موسيقية على أذن من يسمعها. الفاصلة: هي علامة حاجزة قد تُوضع فصلة بين الجمل المتعاطفة والأشياء المتماثلة المتشابهة المتعاطفة، وبين أنواع الشيء وأقسامه وبعد لفظة المنادى، أو توضع خرزة بين الخرزتين في العقد وغيره. الجمع : فَواصِلُ.

واصطلاحًا: هي الكلمة أو الجملة الأخيرة التي تنتهي بها الآية كقافية الشعر أو حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها تحسين الكلام وإفهام المعاني.

المسألة الثانية: آراء العلماء والباحثين في فواصل القرآن ووجود السجع في القرآن والمقصود به:

اختلف العلماء في وجود السجع في القرآن فمنهم من قال بعدم وجوده مطلقًا ومنهم من قال بوجوده مطلقًا ومنهم من فصل وهذا هو الفصل المرتضى إلا أن هناك فرقا بينهما ذلك لأمور منها أن المعنى في كلام العرب يتبع اللفظ وأن اللفظ في القرآن يتبع المعنى.

أما القول بعدم وجود سجع في القرآن فقد ذهب إليه الجمهور منهم أبو الحسن الأشعري والأشاعرة كلهم والقاضي أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ - ١٠١٣م) والرماني (٣٨٤هـ/٩٩٤م) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ).[١٤]

وحجتهم في ذلك: لأن أصله من سجع الطير فالقرآن منزه عن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، وأن يشاركه غيره من الكلام الحادث، ولأن القرآن من صفاته تعالى، فهو منزه عن أن يوصف بصفة لم يرد الإذن بها أو أن يوصف بما يوصف به الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السَّجْعِ في الدُّعاء وجعله مذموما فقال "إياكم وسَجْعَ الكُهّان" "أسجع كسجع الكهان".[١٥] قال الأَزهري: إنه، صلى الله عليه وسلم، كره السَّجْعَ في الكلام والدُّعاء لمُشاكلتِه كلامَ الكهَنَة وسجْعَهم فيما يتكهنونه، فأَما فواصل الكلام المنظوم الذي لا يشاكل المُسَجَّع فهو مباح في الخطب والرسائل.

ولأنهم فرقوا بين الفواصل والسجع فقالوا الفواصل بلاغة لكون اللفظ تابعًا للمعنى والسجع عيب لكون المعنى تابعًا للفظ يضطر إليه الشعراء والأدباء لتكون الحروف في مقاطع الفواصل متماثلة. ولأنه لو كان القرآن سجعًا لكان غير خارج عن أساليب كلام البشر والعرب، ولو كان داخلًا فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: سجع معجز، لجاز أن يقولوا: شعر معجز. ولأن العرب لم يُبهَروا بالفاصلة حتى يكون ذلك من إعجازه. ولأن هناك منهجا محفوظًا وطريقًا مضبوطًا للسجع من أخل به وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئًا، ونحن نرى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متداني المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة في ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا في السجع غير

مرضي ولا محمود. ولأنه لو كان السجع محمودا لورد القرآن كله مسجوعا بل نرى ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع. وهذا في السجع غير مرضي ولا محمود لأن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وهو مكلف أن يأتي بالوزن ولو على حساب المعنى. ولأن هناك فرقا بين السجع والفواصل لأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها.[١٦]

وأما القول بوجود سجع في القرآن فقد ذهب إليه المعتزلة والزمخشري (٥٣٨ هـ)، والسبكي (ت: ٧٧١ هـ)، والقاضي الباقلاني (٤٠٣هـ-١٠١٣م) في رأي، والخفاجي (ت:٤٦٦ هـ-١٠٧٣م)، وابن النفيس(ت:٦٨٧هـ-١٢٨٨م).[١٧]

وحجتهم في ذلك: لأن هناك فرقًا بين السجع من القرآن والسجع من كلام العرب لكون اللفظ في الأول تابعًا للمعنى ولكون المعنى في الثاني تابعًا للفظ. أي أن هناك فرقًا بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه وبين أن يكون المعنى منتظمًا دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبًا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى. ولأنه جنس من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما. ولأن العرب انبهَروا بالفاصلة فكان ذلك من إعجازه فالسُّنة النبوية طافحةٌ بالأحاديث الصحيحة التي تُظهِر انبهار العرب بالفاصلة، مثل سماع ابن المغيرة للقرآن، وانبهار العرب بآيات النجم. ولأنه ليس من الفصاحة والبلاغة أن يكون الكلام كله مسجوعًا وذلك أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم وكانت الفصاحة عندهم ألا يكون الكلام كله مسجوعًا لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع لاسيما فيما يطول من الكلام فلم يرد كله مسجوعًا جريا منه على عرفهم في اللطيفة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع.[١٨]

ونقل السبكي (بهاء الدين) صاحب عروس الأفراح (ت:٧٧٣هـ - ١٣٧٢م)، عن القاضي أنه ذهب في كتابه الانتصار للقرآن إلى جواز تسمية الفواصل سجعًا.[١٩]

وقال الخفاجي (ت:٤٦٦ هـ -١٠٧٣م) في سر الفصاحة: " قول الرماني (ت:٣٨٤هـ-٩٩٤م) إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى- وهو غير مقصود متكلف- فذلك بلاغة والفواصل مثله. وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله".[٢٠]

وقال ابن النفيس(ت:٦٨٧هـ-١٢٨٨م): "يكفي في حسن السجع ورود القرآن به ولا يقدح في ذلك خلوه في بعض الآيات لأن الحسن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسن منه".[٢١]

قال حازم: "وكيف يعاب السجع على الإطلاق وإنما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلامهم وإنما لم يجيء على أسلوب

واحد لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما في الطبع من الملل ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثل".[٢٢]

وقال القرطبي: "الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور. ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن الكلام المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن، ويشبه المنثور بالمنظوم، وذلك إخلال بحق المقروء". [٢٣]

وقد جعل أديب الإسلام الرافعي الفواصل القرآنية في جملة الأمور التي أعطت للنظم القرآني جمالاً وإعجازاً، يقول بهذا الخصوص ما حاصله: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن، إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الأصوات، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت، والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم".[٢٤]

واعتبر ابن عاشور كما ذكرنا أن الفواصل القرآنية "من جملة المقصود من الإعجاز".

هذا وإن الناس مبهورون برأي إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حيث قال: "إن العرب لم يُبهَروا بالفاصلة ونفى إعجاز فواصل القرآن".[٢٥] لكن لنا أن نلتمس له العذرَ فنقول:

أولا: "إنه ينفي أن يكون وزن الفاصلة وجهًا مِن وجوه الإعجاز، أما اختيار الكلمة في الفاصلة كأن تختار كلمة يفقهون في الآية، ويعلمون في آية أخرى ...، فهذا يدخل في النظم الذي هو لُبُّ الإعجاز". هذا ما سبقنا إليه فضل عباس (ت: ١٤٣٢ هـ).

ثانيا: إنه يرى أن الفاصلة وجهٌ أساس من وجوه الإعجاز، ولكن إعجازها وبلاغتها ليست من حيث الشكل والسجع كما في الشِّعر، بل في دقة معانيها. وذلك لأننا إذا تتبعنا الدلائل يتبيَّن لنا جليًّا أن الجرجاني يرى أن القرآن الكريم مُعجِز بمعانيه لا شكله فلا يَحفِل بالمظاهر الشكلية للأسلوب؛ كالسجع وغيرها من ألوان البديع، بل يغوص في عمق المعاني.[٢٦]

والتحقيق: إن فواصل القرآن من إعجازه بمعانيها الدقيقة التي تشيعها في مواطنها وسياقاتها، وكذلك هي معجزة بوزنها وصياغتها بل دلائل الإعجاز في الكلمات الفواصل التي تُذيِّل بها نصوصُ القرآن أجلى وأوضح مما ركَّز عليه الجرجاني كثيرًا في دلائله.

ثالثا: قيل: إنه راعى رأى الإمام الأشعري إمام مذهبه العقدي فانتصر له.

والتحقيق: إن السجع أسلوب من أساليب الكلام العربي جاء به القرآن في أكثر آية بكيفية لم يتخيلها الأدباء والبلغاء. ولكن يستحسن أن نسمى ذلك فواصل لكون ما فيها من السجع ممدوحًا ومخالفًا لما في كلام العرب ولكون الإجماع منعقدًا على عدم تسميتها سجعًا وقوافي لأنه تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب

سلب القافية عنه أيضًا لأنها منه وخاصة في الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه حقيقة يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لأنها صفة كتاب الله تعالى فلا تتعداه. أما القول بأنه قدم ما حقه التأخير وما إلى ذلك رعاية للفواصل فوهم ابتلي به كثير ممن نحبهم ونجلهم. بل مجيء التوافق في الفواصل غير مقصود بل جاء تبعًا بل هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم. إلا أننا لا نسمي ذلك سجعًا بل فواصل لأن الفاصلة في القرآن تأتي تابعة للمعنى، وحسب ما يتطلبه المقام، فلا تَحِلُّ فاصلةٌ محلَّ أخرى، فالسجعات نازلة في مواضعها، ملائمة لموقعها، بريئة من التكلف، تَتبعُ فيها الألفاظُ المعاني، فلا نقص ولا زيادة، ولا تَكرار لضرورة السجع.

وبالإضافة إلى الدورِ الإيقاعي الموسيقيِّ للفاصلة القرآنية، فهي تقوم بإحكام المعنى، وإبلاغ معانٍ مقصودة حسب المقام. وإذا كان الإيقاع الصوتي للفاصلة القرآنيةِ يُعطي نغمًا محببًا للنفوس، تلذُّ له الأسماع العربية المجبولة على حبِّ القوافي في الأسجاع والأشعار، فإن للفاصلة القرآنية أغراضًا بلاغية كثيرة. وقد وقف عندها علماءُ الإعجاز على اختلاف مشاربهم وتوجُّهاتهم الفكرية.

والخلاصة: إنه يمكن لنا أن نستخلص ما تقدم في صورة قواعد.

القاعدة الأولى: أن القرآن كلام الله العربي إلا أنه يخالف كلام العرب في الاسم والتسمية وفي المسمى والمضمون. أما المضمون فالقرآن معجز ووجه إعجازه لايحد. فمن وجوه إعجازه رقة الأسلوب والبلاغة والفصاحة، والتشريع العالي الصالح المصلح والسلامة من التناقض والإخبار الصادق عن الماضي والمستقبل والإشارات العلمية الدقيقة. وأما التسمية فقد سمى الله جملته قرآنًا، وبعضه وبعض الآية وآخر الآية فاصلة، علي حين سمى العرب جملة كلامهم قصيدة وبعضها بيتًا وآخر البيت قافية.

القاعدة الثانية: أن هذا القرآن كتاب عزيز فمن وجوه عزته أنه لا يسمى أسماء توهم النقص ولذلك استكره علماؤنا الكرام تسمية ما في آخر الآي من توافق الحروف وجمل متساوية ونغمات موسيقية سجعا واستحسنوا تسمية ذلك فواصل. وحق لهم هذا لأن المعنى في السجع يتبع اللفظ، وفي الفاصلة اللفظ يتبع المعنى. بل هذا مما يقتضيه الإنصاف والأدب والتأدب مع القرآن .

القاعدة الثالثة: هناك خلاف في وجود السجع في القرآن كما في كلام العرب فمن العلماء من قال بعدم وجوده مطلقًا ومنهم من قال بوجوده مطلقا ومنهم من فصل وهو الفصل المرتضى إلا أن هناك فرقًا بينهما ذلك لأمور منها أن المعنى في كلام العرب يتبع اللفظ غالبًا، وأن اللفظ في القرآن يتبع المعنى .ومنها أن السجع في كلام العرب كمال يشوبه عجز ونقص وفي القرآن كمال وإعجاز.

المسألة الثالثة: بيان الطريق إلى معرفته

قال الجعبري: لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي، أما التوقيفي فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة

وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول: فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة وجاز الانتقال في الفاصلة والقرنية وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى ﴿يَرْجِعُون﴾ ﴿عَلِيم﴾ ﴿الْمِيعَاد﴾ ﴿الثَّوَاب﴾، ﴿وَالطَّارِق﴾ مع ﴿الثَّاقِب﴾.[٢٧]

قال: وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام فليس بصحيح بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكررًا ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها فعلى هذا القصد- بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز دون السجع إلى أن قال فبان بذلك أن الحروف الواقعة في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخلها في بابا السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد في الفصاحة على طريقة القرآن انتهى كلام القاضي في كتاب الإعجاز.[٢٨]

هذا وإن مبنى الفواصل على الوقف ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِب﴾ [الصافات:١١] مع تقدم قوله ﴿زُجُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِب ۞ ﴾ [الصافات:٩] و﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِب﴾[الصافات:١٠].[٢٩]

ولنا أن نستخلص ما قاله الجعبري في صورة قاعدة فنقول:

القاعدة: لا طريق إلى معرفة الفواصل إلا النقل الصالح للحجية فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة وأما ما وقف عليه صلى الله عليه وسلم مرة ووصله أخرى فهو محل القياس والاجتهاد.

المسألة الرابعة: بيان فضل هذا العلم وأهميته

لاشك أنَّ هذا العلم إضافة إلى الجهات الثلاث المشهورة قد حاز الشرف لأن الإلمام بأصول

التفسير يتطلب معرفة كثير من العلوم منها هذا العلم لأنه يمكّننا من إدراك المعاني والأسرار والحكم في فواصل كتاب ربنا. ولا يجوز لغير الملم بأصول هذا العلم وفصوله أن يُقدِم على تفسير كتاب الله الذي هو القول الفصل ،لأنَّ قوله يكون هزلًا لا يقدر على الفصل والتفصيل ولا يكاد يبين.

القاعدة: علم فواصل القرآن فضل عالمه فاضل مفضل، جهله خذل، وجاهله خاذل مخذول، وهالك مهلك. فمحرم عليه أن يتكلم في شيء من علم هذا الكتاب الذي فصلت آياته بأنواع شتى من البيان وجعلت فواصله من إعجازه.

المبحث: بيان أقسام الفواصل القرآنية ومعانيها ودلالاتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أَقسام الفواصل القرآنية وأَنواعها.

المطلب الثاني: بيان صور الفواصل القرآنية وما فيها من إحكام ومناسبة وحكم وأحكام.

المطلب الأول: أَقسام الفواصل القرآنية وأَنواعها

أولا: أنواع السجع من حيث الوزن العروضي

قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام مطرف ومتوازي ومرصع ومتوازن ومتماثل.[٣٠]

١. **السجع المرصع:** هو أن يتفقا وزنًا وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلًا لما في الثانية كذلك. وبعبارة أخرى: هو السّجْع الذي تكون فيه الألفاظ في فقرتين أو أكثر على توافق في الوزن العَروضيّ والقافية أو هو السّجْع الذي تتوافق كل كلمات الجملة الأولى أو بعضها مع كل أو بعض من كلمات الجملة الثانية في القافية والوزن. أي أن الكلمات تكون على نفس الحركات مشابهة لحبات اللؤلؤ فكل لؤلؤة يوجد بجانبها ما يشبهها. ومنه قوله تعالى: نحو: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُم ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۞ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦]. ﴿إِنَّ الأَبْـرَارَ لَفِي نَعِيم ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم ۞ ﴾[الانفطار:١٣-١٤]، السّجْع المُرصّع بين: ﴿إِلَيْنَآ-عَلَيْنَا/إِيَابَهُمْ-حِسَابَهُمْ﴾ ﴿الأبرار الفجار/ نعيم جحيم﴾.[٣١]

٢. **السجع المتوازن:** هو السّجْع الذي تتوافق فيه الكلمة الأخيرة في كلّ من الفقرتين بالوزن العَروضيّ، ولا تتوافقان بالقافية. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَة ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة ۞ ﴾[الغاشية:١٥-١٦]. فالسجع هنا بين كلمة مصفوفة وكلمة مبثوثة وهما كلمتان على نفس الوزن، لكن الأولى هي روي الفاء والثانية هي روي الثاء.[٣٢]

هذا وإن بعض العلماء قالوا إن هذا نوع من أنواع العلم البديع أو فرع من فروعه، وأن هناك فرقًا كبيرا بين السجع والموازنة فالسجع لابد أن يكون فيه اتفاق في الروي لكن الموازنة ليست هكذا بل يشترط فيها الاتّفاق في الوزن فقط دون الروي.

٣. **السجع المتوازي:** هو أن يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما في الأولى مقابلًا لما في الثانية في الوزن والتقفية وبعبارة أخرى: هو ما اتفقت فاصلتاه في الوزن ما عدا الحرف الأخير. أو

هو السّجْع الذي تكون فيه آخر كلمة في الفقرتين مُتوافقتين في الوزن العَروضيّ والقافية. وبعبارة أخرى: هو السّجْع الذي اتفقت فيه الفقرتان في آخر كلمتين فقط. وهو عكس السجع المرصع، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۞ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞ ﴾[الغاشية:١٣-١٤]. فالسجع هنا بين {مَّرْفُوعَةٌ-مَّوْضُوعَةٌ} هما كلمتان على نفس الوزن والقافية .[٣٣]

٤. **السجع المطرف:** هو السّجْع الذي تتوافق فيه الكلمة الأخيرة في كلّ من الفقرتين بالقافية، ولا تتوافقان بالوزن العَروضيّ. وبعبارة أخرى: وهو اختلاف الفاصلتين في الوزن، أو هو اختلاف نهايتي الجملة في الوزن، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءهُ الأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ ﴾[عبس:١-٣]. فالسجع هنا بين تولى وكلمة الأعمى ويزكى فهناك تشابه في الحرف الأخير من هذه الكلمات لكن يوجد اختلاف تماما في الوزن. وقوله تعالى: {مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا *}[نوح:١٣-١٤].[٣٤]

٥. **السجع المتماثل:** هو السّجْع الذي يتساوى في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِين ۞ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ۞ ﴾[الصافات:١١٧-١١٨].

فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير. [٣٥]

٦. **السجع المشطور:** هو السّجْع الذي تكون فيه قافيتان في أبيات الشعر فالشطر الأول يكون على قافية والشطر الثاني يكون على قافية مختلفة. وكذلك الأمر في فواصل القرآن تكون فيه قافيتان أو أكثر. ومنه الفاتحة حيث إن السجع في فواصلها مبني ومعتمد على حرف الميم في بعض آياتها وعلى حرف النون في بعضها الأخر.[٣٦]

هذا وان أكثر نوع سجع يظهر في أبيات الشعر هو السجع المشطور، فهو نوع متميز ويتم استخدامه بكثرة في أبيات الشعر المختلفة.

قال الزمخشري في "كشافه القديم":" لا تحسن المحافظة على الفواصل حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مواده فليس من قبيل البلاغة، وبني على ذلك التقديم في { وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون *}[البقرة:٤]،ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص ".[٣٧]

ولنا أن نقسم السجع والفواصل بحسب درجة التماثل في الوزن وغيره إلى متماثلة ومتقاربة متوازنة ومطرفة وتشريعية وتوأمية والتزامية ومنفردة.

١. فواصل متماثلة: وهي أن يتساويا في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي وبعبارة أخرى: هي التي تبلغ درجة التماثل في الوزن، وحرف الروي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِين ۞ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ۞ ﴾ [الصافات:١١٧-١١٨]. فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ

لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۞ ﴾[الشرح:١-٤]. وإذا دققنا النظر نجد أن جزء عم حافل بالأمثلة على هذا القسم في معظم سوره. ويمكن لنا أن نقول هذا هو السجع المرصع.(٣٨)

٢. فواصل متقاربة أو متوازنة: وهي أن يتفقا في الوزن دون التقفية. وبعبارة أخرى: وهي التي تتفق في الوزن دون حرف الروي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۞ ﴾[الغاشية:١٥-١٦]. ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۞ ﴾[التكاثر:٥-٨].ويمكن لنا أن نقول هذا هو السجع المتوازن.(٣٩)

٣. فواصل مطرفة: وهي أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع وبعبارة أخرى: وهي التي تتفق في حرف الروي فقط دون الوزن، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ ﴾[نوح:١٣-١٤]. ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۞ ﴾[العصر:١-٣].

ويمكن لنا أن نقول هذا هو السجع المطرّف بل هذا اسمه عند علماء البلاغة وذاك عند علماء علوم القرآن.(٤٠)

٤. فواصل تشريعية وتوأمية: وهي أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فإذا أسقط منها جزءًا أو جزأين صار الباقي بيتًا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون في النثر بأن يبنى على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تامًا مفيدًا وإن ألحقت به السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ.(٤١)

هذا وإن هذا السجع يسمى تشريعًا والذي سماه توأمًا هو ابن أبي الأصبع.

قال ابن أبي الإصبع: " وقد جاء من هذا الباب معظم الرحمن فإن آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾[الرحمن:١٣].لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فأفاد معنىً زائدًا من التقرير والتوبيخ".(٤٢)

قال السيوطي: " التمثيل غير مطابق والأولى أن يمثل بالآيات التي في إثباتها ما يصلح أن تكون فاصلة كقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞ ﴾[الطلاق:١٢] وأشباه ذلك ".(٤٣)

٥. فواصل التزامية: تسمى لزوم ما لا يلزم هو فنٌّ في الشعر وفي السجع، أو هو أن يلتزم في الشعر، أو النثر حرف، أو حرفان فصاعدًا قبل الروي بشرط عدم الكلفة، أو أن يلتزم فيه الشاعر في الشعر، أو السَّاجع في النثر قبل الحرف الأخير من أبيات قصيدته، أو سجعاته ما لا يلزمه، كأن يكون الحرفان الأخيران متماثلين في كلّ القوافي، أو الثلاثة الأخيرة، أو تكون الكلمات مع ذلك متماثلة الوزن، إلى غير ذلك من التزام ما ليس بلازم في نظام التقفيات.(٤٤)

مثال التزام حرف:﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَر ۞ ﴾ [الضحى:٩].التزم الهاء قبل الراء ومثله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَك ۞ ﴾[الشرح:١] الآيات التزم فيها الراء قبل الكاف. ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّس ۞ ﴾[التكوير:١٥].التزم فيها النون المشددة قبل السين ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَق ۞ ﴾[الانشقاق:١٧]. ومثال التزام حرفين: ﴿وَالطُّور ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُور * فِي رَقٍّ مَّنشُور ۞ ﴾[الطور:١-٣]. ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون ۞ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُون ۞ ﴾[القلم:٢-٣]. ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي ۞ وَقِيلَ مَنْ رَاق ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاق ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاق ۞ ﴾[القيامة:٢٦-٢٩]. ومثال التزام ثلاثة أحرف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُون ۞ ﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢]. قال "عبد القاهر الجرجاني: "لا يَحْسُن هذا النوع إلاَّ إذا كانت الألفاظ تابعةً للمعاني".(٤٥)

٦. فواصل متوازية: هي كالسجع المتوازي الذي قدمناه.(٤٦)

٧. فاصلة منفردة: وهي التي تأتي مختلفة عن النسق المعين للفواصل كلها في ال القرآنية ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ۞ ﴾ [الضحى:١١] [الضحى : ١٠] حيث لا توجد فاصلة على حرف "الثاء" غير هذه الآية في تلك ال، وقوله تعالى أيضًا: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه ۞ ﴾[الانفطار:١٩]. حيث لا توجد فاصلة على حرف "الهاء" في غير هذه الآية في تلك ال. مع ارتباط الفواصل بالمعنى.(٤٧)

قال بعض العلماء إن فواصل القرآن لا تخرج عن القسمين المتماثلة والمتقاربة بل تنحصر فيهما.(٤٨) فالأول مثل قوله تعالى: ﴿وَالطُّور ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُور ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُور ۞ ﴾[الطور:١-٣].(٤٩)

والثاني: مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيم ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّين ۞ ﴾[الفاتحة:٣-٤]. ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد ۞ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيب ۞ ﴾[ق:١-٢].(٥٠)

هذا وإنه قد قيل إن كون فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين سبب من أسباب ترجيح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد الفاتحة سبع آيات مع البسملة وذلك لأن الشافعي المثبت لها في القرآن قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين ۞ ﴾[الفاتحة:٧].. إلخ ال آية واحدة وأبو حنيفة لما لم يقل بكون البسملة من الفاتحة قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] آية و ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين ۞ ﴾[الفاتحة:٧] آية. ومذهب الشافعي أولى لأن فاصلة قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[الفاتحة:٧] لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ورعاية التشابه في الفواصل لازم وقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾[الفاتحة:٧] ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات لكن الخلاف في كيفية العدد. والتحقيق: إن هذا الترجيح مردود لأنه مبني على مردود وهو كون المعنى تابعا للفظ.(٥١)

ثانيا: أنواع السجع حسب الطول والقصر:

١. السجع القصير: هو الذي يكون عدد الألفاظ المسجوعة فيه قليلًا، فهو من أكثر هذه الأنواع الثلاثة صعوبة ولكن أكثرها جودة وأطيبها على السّمع، وأخفُّها على القلب. ومنه قوله تعالى:﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ ﴾[المرسلات:١-٢].(٥٢)

٢. السجع المتوسط: هو الذي يكون عدد الألفاظ المسجوعة فيه متوسطا، أي بين السجع الطويل والسجع القصير. ومنه قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ ﴾[الأعلى:١-٢]. (٥٣)

٣. السجع الطويل :هو الذي يكون عدد الألفاظ المسجوعة فيه كثيرًا أي يكون عدد الألفاظ أكثر من المتوسط ويعتمد على الجمل الطويلة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُور ۞ ﴾[هود:٩].(٥٤)

هذا وإن أحسن السجع ما كان قصيرًا هو ما نقص عن عشر واقله كلمتان، نحو: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّر ۞ قُمْ فَأَنذِر ۞ ﴾[المدثر:١-٢]. والطويل ما زاد على عشر كغالب الآيات، وما بينهما متوسط كآيات القمر.(٥٥)

ثالثا: أنواع السجع والفاصلة بحسب علاقتهما بما قبلهما في النص القرآني هي: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال.

قال ابن أبي الإصبع: " لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال".(٥٦) وبعبارة أخرى إن الفواصل القرآنية لا تأتي لمجرد الحلية القرآنية دون اعتبار للمعنى بل هي من حيث علاقتها بما قبلها تنحصر في هذه العلاقات الأربعة.

١. التمكين:

وهو: أن تكون القافية متمكنة في موضعها مستقرة في قرارها. غير نافرة ولا قلقة متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً غير مستدعاة مما ليس له تعلق بلفظ الآية البيت أو معناهما. بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم.(٥٧)

ولقد أطلق البلاغيون عليه "التمكين" "تشابه الأطراف"، وهو" أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى"، وهو نوع من "مراعاة النظير"، وهو: "أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد" وسماه قدامة ومن تابعه: "ائتلاف القافية"، والباقون سموه: "تمكين القافية"؛ وهو الأصح.(٥٨)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَاشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيد ۞ ﴾[هود:٨٧] الآية، فإن هنا تشابه بين الأطراف الأول والآخر حيث ذكر في الآية أولًا العبادة والتصرف في لأموال ثم ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لأن هناك مناسبة بين الحلم والعبادات والتصرف في الأموال وبين الرشد التصرف في الأموال.(٥٩)

هذا وإن مبنى الفواصل على الوقف كما تقدم وأن حكمة ختم الفواصل بحروف المدّ واللين وإلحاق النون هي وجود التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن

على أسهل موقف وأعذب مقطع.[٦٠]

٢. التصدير:

وهو أن تكون اللفظة التي في الفاصلة تقدمت بعينها في أول الآية. وتسمى أيضًا: رد العجز على الصدر، وقد قسمه "ابن المعتز" إلى ثلاثة أقسام.[٦١]

القسم الأول: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر. وذلك كقوله تعالى: ﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۞ ﴾[النساء:١٦٦]، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۞ ﴾[الطارق:١-٢].

القسم الثاني: أن يوافق آخر الفاصلة أول كلمة من الصدر. وذلك كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞ ﴾[آل عمران:٨]، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ۞ ﴾ [النبأ:٢٨].

القسم الثالث: أن يوافق آخر الفاصلة بعض كلمات من الصدر. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ۞ ﴾[الأنبياء:٤١]، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا ۞ ﴾ [الإسراء:٢١].

٣. التوشيح:

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، أما الفرق بينه وبين التصدير فهو أن دلالة التوشيح معنوية ودلالة لفظية، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُم ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ۞ ﴾[الزلزلة:٦-٨]. فإن قوله تعالى: ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُم ۞ ﴾ [الزلزلة:٦] يدل على التقسيم، فإن العمل قسمان، والجزاء له نوعان: فإن كان العمل مثقال ذرة من الخير كان الجزاء خيراً، وإن كان العمل مثقال ذرة من الشر كان الجزاء شراً.[٦٢]

٤. الإيغال:

هو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً، وشرحاً، وحسناً، وأصل الكلمة من قولهم، أوغل في الأمر إذا أبعد في الذهاب فيه. وقد سمي الإيغال بذلك لأن المتكلم يكون قد جاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة الحد.[٦٣]

ومن أمثلة الإيغال قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۞ ﴾[البينة:٥].وأما قوله تعالى: وما أمروا ... ويؤتوا الزكاة فإن المعنى قد تمّ به، ولكنه أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة، فقال: وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ.

قال الفخر الرازي: "ما من حرف ولا حركة في القرآن الكريم إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً". [٦٤]

رابعا: أنواع السجع والفاصلة بحسب كونه مذمومًا أو ممدوحًا .

إن السجع في الفواصل إذا كان اللفظ تابعا للمعنى يكون ممدوحًا وإذا كان المعنى تابعًا للفظ أو يكون مذمومًا.

قال الزركشي: " إن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل وهذا لا يكون سجعًا ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعني المتماثل والمتقارب من أن يأتي طوعًا سهلًا تابعًا للمعاني أو متكلفًا يتبعه المعنى فالقسم الأول هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان والثاني هو المذموم فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة مثال المتماثلة قوله تعالى: ﴿وَالطُّور ۞ وَكِتَابٍ مَّسْطُور ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُور ۞ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوع *﴾[الطور:١-٥]. وقوله تعالى: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ۞ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۞ ﴾[طه:١-٥].

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى: ﴿الرَّحْمـنِ الرَّحِيم ۞ مَـالِكِ يَوْمِ الدِّين ۞ ﴾[الفاتحة:٣-٤]. وقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيد ۞ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيب ۞ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيد ۞ ﴾[ق:١-٣]. وهذا لا يسمى سجعًا قطعًا عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن لأن السجع ما تماثلت حروفه".(٦٥)

القاعدة: إن للسجع في الفواصل أنواعًا وأقسامًا شتى تتعدد بتعدد الاعتبار فالسجع بحسب الوزن العروضي ينقسم إلى أنواع من أهمها: السجع المرصع، والسجع المتوازي، والسجع المشطور والسجع المتماثل والسجع المطرف والفواصل بحسب درجة التماثل في الوزن وغيره تتنوع إلى فواصل متماثلة ومتقاربة متوازنة وفواصل مطرفة ومنفردة. وبحسب الطول والقصر ينقسم إلى السجع القصير والسجع المتوسط والسجع الطويل. وبحسب علاقة الفاصلة بما قبلها في النص القرآني تنحصر في علاقات أربع هي: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال. وبحسب كونه تابعا للمعنى أو اللفظ يكون مذمومًا إذا كان المعنى فيه تابعًا للفظ وقد يكون ممدوحًا إذا كان للفظ تابعًا للمعنى.

المطلب الثاني: بيان صور الفواصل القرآنية وما فيها من إحكام ومناسبة وحكم وأحكام

وفيه سبع مسائل:

لاشك أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية وفي لغة القرآن. ولمراعاتها أحكام يبلغ عددها أربعين حكما. إلا أن هناك فرقًا بين أمر المناسبة فيهما فالمناسبة في اللغة العربية لا تتأتى غالبًا إلا بكون المعنى تابعًا للفظ وبارتكاب أخطاء نحوية بلاغية لا تغتفر إلا تحت شعار مذل ومخز يسترحمون الناس به ألا وهو الضرورة الشعرية. أما المناسبة في لغة القرآن فتتأتى بعكس كل ذلك بما فيها جمال وكمال تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

هذا وقد ألف الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفي كتابًا سماه "إحكام الرأي في أحكام الآي" قال فيه: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول، قال: وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على أربعين حكما".(٦٦)

أحدها: تقديم المعمول إما على العامل نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ۞ ﴾[الفاتحة:٥] أو على معمول آخر، أصله التقديم نحو: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۞ ﴾[طه:٢٣]. إذا أعربنا ﴿الكبرى﴾ هو المفعول الثاني ﴿لِنُرِيَكَ﴾ [طـه:٢٣]. أو على الفاعل نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُر ۞ ﴾[القمر:٤١]. ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ۞ ﴾ [الإخلاص:٤].[٦٧]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآيات غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى. أما قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّـاكَ نَسْتَعِين ۞ ﴾[الفاتحة:٥] فلأن الضمير إذا كان منفصلًا والفعل متعد لواحد وجب تأخير الفعل ولا يتقدم إلا في ضرورة. ولأن المعنى فيه آكد وأبلغ.

وأما قوله تعالى: {لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۞ ﴾[طه:٢٣]. فلأننا إذا أعربنا ﴿الكبرى﴾ صفة لـ ﴿ءَايٰتِنَا﴾، وقلنا الكِبر مستعار لقوّة الماهية أي: آياتنا القوية الدلالة على قدرتنا فلا نحتاج إلى ذكر رعاية الفاصلة أصلا. أما إذا أعربنا ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هو المفعول الثاني لنريك وقلنا إن ﴿مِنْ ءايَـٰتِنَا﴾ متعلق بمحذوف حال منه ومن فيه للابتداء أو للتبعيض. وقدمنا الحال مع أن صاحبه معرفة فنحتاج إلى قولنا بان السجع هنا جاء تبعًا. فنقول إن المعنى بتقديم الحال مع أن صاحبه معرفة يكون آكد وأبلغ من عدم تقديمه أي لنريك بذلك الكبرى من آياتنا. وذلك لأن الأهم هنا أن يريه ربه صلى الله عليه وسلم آياته أما حال كونها الكبرى فأمر ثانوي كما تدل على ذلك النصوص ولأن السياق والسباق والمقام كل ذلك يدل على أن هذه الآيات هي الكبرى ولا يتصور أن تكون الصغرى أصلًا.[٦٨]

وبمثل ذلك نقول في ﴿وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُر ۞ ﴾[القمر:٤١]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد ۞ ﴾ [الإخلاص:٤].

الثاني: تقديم ما هو متأخر في الزمان، نحو: ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ۞ ﴾[النجم:٢٥]، ولولا مراعاة الفواصل لقدمت{الأولى} على ﴿الأخرة﴾، كقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون ۞ ﴾[القصص:٧٠].[٦٩]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآيات غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعا للمعنى فلأنه إنما قدمت الآخرة للاهتمام بها والتثنية إلى أنها التي يجب أن يكون اعتناء المؤمنين بها لأن الخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.[٧٠]

الثالث: تقديم الفاضل على الأفضل، نحو: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۞ ﴾ [طـه: ٧٠]. حيث أخر موسى عليه السلام هنا وقدم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِين * رَبِّ مُوسَى وَهَارُون ۞ ﴾[الأعراف:١٢١-١٢٢].مراعاة للفواصل.[٧١]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآية غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأنهم قدموا هارون إما أنه أكبر سناً وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين

وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون. أما تقديم موسى عليه السلام على هارون في آيتي الأعراف والشعراء فلأنه أشرف من هارون والدعوة والرسالة إنما هي له أولاً وبالذات وظهور المعجزة على يده عليه السلام.

وتقديمه في الأعراف تقديم في الحكاية لتلك النكتة. وجوز أبو حيان أن يكون ما هنا قول طائفة منهم وما هناك قول آخر وراعى كل نكتة فيما فعل لكنه لما اشترك القول في المعنى صح نسبة كل منهما إلى الجميع. واختيار هذا القول هنا لأنه أوفق بآيات هذه ال.[٧٢]

والخلاصة: إن التقديم وقع في الحكاية لا في المحكي. وإن اختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين فإنهم قدموا في أحدهما اسم هارون اعتباراً بكبر سنّه، وقدموا اسم موسى في القول الآخر اعتباراً بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى.[٧٣]

الرابع: تأخير الفاعل وتقديم الضمير على ما يفسره نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ۞ ﴾[طه:٦٧]. مراعاة للفواصل. الإيجاس: الإخفاء والإضمار والاستشعار. والخيفة اسم هيئة من الخوف. أريد به مطلق المصدر وأصله (خوفة) قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. وانتصاب ﴿خيفةً﴾ على المفعولية، أي وجد في نفسه.[٧٤]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآية غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأن التنوين في ﴿خيفةً﴾ للتحقير أي وجد موسى في نفسه بعض خوف من مفاجأة ذلك بمقتضى طبع الجبلة البشرية عند رؤية الأمر المهول ليس بسبب ضعفه وجبنه وصدق الله حيث قال ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۞ ﴾[الأحزاب:٣٩]. أو لأن التنوين للتعظيم أي هذا الخوف لا يخصه عليه السلام وفي زيادة ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ هنا إشارة إلى أنها خيفةُ تفكُّر لم يظهر أثرها على ملامحه. بل خاف وأضمر خوفه من أن يعرض للناس ويختلج في خواطرهم شك وشبهة في معجزة العصا لما رأوا من عصيهم؛ لئلا تقوى نفوسهم إذا ظهر لهم فيؤدي إلى عدم اتباعهم. أو خشي أن يكون الله أراد استدراج السحرة مدّة فيملي لهم بظهور غلبهم عليه ومدّه لما تكون له العاقبة فخشي ذلك. وهذا مقام الخوف، وهو مقام جَليل مِثْله مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر إذ قال " اللهم إني أسألك نصرك ووعدك اللّهم إن شئت لم تُعبد في الأرض... " والدليل على هذا قوله تعالى ﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى ۞ ﴾[طـه:٦٨] فتأكيد الجملة بحرف التأكيد وتقويةُ تأكيدها بضمير الفصل وبالتعريف في ﴿الأعلى﴾دليل على أن ما خامره من الخوف إنّما هو خوف ظهور السحرة عند العامة ولو في وقت ما. وهو وإن كان موقتاً بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله.[٧٥]

الخامس: تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ ﴾[الإسراء:١٣]. وذلك إذا جعلنا ﴿يَلْقَـٰهُ﴾ و﴿مَنشُورًا ۞ ﴾[الإسراء:١٣] صفتين ل(كتاباً) على رأي الزمخشري وأبي حيان وأبو البقاء وهذا خلاف الظاهر لأنه يَلْزَمُ تقدُّم الصفةِ غير الصريحة على الصريحةِ. أما إذا جعلنا ﴿يَلْقَـٰهُ﴾

صفة ل(كتاباً) و﴿مَنشُورًا ۞ ﴾[الإسراء:١٣] حالًا من ضميره "هاء".(٧٦)

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآية غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعا للمعنى فلأنه لما كان الوصف بالصفة الجملة ﴿يَلْقَـٰهُ﴾هنا هو الأهم قدمت على الصفة المفردة ﴿مَنشُورًا ۞ ﴾[الإسراء:١٣] فإن الأهم منهما أن يلقى الإنسان كتابه أما كون الكتاب منشورا فأمر ثانوي كما تدل على ذلك النصوص.

السادس: حذف ياء المنقوص المعرف نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ ﴾ [الرعد:٩]. أي حذف الياء من {المتعال} لمراعاة الفواصل الساكنة لأن الأفصح في المنقوص غير المُنوّن إثبات الياء في الوقف إلاّ إذا وقعت في القافية أو في الفواصل كما في هذه الآية لمراعاة ﴿مِن وَالٍ ۞ ﴾[الرعد:١١] والآصال.(٧٧)

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآيات غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأنه قرأ ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو في روايةٍ " المتعال " بإثبات ياء ساكنة بعد اللام وصلًا ووقفًا. وهذا هو الأقيس وقرآها الجمهور الباقون بلام دون ياء وصلًا ووقفًا لحَذْفِها في الرسم. واستسهل سيبويه حَذْفَها في الفواصل والقوافي ولأن " أل " تعاقِبُ التنوين، فَحُذِفَتْ معها إجراءً لها مُجْراها. هذا هو الأشهر وعربي كثير.(٧٨) ولأن لما كان حرف اللام من الحروف التي توصف بالمتوسطة بين الشدة والرخاوة وكان حرف الياء من الحروف التي توصف بالرخاوة واللين فناسب مجيئ اللفظ بلام دون ياء للإشارة إلى أنه لا رخاوة ولين في تعاليه سبحانه وتعالى.

السابع: حذف ياء الفعل غير المجزوم، نحو: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ ﴾[الفجر:٤].أي حذفت الياء عند الجمهور وصلاً ووقفاً من آخر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ ﴾[الفجر:٤] مع أنها لام مضارع غير مجزوم اكتفاء عنها بالكسرة للتخفيف وقيل: لتوافق رؤوس الآي. (٧٩)

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآيات غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأنه قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (يسري) بياء بعد الراء في الوصل على الأصل وبحذفها في الوقف. وقرأ ابن كثير ويعقوب بثبوت الياء بعد الراء في الوصل وفي الوقف على الأصل. وقرأ الباقون بدون ياء وصْلاً ووقفاً. ولأنه لما كان السري والمضي سريعًا أشر إليه بحذف ياء الفعل غير المجزوم كأن سري الليل ومضيه قد تحقق قبل أن تكتمل حروف اللفظ الذي يدل عليه. وهكذا...

سئل الأخفش عن علة سقوط ياء ﴿يَسْرِ ۞ ﴾[الفجر:٤] فقال الليل لا يسري ولكن يسرى فيه وهو تعليل كثيراً ما يسئل عنه لخفائه والجواب أنه أراد أنه لما عدل عن الظاهر في المعنى وغير عما كان حقه معنى غير لفظه لأن الشيء يجر جنسه لإلفه به.(٨٠) وبعبارة أخرى وحق الليل عندما يسرى ويمضى، تاركًا من خلفه ظلامه، ليحل محله النهار بضيائه. أو المعنى وحق الليل وقت أن يَسْرِى فيه السارون، بعد أن أخذوا حظهم من النوم، فإسناد السُّرَى إلى الليل على سبيل المجاز، كما في قولهم ليل نائم، أي ينام فيه الناس. (٨١)

الثامن: حذف ياء الإضافة نحو: ﴿فَكَيْفَ كَانَ

عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ ﴾[القمر:١٦].أي حُذف ياء المتكلم من {نُذر﴾ وأصله نُذري. وحذفها في الكلام في الوقف فصيح وكثر في القرآن عند الفواصل. والنذر جمع نذير الذي هو اسم مصدر أنذر كالنذارة [٨٢] وقال الألوسي: " النذر "مصدر كالإنذار، وقيل: جمع نذير بمعنى الإنذار[٨٣]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآية غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأنه قرأ هذه الآية بعض القراء (وَنُذُرِى) بإثبات ياء بعد الراء، ولأنها أي: كلمة النذر جمعت لتكرر النذارة من الرسول لقومه طلباً لإيمانهم. وحذفت منها ياء الإضافة للإشارة إلى كثرة النذر وانتشاره وإلى كون اختصاصه تعالى بالعذاب أقوى من اختصاصه بالنذارة. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَد ۞ ﴾[الفجر:٢٥].

التاسع: زيادة حرف المد، نحو: ﴿الظُّنُونَا ۞ ﴾[الأحزاب:١٠].و﴿الرسولَا ﴾ [الأحزاب: ٦٦]

﴿الرَّسُولاَ ۞ ﴾[الأحزاب:٦٦].و﴿السَّبِيلاَ ۞ ﴾[الأحزاب:٦٧]، ومنه إبقاؤه مع الجازم نحو: ﴿لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى ۞ ﴾[طه:٧٧]. ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى ۞ ﴾[الأعلى:٥-٦]. على القول بأنه نهي.[٨٤]

قال ابن عاشور: "وانتصب ﴿الظُّنُونَا ۞ ﴾[الأحزاب:١٠] على المفعول المطلق المبين للعدد، وهو جمع ظن. وتعريفه باللام تعريف الجنس، وجمعه للدلالة على أنواع من الظن. وكتب ﴿الظُّنُونَا ۞ ﴾ [الأحزاب:١٠] في الإمام بألف بعد النون، زيدت هذه الألف في النطق للرعاية على الفواصل في الوقوف، لأن الفواصل مثل الأسْجاع تعتبر موقوفاً عليها لأن المتكلم أرادها كذلك. فهذه ال بنيت على فاصلة الألف مثل القصائد المقصورة، كما زيدت الألف في قوله تعالى ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ۞ ﴾ [الأحزاب:٦٦] وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ۞ ﴾[الأحزاب:٦٧] وعن أبي علي في «الحجة» من أثبت الألف في الوصل لأنها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع، فأما في طرح الألف في الوصل فإنه ذهب إلى أن ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقوافٍ. فأما القراء فقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر بإثبات الألف في الوصل والوقف. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم والكسائي بحذف الألف في الوصل وإثباتها في الوقف. وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب بحذف الألف في الوصل والوقف، وقرأ خلف بإثبات الألف بعد النون في الوقف وحذفها في الوصل. وهذا اختلاف من قبيل الاختلاف في وجوه الأداء لا في لفظ القرآن. وهي كلها فصيحة مستعملة، والأحسن الوقف عليها لأن الفواصل كالأسجاع والأسجاع كالقوافي".[٨٥]

والتحقيق: إن السجع هنا في هذه الآيات غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى فلأنه قرأ هذه الآيات بعض القراء بدون زيادة حرف المد؛ ولأنه لما كان الظن السيئ بالله شنيعًا وإثمًا عظيمًا مبينًا أشير إلى خطورة كل ذلك بزيادة حرف المد. ولأنه لما كان الرسول وأمره عظيمًا أشير إلى عظمته وأمره بزيادة حرف المد لما فيه تنبيه على الفخامة والكرامة. ولأنه لما كان

السبيل سبيل السلام أشير إلى عظمته وكرامته بزيادة حرف المد.

العاشر: صرف ما لا ينصرف نحو: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۞ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۞ ﴾[الإنسان:١٥-١٦]. ويجوز ذلك لضرورة الشعر وللتناسب، والتناسب على قسمين: أحدهما: في رؤوس الآي ك ﴿قَوَارِيرَا ۞ ﴾[الإنسان:١٥] الأول فإنه إذا صرفناه نوناه فوقفنا عليه بالألف، فيتناسب مع بقية رؤوس الآي.

والثاني: تناسب لكلمات منصرفة انضمت إليه ﴿قَوَارِيرَا ۞ ﴾[الإنسان:١٥] الثاني، وكـ{سَلاَسِلاَ } [الإنسان:٤]؛ لانضمامها إلى ﴿وَأَغْلاَلاً وَسَعِيرًا ۞ ﴾[الإنسان:٤].[٨٦]

والتحقيق: إن السجع هنا غير مقصود لم يتكلف له بل جاء تبعًا للمعنى في صفاء اللون والرقة. أما أنه غير مقصود فلأن في قراءتهما بالتنوين وعَدَمِهِ خمسِ مراتبَ، إحداها: تنوينُهما معاً، والوقفُ عليهما: بالألفِ، لنافعٍ والكسائيِّ وأبي بكر. الثانيةُ: مقابِلَةُ هذه، وهي عَدَمُ تنوينِهما وعَدَمُ الوقفِ عليهما بالألفِ، لحمزةَ وحدَه. الثالثة: عَدَمُ تنوينِهما، والوقفُ عليهما بالألف، لهشامٍ وحدَه. الرابعة: تنوينُ الأولِ دونَ الثاني، والوقفُ على الأولِ بالألفِ، وعلى الثاني بدونِها، لابنِ كثيرٍ وحدَه. الخامسةُ: عَدَم تنوينِهما معاً، والوقفُ على الأولِ بالألفِ، وعلى الثاني بدونِها: لأبي عمروٍ وابن ذكوانَ وحفصٍ.[٨٧]

وأما أنه جاء تبعًا فلأنه تعالى لما تصرف في أكواب الجنة تصرفًا عجيبًا اختص به هذه الأكواب جعلها جامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين أو شبيهة بالقوارير في صفاء اللون والرقة حتى كأنها تشفّ عما فيها. والتنافس في رقة آنية الخمر معروف عند شاربيها. أي هذه الأكواب في صفاء القوارير، وبياض الفضة.

قال ابن الخطيب : "ومعنى « كانت » هو من يكون، من قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ [النحل : ٤٠] أي : فتكونت قوارير بتكوين الله - تعالى - تفخيماً لتلك الخلقةِ العظيمة العجيبة الشأن، الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين، ثم قال: فإن قيل: كيف تكون هذه الأكوابُ من فضة ومن قوارير؟".[٨٨]

فالجواب من وجوه :

أحدها : أن أصل القوارير في الدنيا الرَّمل، وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة، فكما أن الله - تعالى - قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية، فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة، فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة الفضة إلى الرمل فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين فكذا بين القارورتين.

وثانيها: ما تقدم من قول ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، أي: أنها جامعة بين صفاء الزجاج وشفافيته وبين نقاء الفضة وشرفها.

وثالثها: أنه ليس المراد بالقوارير الزجاج، بل العرب تسمي ما استدار من الأواني التي تجعل فيها الأشربة مما رق وصفا قارورة، فالمعنى: وأكواب من فضة مستديرة صافية.[٨٩]

الحادي عشر: إيثار تذكير اسم الجنس الجمعي

كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۞ ﴾[القمر:٢٠]، أي منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض، وقيل: شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال.(٩٠)

والتحقيق: إن السجع هنا جاء تبعًا لأن النخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ كما هنا ويؤنث نظراً للمعنى كما في قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ }[الحاقة:٧]، واعتبار كل في كل من الموضعين أبلغ معنى وأنسب لفظا وفاصلة. أما أنه هنا أنسب للفاصلة وللسياق والسباق فظاهر وأما أنه أبلغ معنى لأن السياق والسباق سياق الشدة والقوة حيث جاء فيه النزع والقعر فأوثر التذكير لما فيه من قوة وشدة.

الثاني عشر: إيثار تأنيث اسم الجنس الجمعي نحو: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ ﴾[الحاقة:٧].(٩١)

والتحقيق: إن السجع هنا جاء تبعًا لأن النخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ كما في قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۞ ﴾[القمر:٢٠] ويؤنث نظراً للمعنى كما هنا واعتبار كل في كل من الموضعين أبلغ معنى وأنسب لفظًا وفاصلة. أما أنه هنا أنسب للفاصلة وللسياق والسباق فظاهر وأما أنه أبلغ معنى لأن السياق والسباق سياق الرخوة والضعف حيث جاء فيه التسخير والصرعى والخوى فأوثر التأنيث لما فيه من ضعف ورخو.

الثالث عشر: الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذلك، كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ ﴾[الجن:١٤] ولم يجئ ﴿رُشْدًا} في السبع، وكذا: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ ﴾[الكهف:١٠]، لمراعاة الفاصلة؛ لأن الفواصل في السورتين متحركة الوسط، وقد قرأ الجمهور ﴿الرُشد﴾ بضم فسكون في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ [الأعراف:١٤٦]، وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف بفتحتين، وهما لغتان وبهذا يبطل ترجيح الفارسي قراءة التحريك بالإجماع عليه.(٩٢)

والتحقيق: إنه يقال في "رشد" إن الراء والشين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامةِ الطريق والخير وإصابة الحق والنفع والصلاح .وقد تكرر في الجن باختلاف هذه المعاني والرُّشْد والرَّشَد: خِلافُ الغَيّ. ويقال: أصاب فلان من أمره رُشْداً ورَشَداً ورِشْدة. وقال الراغب الغَيّ ، هو كالجهل إلا أن الجهل يقال اعتباراً بالاعتقاد، والغي اعتباراً بالأفعال، ولهذا قيل: زوال الجهل بالعلم، وزوال الغي بالرشد، ويقال لمن أصاب: رشد، ولمن أخطأ غوى، ويقال لمن خاب: غوى أيضاً والرُشد ـــ بضم الراء وسكون الشين ـــ على المشهور مصدر رشد ـ بفتح الشين يرشد بضمها، والرَّشد - بفتح الراء والشين- مصدر رشد بكسر الشين يرشد بفتح الشين مثل علم يعلم. أما الرُّشُد " بضمَّتين فكأنه من باب الإتباع كاليُسُر والعُسُر.

واختلف الناس في الرُشد والرَّشد: هل هما بمعنى واحد؟ فقال الجمهور: نعم لغتان في المصدر كالبُخْل والبَخَل والسُّقْم والسَّقَم والحُزْن والحَزَن. وإلى اتحاد المعنى ذهب الراغب قال: الرشد بفتحتين خلاف الغي ويستعمل استعمال

الهداية وكذا الرشد بضم فسكون. وقال بعضهم فمنهم أبو عمرو بن العلاء: " الرُّشْد بضمة وسكون الصَّلاح في النظر، وبفتحتين الدِّين " قالوا ولذلك أُجْمِع على قوله ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[النساء:٦]، بالضم والسكون، وعلى قوله ﴿فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ ﴾[الجن:١٤] بفتحتين. وقيل: الرشد أي بفتحتين أخص من الرشد لأن الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية لكن غلب في حسن تدْبير المال والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير اهـ. لم يقرأ هذا اللفظ في قوله: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ ﴾[الكهف:١٠] في القراءات المشهورة إلا بفتح الراء بخلاف قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وقوله ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦]فلم يقرأ فيهما إلا بضم الراء.(٩٣)

وإن السجع هنا﴿فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۞ ﴾[الجن:١٤] جاء تبعًا للمعنى وأصاب وما غوى وما طغى على المعنى.

ووجه إيثار مفتوح الراء والشين في هذه ال في هذا الموضع وفي قوله الآتي ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۞ ﴾[الكهف:٢٤]هو أن تحريك الحرفين فيهما أبلغ معنى وأنسب نظمًا ولفظًا بالكلمات الواقعة في قرائن الفواصل. فقراءة الجمهور قوله في هذه ال ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ ﴾ [الكهف:٦٦] ــ بضم الراء أبلغ معنى وأنسب نظمًا ولفظًا بالقرائن المجاورة له وهي ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ ﴾[الكهف:٦٥]، ﴿مَعِيَ صَبْرًا ۞ ﴾[الكهف:٦٧]، ولم يقرأه هنا بفتح الراء والشين إلا أبو عمرو ويعقوب.(٩٤)

الرابع عشر: إيراد الجملة التي ورد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِين ۞ ﴾ [البقرة:٨]، ولم يطابق بين قولهم: ﴿ءامنا﴾وبين ما ورد به فيقول: "ولم يؤمنوا"، "وما آمنوا" لذلك.(٩٥)

والتحقيق: إن السجع هنا جاء تبعًا بإيراد أحد الجملتين على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية لأمر بلاغي. لأنهم لما أثبتوا الإيمان لأنفسهم كان الإتيان بالماضي أشمل حالاً لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامَه بالالتزام لأن الأصل ألا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو هو. ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بلَ الاستقبال فكان قوله ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِين ۞ ﴾[البقرة:٨] دالاً على انتفائه عنهم في الحال، لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال وذلك النفي يستلزم انتفاءه في الماضي بالأُوْلى، ولأن الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكى بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا ﴿آمنَّا﴾، والجملةُ الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل أي أن القائلين ﴿آمنا﴾ لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مُصَدَّق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقاً. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا جاء تبعًا ومطيعًا للمعنى ومهتمًا به.(٩٦)

الخامس عشر: إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك، نحو: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۞ ﴾ [العنكبوت:٣]، ولم يقل: ﴿الذين كذبوا﴾.(٩٧)

والتحقيق: إن السجع هنا جاء تبعًا بإيراد احد القسمين غير مطابق للآخر لأمر بلاغي. حيث أتى تعريف المتصفين بصدق الإيمان بالموصول والصلة الماضوية لإفادة أنهم اشتهروا بحدثان صدق الإيمان وأن صدقهم مُحقق. وأما تعريف المتصفين بالكذب بطريق التعريف باللام وبصيغة اسم الفاعل فلإفادة أنهم عُهدوا بهذا الوصف وتميزوا به. وأيضاً فلو أتى به فعلاً ماضياً لَمَا كان المعنى بليغًا ولما حَسُنَ وقوعُه فاصلةً.(٩٨)

السادس عشر: إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ ﴾[البقرة:١٧٧].(٩٩)

والتحقيق: إن السجع هنا جاء تبعًا بإيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى لأمر بلاغي. حيث أتى خبر ـ أولئك ـ الأولى: موصولاً بفعل ماض إيذاناً بتحقق اتصافهم به وإن ذلك قد وقع منهم واستقر، وغاير في خبر الثانية وأتى بهِ بموصولٍ صلتُه اسمُ فاعل ليدلَّ على الثبوت، وأنه ليس متجدِّداً بل صار كالسَّجِيَّةِ لهم، وأيضاً فلو أتى به فعلاً ماضياً لَمَا كان المعنى بليغًا ولما حَسُنَ وقوعُه فاصلةً.(١٠٠)

السابع عشر: مجيء السجع في الفواصل بإيثار أغرب اللفظين، نحو: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۞ ﴾ [النجم:٢٢] أي قسمة جائرة ظالمة باخسة.(١٠١)

والتحقيق: إن المراد من أغرب اللفظين هو أفصح اللفظين نظمًا وأبلغهما معنى أو أعجبهما لغة وبلاغة ودلالة وأصالة واستخدامًا وتناسبًا بين اللفظ ومعناه. لأنه لا غريب في القرآن بلاغة بالمعنى الذى عده علماء البلاغة عيبًا ولا لغة بالمعنى الذى يراه اللغويون والنقاد دخيلًا وهو عدم أصالة جذوره. أما الغريب لغة بالمعني الذى يراه اللغويون والنقاد أصيلًا لكنه لم يشتهر أولم يشترك في معرفته العوام مع الخواص أو بلاغة بالمعنى الذى عده علماء البلاغة حسنًا أو بالمعنى الذى توهمه علماء البلاغة عيبًا وهو حسن فموجود في القرآن.

وبهذا يتبين لنا ما يلي:

ـ أن السجع هنا جاء تبعًا غير ناشز وقاصدًا غير جائر.

وأن هذه اللفظة هنا وردت في مكانها الفريد لا تغني عنه أية لفظة من الألفاظ التي استحضرها العلماء وهم يفسرون (ضيزى) ويقربون معناها إلى الأفهام، وكل ما اقترحوه بعيد كل البعد عنها جرسًا ودلالة ونظمًا وإيحاء.

الثامن عشر: اختصاص كل من المشتركين بموضع، نحو: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ۞ ﴾[إبراهيم:٥٢]. وفي قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ۞ ﴾[طه:١٢٨]. فقوله تعالى: ﴿أولوا الألبب﴾ أنسب بموضعه وسياقه وسباقه فقوله تعالى: ﴿أولى النهى﴾

أنسب بموضعه وسياقه وسباقه.[١٠٢]

والتحقيق: إن هناك فرقًا بين ﴿أولوا الألبب﴾ ﴿أولى النهى﴾؛ لأن معنى الثاني هو ذووا العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه هؤلاء المنكر عليهم من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي.[١٠٣] ومعنى الأول هو ذووا لب العقول. لأنه لا يوفق إلى النظر في أدلة صدق الرسول عليه الصلاة والسلام ووجوب اتباعه إلا من يسيطر على لب عقله فكم من أحد يملك العقل ولا يملك لبه فيسيطر على عقله إبليس وجنوده فيتصرف تصرف السفهاء والأنعام ولا يدري أين تذهب. فالآية الأولى أثبتت للذين يتذكرون وينظرون ويتفكرون أصل العقل من باب أولى لأن الذي يملك لب العقل والتعقل والاستنباط يملك من باب أولى.

والآية الثانية نفت عنهم أصل العقل لأن النُهى بضم النُون والقصر جمع نُهْيَة بضم النون وسكون الهاء اسم العقل، وقد يستعمل النُهى مفرداً بمعنى العقل. وفي هذا تعريض بالذين لم يهتدوا بتلك الآيات بأنهم عديمو العقول، كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ۞ ﴾[الفرقان:٤٤].وبهذا يتبين لنا أن السجع جاء هنا تبعًا بيسر وسهولة لا يدرك ذلك إلا أولوا النهى.[١٠٤]

التاسع عشر: حذف المفعول، نحو: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ ﴾[الليل:٥]. و﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۞ ﴾ [الضحى:٣]. ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل، نحو: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ ﴾[طه:٧]. [١٠٥]

والتحقيق: إنه حذف مفعول ﴿أعطى﴾ ومفعول ﴿وأتقى﴾ لأمور منها ما هو بلاغي ومنها ما هو نحوي. أما النحوي فلأن فعل الإعطاء إذا أريد به إعطاء المال بدون عوض، يُنزَّل منزلَة اللازم ولأن حذف ما يعلم جائز فقد اشتهر استعماله في إعطاء المال ولذلك يسمى المالُ الموهوب عَطاءَ، والمقصود إعطاء الزكاة. لا مانع من أن يكون المعنى كما قال قتادة أعطى حق الله تعالى وظاهره الحقوق المالية وكذلك حُذف مفعول ﴿اتقى﴾ لأنه يعلم أن المقدّر اتّقى الله.[١٠٦]

وأما البلاغي فلأنه يحسن الحذف لتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل ما لم يُشكل به المعنى؛ لقوة الدلالة عليه، أو يُقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيُحذف، ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال". أو يكون الحذف بغرض التفخيم، والتعظيم كما هنا؛ لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن فيه كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه، عند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه.

وإنه حذف متعلق أفعل التفضيل أي المفضل عليه في قوله: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞ ﴾[طه:٧] لدلالة المقام عليه، أي وأخفى من السر أو ما أخطرته ببالك من غير أن تتفوه به أصلاً أو ما أسررته في نفسك وما ستسره فيها. والمراد بأخفى منه ما يتكلم اللسان من حديث النفس ونحوه من الأصوات التي هي أخفى من كلام السر.[١٠٧]

العشرون: الاستغناء بالإفراد عن التثنية،

نحو: ﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۞ ﴾ [طه: ١١٧].(١٠٨)

والتحقيق: إنه استغنى بالإفراد عن التثنية لأمر بلاغي فأسند ترتب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازاً إما لأصالته في الأمور لأنّ في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإيماء إلى أنّ شقاء الذكر أصل شقاء المرأة. وإما لاستلزام تعبه لتعبها. وإما المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وهو من وظائف الرجال. وبهذا يتبين لنا أن السجع جاء سعيدًا دون شقاء وتكلف. (١٠٩)

الحادي والعشرون: الاستغناء بالإفراد عن الجمع، نحو: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ولم يقل: أئمة، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۞ ﴾[الأنبياء:٧٣].(١١٠)

والتحقيق: إن الأمر يتطلب منا التفصيل فلنا أن نقول ما يلي:

أولا: أنه استغنى بالإفراد عن الجمع لأمر بلاغي إما أن {إمامًا} مصدر يستوي فيه المفرد والتثنية والجمع المؤنث والمذكر وهو أبلغ كأن الإمامة صارت سجية لهم. وإما أنَّه مفردٌ يراد منه الجنس.

وإما أن المعنى : اجعَلْ كلَّ واحدٍ منا إماماً. وإمَّا أنه جاء مفردا ومعناه جمع لاتِّحادِهم واتفاقِ كلمتِهم.

ثانيا: أنه جمعُ آمّ كحالٍّ وحِلال، أو جمعُ إمامة كقِلادة وقِلاد.(١١١)

الثاني والعشرون: الاستغناء بالتثنية عن الإفراد، نحو: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۞ ﴾ [الرحمن:٤٦]، قال الفراء: أراد جنة كقوله: {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ ﴾[النازعات:٤١].فثنى لأجل الفاصلة، قال: والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام، ونظير ذلك قول الفراء-أيضا- في قوله: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ ﴾[الشمس:١٢]. أنهما رجلان: قدار وآخر معه، ولم يقل: "أشقياها" للفاصلة. وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه، وقال: إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت، أو الألف، أو حذف همزة، أو حرف، فأما أن يكون الله- جل شأنه- وعد جنتين فجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي معاذ الله، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين، قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۞ ﴾[الرحمن:٤٨]، ثم قال: ﴿فِيهِمَا ﴾ [الرحمن:٥٠].(١١٢)

الثالث والعشرون : الاستغناء بالتثنية عن الجمع أي إطلاق الاثنين على الجمع. نحو: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۞ ﴾[الرحمن:٤٦] نقله ابن الصايغ عن الفراء أنه قال أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع، ثم قال: وهذا غير بعيد، قال: إنما عاد الضمير بعد ذلك بصفة التثنية مراعاة للفظ.(١١٣)

والتحقيق: إنه لم يستغن بالتثنية عن الجمع بل أراد جنتين خاصتين لمن خاف مقام ربه فالجنة في القرآن إذا أفردت تكون هي دار الثواب أما إذا ثنيت أو جمعت فتكون حديقتين أو حديقات في دار الثواب. فستكون لأهل الجنة في الجنة

دار الخلد والقرار جنة أو جنتان أو جنات بحسب دراجاتهم.

وبهذا يتبين لنا أن السجع جاء في آيات الرحمن مستغنيًا عن الاستغناء بالتثنية عن الإفراد أو الجمع. إلا جاء مستسلمًا غير مستكبر.

الرابع والعشرون: الاستغناء بالجمع عن الإفراد نحو: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ ۞ ﴾ [إبراهيم:٣١]أي: ولا خلة على الحقيقة ولا تبرع على الكناية ، كما في الآية الأخرى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون ۞ ﴾[البقرة:٢٥٤].[١١٤]

والتحقيق: إن الاستغناء بالجمع عن الإفراد هنا أبلغ معنى وأنسب لفظًا. لأنه وذلك لأمور منها: أن ﴿خـلال﴾ مصدر خاللت بمعنى صاحبت وصادقت أو جمع خليل بمعنى صديق، أو جمع خلة بمعنى الصداقة كقلة وقلال. وأن من خصائص الكلمات العربية وعجائبها أنه كثيرًا ما يتحدد معنى الكلمة المفردة التي لها عدة معانٍ من خلال جمعها فمثلًا كلمة أمر إذا جمعت على الأوامر يكون معناها الأمر الذي هو ضد النهي وإذا جمعت على الأمور يكون معناها الأمر بمعنى الشأن إلى غير ذلك. أما أنه أنسب فلأنه يمكن لنا أن نقول إنه استغنى عن الشفاعة ب ﴿خلال﴾ إلى غير ذلك. [١١٥]

فالقرآن نفى أن تكون هناك خلة بمعنى خليل وصديق ينتفع به بأن يشفع له أو يسامحه بما يفتدي به أو بمعنى المخالة والصداقة بين المجرمين بأن ينتفعوا بذاتها أو يسامحوا بما يفتدوا به ذلك لأنه يلزم من نفى المصدر نفي الـذات؛ لأنه يكون يستوي فيه المفرد والتثنية والجمع المؤنث والمذكر وهو أبلغ. أما المخالة والمودة وعدم العداوة بين المتقين فقد أثبتها القرآن وما نفاه هو آثار المخالة النافعة بذاتها في تدارك ما فات ولم يذكر في قوله تعالى: ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين ۞ ﴾ [الزخرف:٦٧].أن المتقين يتدارك بعضهم لبعض ما فات.[١١٦]

"والمعنى: قل لهم - أيها الرسول الكريم - بأن من الواجب عليهم أن يكثروا ويداوموا على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق مما رزقهم - سبحانه - من قبل أن يفاجئهم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا تقبل فيه المعاوضات ولا التبرع، ولا تنفع فيه شفاعة الصديق وصداقته لصديقه، وإنما الذى يقبل وينفع في هذا اليوم هو العمل الصالح الذى قدمه المسلم في دنياه".[١١٧]

وبهذا يتبين لنا أن السجع جاء هنا من خلال المعنى المراد على خلة بينهما.

﴿وَلاَ خِلَلٌ﴾ أي مخالة فهو كما قال أبو عبيدة وغيره مصدر خاللته كالخلال، وقال الأخفش: هو جمع خليل كأخلاء وأخلة، والمراد واحد وهو نفي أن يكون هناك خليل ينتفع به بأن يشفع له أو يسامحه بما يفتدي به، ويحتمل أن يكون المعنى من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه لما لهجوا بتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإنفاق لوجه الله تعالى، فعلى الأول المنفي البيع والخلال في الآخرة، وعلى هذا المراد نفي البيع والخلال الذين كانا في الدنيا بمعنى نفي الانتفاع بهما،

و ﴿فِيهِ﴾ ظرف للانتفاع المقدر حسبما أشرنا إليه، ولا يشكل ما هنا مع قوله تعالى: ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ۞ ﴾ [الزخرف:٦٧] حيث أثبت فيه المخالة وعدم العداوة بين المتقين لأن المراد هنا على ما قيل نفي المخالة النافعة بذاتها في تدارك ما فات ولم يذكر في تلك الآية أن المتقين يتدارك بعضهم لبعض ما فات.(١١٨)

الخامس والعشرون: إجراء غير العاقل مجرى العاقل، نحو: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ۞ ﴾[يوسف:٤].فأجريت المتعاطفات هنا مجرى العقلاء في الضمير جمع الصفة لوصفها بصفة العقلاء أعني السجود سواء كان المراد منه التواضع أو السجود الحقيقي وإعطاء الشيء الملابس لآخر من بعض الوجوه حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة شائع في الكلام القديم والحديث. (١١٩)

والتحقيق: إن إجراء غير العاقل مجرى العاقل هنا يدل على أمور منها: أنه لمّا كانت الحالة المرئية من الكواكب والشمس والقمر حالة العقلاء، وهي حالة السجود نزّلها منزلة العقلاء، فأطلق عليها ضمير (هم) وصيغة جمعهم. ومنها: أن الكواكب أحياء ناطقة، ويمكن أن يستدل لهم بهذه الآية ونظائرها وكثير من ظواهر الكتاب والسنة يشهد لهم، وليس في القول بذلك إنكار ما هو من ضروريات الدين بل نقل كثير من المفسرين أنه عليه السلام رأى الكواكب والشمس والقمر قد نزلت فسجدت له فقص ذلك على أبيه. وتقديم الجار والمجرور لإظهار العناية والاهتمام مع ما في ضمنه مجيئ السجع طوعًا ساجدًا في الفاصلة.(١٢٠)

السادس والعشرون: إمالة ما لا يمال، كإمالة ألف آي طه، والنجم، والضحى؛ ليشاكل التلفظ بها التلفظ بما بعدها.(١٢١)

والتحقيق: إن في إمالة ما لا يمال، كإمالة ألف هذه الآيات تطابقا بين الأداء الصوتي وبين المعنى المراد. وذلك أن الغرض الأصلي من الإمالة التيهي أن تنحو بالألف نحو الياء هو التناسب بين المعنى المراد وبين اللفظ. لا شك أن الإمالة قد تكون للتحقير وبعد المنزلة وقد تكون للتعظيم وقرب المنزلة يفهم ذلك من السياق والسباق. . وبهذا يتبين لنا أن السجع في أمثال هذه الفواصل جاء تبعًا للمعنى المراد بإمالة فيها تعظيم وتقريب.

السابع والعشرون: الإتيان بصيغة المبالغة ك قدير وعليم مع ترك ذلك في نحو: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ ﴾ [الأنعام:٦٥]، وهو(عالم الغيب) ومنه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا۞ ﴾ [مريم: ٦٤].(١٢٢)

والتحقيق: إن في الإتيان بصيغة المبالغة "فعيل" المعدولة عن اسم الفاعل كصيغة رحيم عن راحم وعليم عن عالم وقدير عن قادر دلالة على الكثرة والمبالغة في اتصاف الذات بالحدث حول بناء اسم الفاعل إلى أبنية متعددة. وبهذا يتبين لنا أن السجع في أمثال هذه الفواصل جاء تبعًا للمعنى المراد بدون تكلف بعلمه وقدرته.

وقال الصيمري: "واعلم أن فعيلاً على ضربين: أحدهما: معدول عن فاعل مثل رحيم، وعليم، وقدير، عدل عن راحم، وعالم، وقادر، للمبالغة والثاني: غير معدول بل جارٍ على فعله

نحو: كريم وظريف تقول ظرف يظرف فهو ظريف، وكرم فهو كريم". [١٢٣]

الثامن والعشرون: إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض، نحو: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ ﴾[ص:٥]. أوثر على (عجيب) لذلك.[١٢٤]

والتحقيق: إن في إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض دلالة على كون جعله صلى الله عليه وسلم الآلهة إلهًا واحدًا شيئًا قد بلغ النهاية في العجب والغرابة بل تجاوز الحد فيما يقبله العقل. وذلك لأن وزن فُعال ﴿عُجَابٌ ۞ ﴾[ص:٥] بضم أوله صيغة مبالغة سماعية أبلغ من "عجيب" يدل على تمكن الوصف بمعنى المفرط في العجب أو الكثير العجب. مثل طُوال، بمعنى المفرط في الطول، وكُرام بمعنى الكثير الكرم، فهو أبلغ من كريم. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا لشيء عجاب ويراد بل هو فصل الخطاب.[١٢٥]

التاسع والعشرون: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى *}[طه:١٢٩]، {وَأَجَلٌ مُسَمًّى} عطف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ ففصل بينهم ب ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ [طه:١٢٩] والتقدير ولولا كلمة وأجلٌ مسمّى يقع عنده الهلاك لكان إهلاكهم لزاماً.[١٢٦]

والتحقيق: إن في الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه هنا دلالة على استقلالية كل واحد منهما "المعطوف والمعطوف عليه" بنفي الهلاك عنهم إلى غير ذلك من الدلالات. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا جاء فاصلًا في فصل الفاصلة .

الثلاثون: إيقاع الظاهر موقع المضمر، نحو: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۞ ﴾[الأعراف:١٧٠]. [١٢٧]

والتحقيق: إن في إيقاع الظاهر موقع المضمر تشريفًا لهؤلاء الذين يمسكون بالكتب وأقاموا الصلاة لكون التشريف هنا يقتضي الإطناب والإظهار وتسجيلًا عليهم بالصلاح والإصلاح لكونهم صالحين ومصلحين. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا ظهر بنفسه ولم يقبل الإضمار.

الحادي والثلاثون: وقوع مفعول موقع فاعل كقوله:﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ ﴾[الإسراء:٤٥] أي: ساترًا.[١٢٨]

والتحقيق: إن في وقوع مفعول فاعل موقع فاعل دلالة على شدة ستر هذا الحجاب حتى صار حجاباً بالغاً الغاية في حجب ما يحجبه هو حتى كأنه مستور، فذلك في قوة أن يقال جعلنا حجاباً فوق حجاب. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ۞ ﴾[الفرقان:٢٢]. ففي وصفُ الحجاب بـ ﴿مَّسْتُورًا ۞ ﴾[الإسراء:٤٥] مبالغة في حقيقة جنسه لكونه مجازًا عقليًا لإسناد الوصف إلى غير ما هو له ولِملابسة الحجاب حالته وهو الساتر ملابسة الموصوف لصفته. فالحجاب ساتر ليس بمستور. أو فيه إشارة إلى أن هذا حجاب من غير جنس الحجب المعروفة فهو حجاب معنوي لا حسي لا تراه الأعين ولكنها ترى آثار أمثاله. أو فيه مجاز بالحذف والإيصال أي مستوراً به الرسول صلى الله عليه وسلم. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا جاء تبعا

مستورا بجمال المعنى.[١٢٩]

الثاني والثلاثون: وقوع فاعل موقع مفعول بعكس ما تقدم نحو: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ ﴾ [الحاقة:٢١]. أي مرضية. [١٣٠]

والتحقيق: إن في وقوع فاعل موقع مفعول دلالة على شدة رضى صاحب العيشة بسببها حتى صارت كأنها هي راضية ففي وصفُها بـ ﴿راضية﴾ مبالغة لكونه مجازًا عقليًا لإسناد الوصف إلى غير ما هو له ولِملابسة العيشة حالةَ صاحبها وهو العائش ملابسة الصفةِ لموصوفها. فالراضي هو صاحب العيشة لا العِيشة. وبهذا يتبين لنا أن السجع هنا جاء تبعًا راضيًا مرضيًا.

الثالث والثلاثون: الفصل بين الموصوف والصفة نحو: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى ۞ ﴾ [الأعلى:٤-٥].إن إعراب أحوى: صفة المرعى معنى ، أي: حالا.[١٣١]

والتحقيق: إن في الفصل بين الموصوف والصفة معنى أي بين الحال وصاحب الحال ﴿المرعى - أحوى﴾ أسرارًا منها: أنه جاءت في الفاصلة كلمة تصلح أن تكون حالًا لما قبلها مع فصل وتصلح أن تكون على تفسير صفة لما قبلها مباشرة بدون فصل على جاء السجع تبعًا مخضرًا.

وقال الزمخشري: "ويجوز أن يكون أحوى حالًا من المرعى أي أخرجه من المرعى أسود من شدة الخضرة والريّ فجعله غثاء بعد حوّته"[١٣٢].

وقال أبو البقاء: " قوله تعالى أحوى قيل هو نعت لغثاء وقيل هو حال من المرعى أي أخرج المرعى أخضر ثم صيّره غثاء فقدم بعض الصلة"[١٣٣]. وقال ابن خالويه في كتابه: «إعراب ثلاثين من القرآن الكريم»: "فجعله غثاء أحوى أي جعل الله المرعى أحوى والأحوى شديد الخضرة يضرب إلى السواد لريّه ثم صيّره غثاء بعد ما يبس فمعناه تقديم وتأخير"[١٣٤].

وقال ابن هشام في كتابه المغني: " قول بعضهم في أحوى إنه صفة لغثاء وهذا ليس بصحيح على الإطلاق بل إذا فسّر الأحوى بالأسود من الجفاف واليبس وأما إذا فسّر بالأسود من شدّة الخضرة لكثرة الريّ كما فسّر "مدهامتان" فجعله صفة لغثاء كجعل قيما صفة لعوجا وإنما الواجب أن تكون حالا من المرعى وآخر لتناسب الفواصل "[١٣٥].

الرابع والثلاثون: إيقاع حرف مكان غيره، نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۞ ﴾[الزلزلة:٥]، والأصل نحويًا {إليها}.

والتحقيق: إن السر هنا هو الإشارة إلى أن هذا الإيحاء ينتهى إلى الأرض ويختص بها. أي هي تفيد الاختصاص إضافة إلى معنى الانتهاء هذا أبلغ.

الخامس والثلاثون: تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ، ومنه:﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيم ۞ ﴾[الفاتحة:٣]، ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيم ۞ ﴾[التوبة:١١٧]؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة وكذلك الرحمن.[١٣٦]

والتحقيق: إن الترتيب قد يكون تصاعديًا أو تنازليًا والسر في كونه هنا تنازليًا أي في تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ هو تقديم الأعم في مقام الامتنان لأن الربوبية تقتضي أن تعم الرحمة من يستحق ومن لا يستحق ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيم ۞ ﴾ [النور:٢٠].(١٣٧)

السادس والثلاثون: حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ ﴾ [الليل:١٩](١٣٨)

والتحقيق: إن السر في حذف الفاعل ونيابة المفعول أي جيء الفعل على صيغة المجهول هو المبالغة في نفي أصل النعمة فضلًا النعمة التي من شأنها أن تجزى وتكافأ. والإشارة إلى أن القصد ليس لفاعل معين. وبهذا يتبين لنا أن السجع في الفاصلة جاء طوعًا محضرًا لأن أصله كان: يجزيه إياها أو يجزيها إياه.(١٣٩)

هذا وإنه يحب علينا أن ننعم النظر فيما اتفق عليه أهل التأويل هو أن أول مقصود بهذه الصلة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمَّا أعتق بلالاً قال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده. وهو قول من بهتانهم يعللون به أنفسهم كراهية لأن يكون أبو بكر فعل ذلك محبة للمسلمين.

السابع والثلاثون: إثبات هاء السكت، نحو:﴿مَالِيه ۞ ﴾[الحاقة:٢٨]،﴿مَا هِيَه ۞ ﴾ [القارعة:١٠].(١٤٠)

والتحقيق: إن السر في إثبات هاء السكت هنا هو التصوير الفني حيث إنه يجسد لحظة ندم من أوتى كتابه بشماله ويجلي موقف حسرته المديدة ولهجته البائسة ويوحي إخرَاج نَفَسِه بَعْدَ مَدِّهِ بِتَأَوُّهٍ مَشْحُونٍ بِالأَلَمِ والتحسر كأنْ لا شيء نافعُه ممَّا كان يعتزُّ به أو يجمعه ويكنزه ويخيل إلى السامع أنَّ هذه الوقفة لا تنتهي إلى نهاية. وذلك من خلال تطابق الأداء الصوتي مع الحالة التي عليها الجهنمي. كذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيه ۞ ﴾[الحاقة:١٩] حيث إنه يجسد لحظة فرح وسرور من أوتى كتابه بيمنه ويجلي موقف سروره ويوحي إخرَاج نَفَسِه بَعْدَ مَدِّهِ بارتياح وانشراح مَشْحُونٍ بِالسرور. وذلك من خلال تطابق الأداء الصوتي مع الحالة التي عليها أصحاب الجنة.

هذا وإنه لما كان المعنى هو مقصودًا والسجع غير مقصود جاءت هذه الآيات بدون هاء في حالة الوصل. على قراءة حمزة وخلف. هذا هو الأصل المشهور ولكل وجه.

أي ما أغنى عني شيئاً الذي كان لي في الدنيا من المال ونحوه كالأتباع، على أن ما في {مَآ أَغْنَىٰ} نافية وما في ﴿مَالِيه ۞ ﴾[الحاقة:٢٨] موصولة فاعل ﴿أَغْنَىٰ} ومفعوله محذوف وليه جار ومجرور في موضع الصلة، ويجوز أن يجعل ﴿مَالِيه ۞ ﴾[الحاقة:٢٨] عبارة عن مال مضاف إلى ياء المتكلم، والأول أظهر شمولاً للأتباع ونحوها إذ لا يتأتى اعتبار ذلك على الثاني إلا باعتبار اللزوم، ويجوز أن تكون ما في ﴿مَآ أَغْنَىٰ} استفهامية للإنكار و﴿مَالِيه ۞ ﴾[الحاقة:٢٨] على احتمالية أي شيء أغنى عني مالي.(١٤١)

الثامن والثلاثون: الجمع بين المجرورات، نحو: ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۞ ﴾ [الإسراء:٦٩]. مع أن الأحسن نحويًا الفصل بينها، إلا أن الأفضل بلاغة الجمع بينها. (١٤٢)

والتحقيق: إن السر في تقديم ﴿علينا} وتأخير ﴿تَبِيعًا ۞ ﴾[الإسراء:٦٩] هو توكيد المعنى وتنزيه الله مطلقًا. والمعنى أنا نفعل ما نفعل بكم، ثم لا تجدوا لكم أحدًا يطالبنا بما فعلنا أو بحق لكم وينصركم علينا. فنحن لا نسأل عما نفعل، وأنتم المسؤولون.

التاسع والثلاثون: العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال، نحو: ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون ۞ ﴾[البقرة:٨٧]، والأصل: قتلتم.(١٤٣)

والتحقيق: وعبر بالمضارع في{تقتلون} حكاية للحال الماضية واستحضارًا لصورتها لفظاعتها واستعظامها، ولمباشرتهم الأسباب الموجبة لـزوال حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءت المشاكلة للأفعال المضارعة الواقعة في الفواصل فيما قبل طوعًا وتبعًا.

الأربعون: تغيير بنية الكلمة، نحو: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِين ۞ ﴾ [المؤمنون:٢٠] ﴿وَطُورِ سِينِين ۞ ﴾[التين:٢] الأصل: سيناء بفتح السين وكسرها.(١٤٤)

قال ابن عقيلة المكي (١١٥٠ هـ) "أقول: وهذا غير سليم، يقال: طور سيناء وطور سينين والكلام الإلهي أعظم شاهد".(١٤٥)

والتحقيق: إن هذا سليم، لأنه يقال: طور سيناء وطور سينين كما جاء في الآيتين: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِين ۞ ﴾[المؤمنون:٢٠] ﴿وَطُورِ سِينِين ۞ ﴾[التين:٢] أما مجيئ سنين في التين فلأنه جاء في سياق التفخيم والتعظيم بالقسم قسم رب العالمين. فناسب ذلك مجيئه على صيغة تشبه صيغة جمع المذكر السالم وليس بجمع. فاذا بالفاصلة سجع جاء طوعًا مسرورًا تسر الناظرين كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِين ۞ ﴾[الصافات:١٢٩].وأما﴿طور سينين} فهو الجبل المعروف بـــ «طور سينا» الذي كلم الله سبحانه عليه موسى عليه السلام ويقال له طور سيناء بكسر السين والمد وبفتحها والمد. والطور الجبل بلغة النبَط وهم الكنعانيون. و﴿وَطُورِ سِينِين ۞ ﴾ [التين:٢] بكسر السين وفتحها إلا أن الثاني شاذ. جاء على صورة الجمع لأنه يعامل في الإعراب معاملة بيرون ونحوه فيعرب بالواو والياء ويقر على الياء وتحرك النون بحركات الإعـراب. وسمى هذا الجبل ﴿طور سينين﴾ لوقوعه في صحراء «سينين» وهي صحراء بين مصر وبلاد فلسطين. وقيل سينين اسم الأشجار بالنبطية أو بالحبشية، وقيل معناه الحسن بلغة الحبشة.

وقال الأخفش: "سينين جمع بمعنى شجر واحدته سينة فكأنه قيل طور الأشجار" .(١٤٦)

وأخرج ابن أبـي حاتم وابن المنذر وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال سينين هو الحسن وأخرج عبد بن حميد نحوه عن الضحاك وكذلك أخرج هو وجماعة عن عكرمة بزيادة بلسان الحبشة وأخـرج هو أيضاً وابـن جرير وابن عساكر وغيرهما عن قتادة أنه قال سينين مبارك

حسن ذو شجر والإضافة على ما ذكر من إضافة الصفة إلى الموصوف.[١٤٧]

كثر في الفواصل التضمين والإيطاء لأنهما ليسا بعيبين في النثر وإن كانا عيبين في النظم فالتضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ ﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨]. والإيطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الإسراء: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولا ۞ ﴾ [الإسراء:٩٣] وختم بذلك الآيتين بعدها.[١٤٨]

تنبيهات:

هذا وإنه يستحسن هنا أن ننبه لأمور منها:

- أنه لا يدرك ما في فواصل القرآن من أسرار وحكم حق الإدراك إلا بمعرفة ما فيها من علاقة ومناسبة. فما فيها من المناسبات يدل على أن اللفظ يتبع المعنى.

فمما يدل على ذلك أوائل النحل فإنه تعالى بدأ بذكر الأفلاك قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل:٣].ثم ذكر خلق الإنسان من نطفة ثم خلق الأنعام ثم عجائب النبات فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُون ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ۞ ﴾[النحل:١٠-١١].فجعل مقطع هذه الآية التفكر لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار. ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون ۞ ﴾[النحل:١٢] فجعل مقطع هذه الآية العقل وكأنه قيل إن كنت عاقلًا فاعلم أن التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الإله القادر المختار.

ثم قال: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُون ۞ ﴾ [النحل:١٣] فجعل مقطع الآية التذكر كأنه قيل: اذكر ما ترسخ في عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره فإذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار.

ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ [الأنعام:٩٧] الآيات فإنه ختم الأولى بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُون ۞ ﴾[الأنعام:٩٧]. والثانية بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُون ۞ ﴾ [الأنعام:٩٨] والثالثة بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون ۞ ﴾[الأنعام:٩٩].

وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه بـ"يعلمون"، وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت والنظر في ذلك والفكر فيه أدق فناسب ختمه بـ "يفقهون" لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالإيمان الداعي إلى شكره تعالى على نعمه.

ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى في

إبراهيم: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۞ ﴾[إبراهيم:٣٤]. ثم قوله في النحل: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ ﴾[النحل:١٨] قال ابن المنير: كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونك ظلومًا وكونك كفارًا يعني لعدم وفائك بشكرها ولي عند إعطائها وصفان وهما: أني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوقير ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء[١٤٩].

وقال غيره: إنما خص إبراهيم بوصف المنعم عليه والنحل بوصف المنعم لأنه في إبراهيم في مساق وصف الإنسان وفي النحل في مساق صفات الله وإثبات لألوهيته

ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى في النساء: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ۞ ﴾[النساء:٤٨] ثم أعادها وختم بقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ۞ ﴾ [النساء:١١٦] ونكتة ذلك أن الأولى نزلت في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه والثانية نزلت في المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد.

- وأنه ما يكون عيبًا في النظم والشعر لا يكون عيبًا في النثر فلذلك كثر التضمين والإيطاء في الفواصل لأنهما ليسا بعيبين في النثر وإن كانا عيبين في النظم فالتضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقًا بها كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ ﴾[الصافات:١٣٧-١٣٨]. والإيطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الإسراء: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولا ۞ ﴾[الإسراء:٩٣] وختم بذلك الآيتين بعدها.

- وأنه ما في الفواصل من المناسبة قد تكون غامضة مشكلة فلا يقدر على إزالتها إلا العالمون كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ﴾[المائدة:١١٨] فإن قوله: "وإن تغفر لهم" يقتضي أن تكون الفاصلة "الغفور الرحيم" وكذا نقلت عن مصحف أبي وبها قرأ ابن شنبوذ وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أي الغالب والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته.

- وأنه ما في الفواصل من المناسبة ما لا نظير له في القرآن كقوله عقب الأمر بالغض في النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ ﴾[النور:٣٠] وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۞ ﴾ [البقرة:١٨٦] وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث

ذكر ذلك عقب ذكر رمضان أي لعلهم يرشدون إلى معرفتها.

القاعدة: وفي فواصل القرآن الحكيم حكم وأحكام فمن أحكامها مخالفة الأصول النحوية المشهورة العامة وموافقة الأصول النحوية المهجورة المغمورة المنسية الخفية أو مخالفة الأصول النحوية المشهورة وموافقة الأصول البلاغية البديعة ومن حكمها تحسين اللفظ مع الاهتمام بالمعنى المراد على الاختصاص والتوكيد وغير ذلك.

الملخص الكبير

إن الناظر إلى الفواصل في الآيات القرآنية يجد أنها تدل دلالة واضحة على بلاغتها وفصاحتها فإن السجع الظاهر في الفواصل لم يكن مقصودًا ولم يأت إكمالًا للجمال اللفظي بل جاء تابعًا للمعنى القريب والمعهود والمطلوب أما السجع في الشعر فُيضطر بعض الشعراء إلى القافية أحياناً لإكمال البيت، وإن كان المعنى المراد منها بعيداً. وليس في فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جاءت لإكمال الآية إكمالاً معيناً؛ بل لكل فاصلة سرها البلاغي الجلي أو الخفي؛ لأنه لا يمكن استبدال كلمة في القرآن الكريم بكلمة أخرى أياً كان موقعها في وسط الآيات أو أولها وخواتيمها؛ لأنها لا تقوم مقامها، ولا تؤدي معناها، إضافة إلى أنها لا تتوافق مع نظامه الصوتي وجماله اللغوي. ولذلك كله أن القول بأنه قدم ما حقه التأخير أو أخر ما حقه التقديم أو غير ذلك رعاية لفواصل القرآن قول غير موزون ومسجوع [١٥٠].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،(ت:٧١١هـ)، لسان العرب، من دون تحقيق له حاشية لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ (٨/ ١٥٠).

(٢) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، (ت:١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، (ص٣٣٠).

(٣) الباحث: محمد عثمان بإشراف: محمد جواد النوري، معجم المعاني الجامع، مصورات مكتبة الجامعة الأردنية، حرف الفاء مادة فصل (ص ٤٧١).

(٤) الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، (ت:٧٩٤هـ)البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (١/ ٥٤).

(٥) المصدر السابق: (١/ ٥٣).

(٦) المصدر السابق: (١/ ٥٣).

(٧) الرماني، علي بن عيسى بن علي، (ت:٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلامالناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م، (ص٩٧).

(٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٥٣).

(٩) الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن للباقلاني، المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصرالطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م، (ص٢٧٠).

(١٠) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٤).

(١١) المصدر السابق.

(١٢) أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢- ٢٧٥ هـ)، في كتابه: سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، برقم: ٤٠٠١، (٦/

١٢٤)، وأخرجه الإمام أحمد برقم: ٢٦٥٨٣، أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/ ٨٣).

(١٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونسنة النشر: ١٩٨٤هـ، (١/ ٨٣).

(١٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن(١/ ٥٤).

(١٥) في مسند أحمد بلفظ: " أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الْأَعْرَابِ؟ "إسناده صحيح. رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي سعيد، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عُبيد البصري مولى بني هاشم، فقد أخرج له البخاري متابعة، وأبو داود في فضائل الأنصار، والنسائي وابن ماجه، وغير عُبيد بن نُضَيلة، فمن رجال مسلم. زائدة: هو ابن قدامة، ومنصور: هو ابن المعتمر، وإبراهيم: هو النخعي، «مسند أحمد» (٣٠/ ٨٢ ط الرسالة).

(١٦) ينظر: الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، (ت:١٤١٤هـ)، الموسوعة القرآنية، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ، (٣/ ١٣٢).

(١٧) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (١/ ٥٥).

(١٨) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، (٣/ ٣٣٧).

(١٩) السيوطي، في الإتقان وهو المصدر السابق: (٣/ ٣٣٧).

(٢٠) المصدر السابق: (٣/ ٣٣٧).

(٢١) نقلا عن السيوطي، الإتقان: (٣/ ٣٣٨).

(٢٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦٠).

(٢٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت:٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرةالطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (٢٠/ ٢٠٧).

(٢٤) الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، (ت:١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م،(ص١٥٠).

(٢٥) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت:٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهرالناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، (١/ ٣٨٧).

(٢٦) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ت: شاكر: (١/ ٣٨٥) وما بعدها.

(٢٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٣٣).

(٢٨) المصدر السابق، (٣/ ٣٣٧).

(٢٩) عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، الناشر: دار القلم، دار الشامية – دمشق، بيروتالطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: (ص١٩١).

(٣٠) الصعيدي، عبد المتعال، (ت:١٣٩١هـ)الناشر: مكتبة الآداب،بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (٤/ ٦٥٣).

(٣١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٥٦)،وينظر: ابن عقيلة، محمد بن أحمد، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت:١١٥٠ هـ)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، وأصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم

السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم).الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ، (٣/ ٥٢٥).

(٣٢) ينظر: ابن عقيلة، الزيادة والإحسان: «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» (٣/ ٥٢٥).

(٣٣) ابن عقيلة، الزيادة والإحسان.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٥٦)، و محمد عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥٢٥).

(٣٦) ينظر: ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٣/ ٥٢٥).

(٣٧) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٧٢)، محمد عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن:(٣/ ٥٢٨).

(٣٨) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٥٦)، ومحمد عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥٢٥).

(٣٩) ينظر: الجرمي، إبراهيم محمد ، معجم علوم القرآن، الناشر: دار القلم –دمشق ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: (ص٢٠٨).

(٤٠) الجرمي، معجم علوم القرآن، (ص٢٠٨)..

(٤١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٥٦)، ومحمد عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥٢٥).

(٤٢) المصدر السابق (٣/ ٣٥٧).

(٤٣) المصدر السابق (٣/ ٣٥٧).

(٤٤) المصدر السابق (٣/ ٣٥٨).

(٤٥) ينظر: الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ : (١/ ٦٦).

(٤٦) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٧٥).

(٤٧) البع، محمد رمضان البعّ، دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمدراسة تحليلية (بحث متوفر على الشابكة لم يطبع).

(٤٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٧٥).

(٤٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٦٠).

(٥٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م(١/ ٤٣).

(٥١) المصدر السابق.

(٥٢) ابن الأثير، ضياء الدين (ت:٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، (١/ ٢٥٧) وما بعدها.

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) المصدر السابق.

(٥٥) المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي، (ت:٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ (٣/ ١٤).

(٥٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٥).

(٥٧) المصدر السابق.

(٥٨) الصعيدي، عبد المتعال (ت:١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: (٤/ ٥٨٤).

(٥٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٤٦).

(٦٠) الأبياري، الموسوعة القرآنية: (٢/ ٢٧٦).

(٦١) العباسي، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد (ت:٢٩٦هـ)،

البديع في البديع، الناشر: دار الجيلالطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: (ص١٤٠).

(٦٢) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٥٥).

(٦٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت:نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروتعام النشر: ١٤١٩هـ: (ص٣٨٠).

(٦٤) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: (٢٥/ ٥٣).

(٦٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: (١/ ٧٢).

(٦٦) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٣٩)، ومحمد عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥٠٦).

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، (٨/ ٤٩٤)، وينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٢٠٩).

(٦٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٣٩).

(٧٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧/ ١١٢)، وينظر: الآلوسي، روح المعاني: (١٤/ ٥٨).

(٧١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٣٩).

(٧٢) الآلوسي، روح المعاني: (٨/ ٥٤١).

(٧٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٢٦٣).

(٧٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٧٥) الآلوسي، روح المعاني: (٨/ ٥٣٩)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٢٦٠).

(٧٦) ينظر: السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، (ت:٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق : (٧/ ٣٢٣)،والآلوسي، روح المعاني: (٨/ ٣٢).

(٧٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٧٨) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٧/ ٢٣)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٣/ ٩٩).

(٧٩) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٨٠) الآلوسي، روح المعاني: (١٥/ ٣٣٦).

(٨١) طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى: (١٥/ ٣٨٤).

(٨٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٧/ ١٨٧).

(٨٣) الآلوسي، روح المعاني: (١٤/ ٨٣).

(٨٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٨٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢١/ ٢٨٢).

(٨٦) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٨٧) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (١٠/ ٦٠٨).

(٨٨) ينظر: النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (ت:٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م : (٢٠/ ٣٥).

(٨٩) المصدر السابق، وينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب: (٣٠/ ٧٥١).

(٩٠) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٠).

(٩١) المصدر السابق.

(٩٢) محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ،الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥٠٨).

(٩٣) الآلوسي، روح المعاني: (٨/ ٢٠٢).

(٩٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٥/ ٢٦٧).

(٩٥) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٨).

(٩٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١/ ٢٦٥).

(٩٧) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٨).

(٩٨) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٠/ ٢٠٦).

(٩٩) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٨).

(١٠٠) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٢/ ٢٥١).

(١٠١) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٨).

(١٠٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩).

(١٠٣) الآلوسي، روح المعاني: (٨/ ٥٨٨).

(١٠٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٣٣٥).

(١٠٥) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩).

(١٠٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٠/ ٣٨٢).

(١٠٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ١٩١).

(١٠٨) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩).

(١٠٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٣٢١).

(١١٠) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩).

(١١١) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: (٨/ ٥٠٦).

(١١٢) نقلًا عن السيوطي، في معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩)، وينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت:٢٠٧هـ)، معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، (٣/ ١١٨).

(١١٣) السيوطي،معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٢٩).

(١١٤) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١١٥) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: (٧/ ٥٥٩).

(١١٦) الآلوسي، روح المعاني (٧/ ٢٠٩).

(١١٧) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: (٧/ ٥٥٩).

(١١٨) الآلوسي، روح المعاني: (٧/ ٢٠٩).

(١١٩) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٢٠) الآلوسي، روح المعاني: (٦/ ٣٧٢).

(١٢١) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٢٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٢٣) الصيمري، عبد الله بن علي بن إسحاق (ت ٤٣٦)، التبصرة والتذكرة، المحقق فتحي أحمد مصطفى علي الدين، دار النشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – السعودية، الطبعة الأولى- ١٤٠٢ه ١٩٨٢م، (٢٦٦/١).

(١٢٤) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٢٥) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: (١٢/ ١٣٣).

(١٢٦) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٢٧) المصدر السابق.

(١٢٨) المصدر نفسه.

(١٢٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٥/ ١١٧).

(١٣٠) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣٠).

(١٣١) المصدر السابق.

(١٣٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، (ت:٥٨٣هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، (٤/ ٧٣٨).

(١٣٣) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (المتوفى : ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق : علي محمد البجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، (٢/ ١٢٨٣).

(١٣٤) ابن خالويه، الحسين بن أحمد، (ت:٣٧٠هـ)، كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ-١٩١٤م)، (ص٥٦).

(١٣٥) ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (ت:٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: مازن المبارك / محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م، (ص٦٩٣).

(١٣٦) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣١).

(١٣٧) ينظر: عباس، فضل حسن عبَّاس(ت: ١٤٣٢ هـ)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م (٣/ ١١١).

(١٣٨) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣١).

(١٣٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٠/ ٣٩١).

(١٤٠) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣١).

(١٤١) الآلوسي، روح المعاني: (١٥/ ٥٥).

(١٤٢) (١٤٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/ ٣١).

(١٤٣) المصدر السابق.

(١٤٤) ينظر: المصدر السابق والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٤٥).

(١٤٥) ابن عقيلة، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: (٣/ ٥١٢).

(١٤٦) ينظر: الآلوسي، روح المعاني: (١٥/ ٣٩٤).

(١٤٧) المصدر السابق (١٥/ ٣٩٤).

(١٤٨) المصدر السابق (١٥/ ٣٩٤).

(١٤٩) المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت:١٤٢٩هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، (١/ ٢٢٨).

(١٥٠) ينظر: الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد(ت:٤٦٦هـ)، سر الفصاحة الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٧٢م: (ص١٧٢) وما بعدها، والجرجاني، دلائل الإعجاز ت شاكر: (١/ ٣٨٥) وما بعدها.

المصادر والمراجع

- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت:١٤١٤هـ)، الموسوعة القرآنية، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥هـ.
- ابن الأثير، ضياء الدين ، نصر الله بن محمد (ت:٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.
- الإمام أحمد، أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن للباقلاني، المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- البع، محمد رمضان ، دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم دراسة تحليلية (بحث متوفر على الشابكة لم يطبع).
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (ت:٤٧١هـ) دلائل الإعجاز في علم المعاني المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الجرمي، إبراهيم محمد ، معجم علوم القرآن، الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، أبو عبد الله (ت:٣٧٠هـ)، كتاب إعراب ثلاثين من القرآن الكريم، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ-١٩٤١م).
- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الحلبي (ت:٤٦٦هـ)، سر الفصاحة الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت:٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (ت:١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن المعتزلي (ت:٣٨٤هـ)، النكت في إعجاز القرآن، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت:٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- زرزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، الناشر: دار القلم / دار الشامية - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت:٥٨٣هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت:٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت:٩١١هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي (ت:١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الصعيدي، عبد المتعال (ت:١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الصيمري، عبد الله بن علي بن إسحاق (ت ٤٣٦)، التبصرة والتذكرة، رقم الطبعة ١ بلد النشر السعودية المحقق فتحي أحمد مصطفى علي الدين دار النشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي تاريخ النشر ١٤٠٢ه ١٩٨٢م.
- طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
- العباسي، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد (ت:٢٩٦هـ)، البديع في البديع، الناشر: دار الجيل الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: (ص١٤٠).
- عبَّاس، فضل حسن عبَّاس (ت ١٤٣٢ ه)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت:نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩هـ: (ص٣٨٠).
- ابن عقيلة، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت:١١٥٠هـ)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، وأصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم). الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (المتوفى : ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت:٢٠٧هـ)، معاني القرآن، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري ت: ٦٧١هـ ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- محمد عثمان بإشراف: محمد جواد النوري، معجم المعاني الجامع، مصورات مكتبة الجامعة الأردنية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١هـ)، لسان العرب، من دون تحقيق له حاشية لليازجي وجماعة من اللغويين الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي (ت:٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت:٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت:١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (ت:٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: مازن المبارك /محمد علي حمد الله الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

أدب تقريظ الكتب في التراث العربي

الدكتور إسلم بن السبتي
موريتانيا

يجد الباحث في المخطوط العربي، كثيرا من النصوص الشعرية ذات البعد المدحي لمجموعة كبيرة من كتب الثقافة العربية، حيث قرظها أعلام معروفون، ومدحها غيرهم ممن لم نقف على أسمائهم، وبهذا تكونت عندنا مادة لموضوع لم يعتن به الباحثون كثيرا، فأخذت على نفسي دراسة هذا الموضوع الثر، بعدما تبين لي أن الدراسات حوله تكاد تكون منعدمة، ومن هنا تكمن أهمية طرقه ضمن إشكالية واسعة تتمحور حول الكم الهائل من النصوص التي تضمها الكتب المخطوطة والمطبوعة والتي لم يصنفها الباحثون ضمن حقل معين من حقول الأدب المعروفة، فمن هنا كان من بين أهداف هذا البحث طرح إشكالية تصنيف هذا اللون من الأدب، ومن ثم دراسته في حقوله المعرفية وتقديمه للقارئ، وإماطة اللثام عن تلك الثروة الكبيرة، التي ولا شك أخذت مضمونا خاصا بها لتنضم إلى موضوع من موضوعات الأدب، له لغته ومعناه وأسلوبه.

لقد تمفصلت هذه الدراسة من خلال منهج محكم، داخلي يصف النصوص ضمن حقولها المعرفية: كتبَ لغة كانت، أو شروحا لغوية، أو علمَ تفسير، أو علم السيرة النبوية، وغيرها، ثم أحكمت بنياته ضمن نسق تجلى من خلال محورين كبيرين:

أولهما: أدب تقريظ الكتب في التراث العربي عامة.

وثانيهما: التقريظ في التراث الشنقيطي.

وانطلاقا مما تقدم نقول وبالله التوفيق:

أولا: أدب تقريظ الكتب في التراث العربي عامة

ـ مفهوم التقريظ

قال ابن منظور: "أَبو زَيْدٍ: قَرَّظَ فلانٌ فُلَانًا، وَهُمَا يَتقارَظانِ المَدْحَ إِذا مَدَحَ كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صاحَبه، وَمِثْلُهُ يتَقارَضان، بِالضَّادِ، وَقَدْ قرَّضَه إِذا مَدَحَه أَو ذَمَّه، فالتَّقارُظُ فِي المَدْحِ وَالْخَيْرِ خَاصَّةً، والتَّقارُضُ إِذا مدَحَه أَو ذَمَّه، وَهُمَا يَتَقَارَضَانِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ[1]. وعلى هذا الأساس فالتقريظ هو استحسان من شخص معين لأثر من أثار أحد الأدباء أو الشعراء، أو النحاة

أو اللغويين وغيرهم. وقد طال كل ما يسجله الإنسان، سواء بإعجاب موضوعي، أو تحاملي. والمقرظون يركبون لغة الشعر والنثر، فإما أن ينشدوها أشعارا مبينة عن الموضوع، وإما أن يدبجوها نصوصا نثرية بالغة التأثير، جميلة التركيب، حسنة السبك، مجلية عن المقصود.

إن أدب تقريظ الكتب، قديم عند المؤلفين، يذكرونه على خجل تحت عنوان: مدح الكتب، ومن دون تفصيل لمعانيه ومقاصده التي ولا شك تعد ثروة أدبية طريفة بما يحمله من وشائج وإعجاب كبيرين من طرف المُقرِّظ للعمل الذي يقرظه ولصاحبه الذي أنتجه.

لقد جمعت في هذا العمل مجموعة صالحة من النصوص الشعرية والنثرية، قصد وضع مضامين هذا الأدب أمام أعين الدارسين، وحرصت على أن تكون النماذج مستوعبة لمجمل الأماكن العربية مشرقها ومغربها.

ومما مهد به أحد الأدباء، للإشادة بالكتب، والتنويه بها، قوله[٢]:

سَرَاويلُهُ فُصْحَى اللُّغَاتِ وَإِنَّـــــــهُ

أُعِدَّ قَمِيصًا شِعْرُ نَجْلِ مُـــــــهَيِّبِ

وكان كِتَابُ البُرْدِ قَلْنْوسَةً لَـــــــهُ

بِإِبْنِ دُرَيدٍ اعْتَمَّ عِلْـــــــمُ التَّأَدُّبِ

وَبُرْنُوسُهُ فاعْلَمْ مَقَامَاتُ قَـــــاسِمٍ

عَلَى المُصْطَفَى الهَادِي الصَّلاَةُ مِنَ الرَّبِ

وقال الفيروزآبادي حين سأله بعضهم عن رأيه في كتب الشيخ ابن عربي الحاتمي فقال:

«اللهم أنطقنا بما فيه رضاك، الذي أعتقده في حال المسؤول عنه وأدين الله تعالى به، أنّه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً، وإمام الحقيقة حقيقة ورسماً، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً، إذا تغلغل فكر المرء في طرفٍ ... من بحره غرقت فيه خواطره وهو عباب لا تكدره الدّلاء، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء، وكانت دعواته تخترق السبع الطّباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق، وإنّي أصفه وهو يقيناً فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظني أنّي ما أنصفته:

ومـــا علـيّ إذا مـا قـلـت معتقدي

دع الجهول يظنّ العدل عدوانا

والله والله والله العظيـــــــم ومن

أقامه حجّةً للـــــــــــدين برهانا

بـــأنّ مـا قـلـت بـعـضٌ مـن مناقبه

ما زدت إلاّ لعلّي زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر، التي لجواهرها وكثرتها لا يعرف لها **أول** ولا آخر، ما وضع الواضعون مثلها، وإنّما خصّ الله سبحانه بمعرة قدره أهلها، ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها، وتأمّل ما في مبانيها، انشرح صدره لحل المشكلات، وفك المعضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس من خصّه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية»[٣].

عرفت المؤلفات اللغوية باستيعابها للمفردات العربية والتقعيد لها، فكانت قبلة لقراء العربية، ومن هنا ظهر إعجابهم بها، فكان التقريظ هو السبيل الوحيد لإبداء الإعجاب بمضامينها، لا بل بالأعلام الذين أنتجوها، فقد افتن بعضهم بالعلامة ابن مالك وبما أبدعه من جميل الكلام

في الحقول المعرفية، سواء نحوها، أو صرفها أو مقصورها، أوممدودها؛ حيث قال الشيخ محمد الخضراوي[٤]:

للهِ مَـا أَبْـدَى ابـنُ مَـالِـكٍ الـرِّضَـي

لِجَمِيعِ أَرْبَابِ المَعَارِفِ كُـــــــلِّهَا

مِـنْ كُـلِّ تَصْنِيفٍ مُفِيدٍ نَـــــافِعٍ

مُتَكَفِّلٍ لِلْمُشْكِلاَتِ بِـــــــحَلِّهَا

فَـيـهِ تَـصَـارِيـفُ الـمَـعَـانَـي جُمِّعَتْ

وَبِبَيِنِهِ قَدْ بَانَ فُرْقَةُ شَـــمْلِهَا

أَفْعَالِهَا أَسْمَائِهَا مَمْـــــــدُودِهَا

مَقْصُورِهَا مَهْمُوزِهَا مُعْتَـــــــلِّهَا

أَضْـحَـتْ عَـلـيـهِ بِـأَدْمُـعٍ مُـنْـهَـلَّـةٍ

تَبْكِي وَتَنْدُبُ أُنْسَ صُحْبَةِ خِلِّهَا

أَوَلَـيْـسَ تَسْهِيلُ الـفَـوَائِـدِ صُنْعَهُ

وَمُصَنَّفَاتٌ لاَمَرَدَّ لِفَضْلِـــــــــهَا

مَـا بَـيـنَ مَـنْـثُـورٍ وَمَـنْـظُـومٍ غَـدَتْ

هَيهَاتَ لاَ يَأتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِـــهَا

فَسَقَى الإلـهُ بِـفَـضْـلِـهِ رَمْـسًـا لَـهُ

رُحْمَى تَدُومُ عَلَى ثَرَاهُ بِوَبْـــلِهَا

وهذه الأبيات الجميلة المبينة عن المعنى المقصود، نعتبرها لحظة تفرد وإعجاب ممن طالع كتب ابن مالك، وكتب ما يراه تقريظا لها بكل صدق وواقعية. ومثل هذا اللون من الأدب يوجد على ظهرية المخطوطات، بعد قراءة من قرأ، فأثبت ما اختلجت به نفسه اتجاهها.

ومـن نـادر التقريظ مـا نقله الشيخ ابن غازي من خط ابن المجراد؛ حيث أشار إلى الخلاصة، التي جمع فيها ابن مالك مباحث النحو، وبحسب رأي أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران، الشهير بـ»ابن المجراد» السلاوي المتوفى سنة٨١٩هـ، فإن هذا النص لا بديل له في العربية، وقد شغف به هو نفسه، بحيث أنه لا يوجد مثيل لها في أي يوم من أيام الدنيا ولن يكون[٥]:

خلاصة النحو لا أبغي بها بـــــــدلا

مستغرقا درسها في كل أوقاتي

قد جمعت لب علم النحو مختصرا

نظما بديعا حوى جل المهمات

قل لابن مالكٍ إنِّي قد شُغِفْت بهـــا

لم يأت مثلٌ لها يوما ولا ياتي

وها أنا أسأل الرحمن مغفـــــــــرة

له تبوئه في خير جنـــــــــــات

وإذا كان الشاعر السابق قد أوضح قيمة ابن مالك وما حاز من علم ودراية، فإن هناك من خص بعض كتبه بعينها، فها هو أحدهم، يقرظ كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد؛ حيث يرى بأنه كتاب جامع لمعاني النحو حتى أضحت كتب النحو بلا معان مع ما استوعب هو من تلك المضامين فهو كاف ومستوف لكل ما يتطلبه القارئ؛ حيث يقول:

حـوى التسهيل علـم الـنـحـو طـرا

فـيـا قـاريـه قـد نـلـت الأمـانـى

ألـم تـر أن كـتـب الـنـحـو أضحت

لـديـهـا كـالـكـلام بـلا مـعـانـي

وعبر الشاعر التاج بن مكتوم بمضامين ذات بعد تقريظي، حيث قال بأن الكتاب روضة من رياض العلم، يرتاده كل من احتاج إلى استيعاب علم النحو، فقد جمع واستوعب، وقرب إلى الأفهام، وذلك بلغة جميلة يفهمها الجميع، فقال موضحا ذلك[٦]:

ألا إن التسهيل روض لذي العلم

ومنثوره يربي على اللؤلؤ النظم

حوى كل حسناء من النحو زُيِّنَت

بجودة ألفاظ تروق أخا الفهم

لئن قل حجما فاهتدىَ بصغيره

أو اعتاص فهما فالزلال من الصم

ومما طرزها به أبو حيان التوحيدي، قوله[٧]:

أَلاَ إِنَّ تَسْهِيلَ الفَوائدِ فِي النَّحْوِ

كِتَابٌ جَلِيلٌ كُلَّ نَادِرَةٍ يَحْوِي

هلِ الكُتْبُ إلاَّ أَنْجُمٌ وهو شَمْسُها

سَنَاهُنَّ يَمْحُو إنْ بَدَتْ أَيَّمَا مَحْوِ

ومن كتب النحو التي لاقت رواجا كبيرا عند المقرظين، نلتقي بكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين المتوفى سنة ٧٦١هـ[٨]، وهو كما هو معلوم من الكتب النادرة التي تناولت مبحث الحروف، ومن خلاله ما يعرف بنحو الجمل، ومن ولع الشعراء والكتاب به، وألبسوه حللا من المدح العجيب، بالكلام الرقيق، المجلى عن ما في الكتاب من تميز، فقد أنشأ القيراطي، برهان الدين، أبياتا يشيد به، **ويعده** من أحسن الكتب التي ألفت في موضوعه، وكأنه عروس تجلت في محاسنها، أو شمس بازغة في سماء الحسن، فلم يعد أحد يستغني عنه في موضوعه، فقال[٩]:

جلا ابن هشام من أعاريبه لنا

عروسا عليها غيره الدَّهر لا يبني

وأبدى لأصحاب اللسان مصنفا

يُفَدَّى بعين كلما حل في أذني

وأهدى لهم من كنزه الذهب الذي

تقر له الشمس المنيرة بالحسن

ولقَّبه مغني اللبيب فأصبحوا

وما منهم إلا فقير إلى المغني

وما ألطف قول الشيخ محمد بن أحمد بن نباتة راثيا له[١٠]:

سَقَى ابنَ هِشَامٍ فِي الثَّرَى نُوءُ رَحْمةٍ

تَجُرُّ علَى مَثْوَاهُ ذَيلَ غَمَامِ

سَأَرْوِي لَهُ مِنْ سِيرَةِ[١١] المِدْحِ سِيرَةً

فَمَا زِلْتُ أَرْوِي سِيرَةَ ابنِ هِشَامِ

وأردف بدر الدين الدماميني[١٢]، وهو من هو في موضوع النحو وشروحه عليه أن هذا الكتاب مصنف بالغ الأهمية، جليل في موضوعه، جنة فتحت أبوابها السبعة لولوج كل من له حاجة في علم النحو؛ حيث قال:

ألا إنما مغني اللبيب مصنف

جليلٌ به النحوي يحوي أمانيه

وما هو إلا جنة قد تزخرفت

أما تنظر الأبواب فيه ثمانيه

وقال الشريف أبو الطاهر[١٣]، يذكره ويقدمه على كل تصانيف النحو، وهو مغني بمضمونه ومعناه عنها إذا ما اجتمعت، فيقول:

هـلال تـصـانـيـف الـنـحـاة بجملة

إذا ما أتى عنه سؤال لسـائل

ليعرف عند العارفين حقيقة

بمغني اللبيب عن جميع المسائل

أما أبو بكر بن أحمد فقد مدح المغنى[١٤]، وأظهر فائدته وذلك بتقريبه لمعاني النحو، فليس له مثيل في ذلك، وبذلك يستحق التقريظ من كل من قرأه، فقد أضاء كل الأرجاء بما بسطه من علم النحو، وحيث كان الجميع منتظرا لتلك المزية، فقال:

ألااليس للمغني شبيه ولا مـثل

لقد ظهرت منه المزيـة والفضل

فقرب أقصى النحو رادا شريـده

وأتحف زُوارًا تـوَاصَوا بِهِ قَبْلُ

على الفلك الأعلى من النحو زائرا

فضاءت به الأرجاء وانقشع المحل

ألا فامدحوا مغنى اللبيب فإنـه

مصابيح إعراب يُذادُ بها الـجهل

وقال آخر[١٥]، إن مغني اللبيب قد استغنى به صاحبه عن كتب النحو، فهو بدر وكوكب لأهل النحو، يفخرون به، حيثما كانوا، وأين كانوا؟:

ألا إن لِلَّبيبِ مُغني بِمُغْنـه

يَفوقُ به النُّحاةُ عِلمًا مُفَـخَّمَا

فـإن قـيـل لـلـنـحـاة بـدرٌ وكـوكـب

يـقـال هُـوَ المغني يَـلُـوحُ مُنجمَا

وإذا كانت كتب النحو عند ابن مالك وابن هشام قد نالت قسطا وافرا من التقريظ عند بعض المؤلفين أو الكتاب المعروفين، فإن هناك شاعرا قد وقف عند تقريظه أحد المؤلفين ألا وهو كتاب ارتشاف الضرب لأبي حيان فقد ذكر هذا الناسخ بأن الكتاب هو كتاب من اللسان العربي المتميز وصاحبه طود شامخ في المضمون نفسه ثم ذكر اسمه **والمدة** الزمنية التي انتهى نسخه فيها، فقال[١٦]:

تم ارتشاف الـضرب

مـن الـلـسـان الـعـربـي

للعمدة الحبـر أبي

حـيـان طـود الـعـرب

على يدي عبد اللطيـف الأزهري المذنـب

في عـام سبعة تلـت

عـشـرا لـهـجـرة الـنـبـي

ومئة بعد ألـف أرخـت فـي الـكـتـب

ومن كتب اللغة إلى كتب التفسير، فقد وقفت على أنموذج يقرظ فيه أحدهم كتاب الكشاف لجار الله الزمخشري، حيث يقول بأن كتب التفسير كثيرة وما منها مثل كتاب الكشاف، فإن من له بصيرة لن يقدم عليه أي كتاب لما استوفاه من معالم علم التفسير الضرورية، فقال موضحا ذلك:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد

وليس منها لعمري مثل كشافي[١٧]

إن كنت ذا بصر فالزم قراءته

فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

ولعلوم الفقه الأثر البارز عند القراء والمطالعين له، وكانت رسالة ابن أبي زيد القيروان من المتون الذائعة الصيت في بلاد المغرب العربي، فكانت أن نالت النصيب الأكبر من التقريظ والمدح، لما قدمت من معارف فقهية في متناول المبتدئين، فحفظها بعضهم، ودرسها دراسة متفحصة، فجاءت النصوص تترى توضح مجموعة من المعاني **المهمة** التي تتسم بها الرسالة حيث قال أحدهم مقرظا لها[١٨]:

دعا ابن أبي زيد وطاف بمكة

لقارئه بالمال والعلم والدين

فكن راغبا في حفظه ودراستِه

لعلك أن تحظى ولا ترض بالدّيْن

وعرفها أحدهم أيضا وأشاد بما فيها من الشرائع والأحكام والأدب، فهي مغنية عن جميع الكتب، وتفوق وزنها ذهبا، فقال[١٩]:

هَذِي رسالةُ عبدِ اللهِ نَجلِ أبي

زيدٍ ومِنْ وَضْعِهِ في الفقه والأدبِ

إن الرسالة فيها كل فائدة

من الشرائع والأحكام والأدبِ

فكن حفِيظًا لها وافهم معانِيَّها

تكفيك ما دونها من سائر الكتبِ

لو أنها وُزِنَت بالتبر قللها

ولم يكن وزنُها بالتبر بالعجبِ

ومن ذلك أيضا القصيدة القافية التالية المشيدة بالعلامة عبد الباقي وبمؤَلفه الشهير في علم الفقه؛ حيث يقول صاحبها[٢٠]:

من كان للتحصيل ذا أشواق

في أي ما فن على الإطلاق

فعليه بالصد العديم نظيره

في مصر شيخ الوقت عبد الباقي

فله انتهى تحقيق مذهب مالك

فيها بإطباق من الحذاق

ولقد كفته شهادة الشرح التي

سارت به الركبان للآفاق

وبه ثمار فوائد التخليص من

روض الشروح المزهر الأوراق

وبه الشوارد قيمرت والحل ما

في غيره من مشكل الأعلاق

ومن كتب الفقه كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، المجدد للفقه، فقد أنشد بعضهم الأبيات التالية يذكر فيه اسم المؤلف، مضيفا إليه هذا الكتاب أحيى دروس العلم بعد مواتها فهو إبداع في تخصصه، فقال[٢١]:

لِمُحَمَّدِ بن محمد بن محمد

فَضلٌ على الأعيان بالتَّعيينِ

أحيَى دُروسَ العلْمِ بعد مَوَاتِها

فكأَنَّه أَحيَا عُلومَ الدِّينِ

ومن تلك الكتب التي وقفت على تقريظ

لها ضمن المجموع الذي جمعته لكتب الفقه، كتاب الْعباب وَالْمُحِيط بمعظم نُصُوص الشَّافِعِي، لأَحْمد بن عمر بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن القَاضِي يُوسُف بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن حسان بن الْملك سيف بن ذِي يزن المدحجي السيفي الْمرَادِي شهَاب الدّين الشهير بالمزجد، وهو كتاب طريف جمع أطرافا من علوم الفقه ضمن منهج بديع مما جعل العلماء يشتغلون به، وقد قرظه هو نفسه بقصيدة رائعة استوعبت جملة من محاسن الكتاب، فهو سفر جليل من الأسفار القديمة، جمع فيه صاحبه معارف كثيرة في أوقات صعيبة وقربت المعاني لطالبيها، بعد ما غاص في بحور الفقه حتى يجمع ما يريد من معارف، فاستبانت له الطريق واضحة، فولدت جوهرة من الكمال الفقهي وما عليك إلا أن تثق بما فيها، ثم أنهى الشاعر القصيدة بالدعاء له والرجاء من عند الله أن يتقبل كل الجهد المبذول في تأليفه، وأن يرحمه بجاه محمد _**صلى لله عليه وسلم**_.

ألا إن العباب أجل سفـــــــــــــــر

من الكتب القديمة والجديـــــــــده[٢٢]

كتاب قد تعبت عليه دهـــــــــــرا

وخضت لجمعه كتبًا عديـــــــــده

وقربت القصي لطالبيـــــــــــــه

وقد كانت مسافته بعيـــــــــــــده

وغصت على الخبايا في الزوايا

فها هي فيه بارزة عتيـــــــــــده

وكم قد رضت فيه جياد فكـــــري

ومرت لي به مدد مديـــــــــــــده

إلى أن بلغ الرحمن منـــــــــــــه

مرادي من مواهبه المديـــــــــده

فدونك كنز علم ليس تلـــــــــقى

مـدى الأزمـــان فـي الـدنـيـا مـديده

وثق بجميع ما فيه فإنـــــــــــــي

منحت العلم فيه مستفيـــــــــده

إلهي اجْـعَـلْـهُ لـي ذُخـرًا وضاعف

ثـوابـي مـن عطاياه الحميـــــــده

وجد بقبوله واجْعَلْ جـــــــــزائي

رضـاك وجنة الخلد المشيـــــده

بجاه محمد خَيرِ البـــــــــرايا

ومنقذهم مـن الـكـرب الشديـــده

وصل مسلما أبدا عـــــــــــليه

وَعم جميع عترته السعيـــــــده

ومن الفقه إلى الحديث الشريف فهذا كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، للإمام الحافظ المحدث بالديار اليمنية، **أبي** الضياء، وحيد الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع، الشيباني، المتوفى سنة ٩٤٤هـ، له في مدح كتابه هذا[٢٣]:

عليك بتيسير الوصول الـذي حوى

أصـول الحديث الست ليس له ثاني

موطؤها ثم البـــــــخاري ومسلما

مع النسائي والترمذي والسجستاني

لقد عز في الدنيا وجود نظيـــــــره

لما فيه من علم عظيم وتبيـــــــــان
فدونك ذي التيسير فالزمه طـــالبا
ولاتشتغل عنه بعـــــــــال ولادان
وإياك أن تعدل به نظـــــــــراءه
من الكتب أو يثنيك عن درسه ثان
فسوف ترى عما قريب من اعتنى
به بين أعلام الورى عالي الشان
إلهي حقق لي وللطالبين مـــــا
رجوت به واختم بخير وإحســـــان

وله أيضا[٢٤]:

كتابي تيسير الوصول الذي حوى
أصول الحديث الست عز نظيره
فمن بمعانيه اعتنى وبدرسـه
وتحقيقه استغنى ودام ســـــروره

وله أيضا[٢٥]:

كتابي تيسير الوصول الذي حوى
أصول الحديث الست ليس له مثل
عليك به حصله واقرأه واجتـــــهد
وحقق معانيه يتم لك الفـــــضل

وفي حقل آخر من حقول المعرفة ولكن هذه المرة عند المغاربة نقف على تقريظ لكتب ابن الخطيب؛ حيث نعتها أحدهم بأنها ألذ من الصبا، فلا راحة توازيها، وهي كالطيب في رائحته التي تعم الجميع؛ حيث يقول[٢٦]:

تصانيف الوزير ابن الخطيب
ألذ من الصبا الغض الرطيب
فأية راحـــــــــة ونعيم عيش
توازي كتبـــــــــه أم أي طيب؟

ومن السيرة نقف على كتاب مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية، للإمام رضي الدين، حسن بن محمد الصغاني، المتوفى، سنة ٦٥٠هـ[٢٧]، فقد قرظه العلامة محمد ابن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، بمقطوعة ذكر فيها جملة من المعاني تفيد اسم المؤلف وكتابه البحر في ميدانه، فقد أشرقت فيه شمس العلوم وتميزت بالمعاني الصافية ذات البلاغة الراقية، وهي معان تقاس بثقافة صاحبها الإمام الصاغاني المتميز بابتعاث الحياة الدينية والشرعية، واتباع السنن القويم، فحياه الله وأرضاه بالإحسان والفضل والمنن الفضيلة. فقال[٢٨]:

كتاب رضي الدين بحر غطمطم
جواهـره الزهراء جلت عن الـــثمن
مشارق فيها للأماني شـــــوارق
سرين كسير الشمس في رينـــة الزمن
فإني بصرف العمر نحو اقترائه
ففيها المعاني والفصاحـــــة واللسن
صغانة أطيار الغصون ترنمت
بمدح الصغاني المتقن الفاضل الحسن
سقى الله روح الملتجي بفنائـــــه
ومحيي التقى والدين والشـــرع والسنن
وحياة بالتهتان من صوب سيبه

مقالات

وأرضاه بالإحسان والفضل والـــــمنن

وهناك من قرظ كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، فقال:[٢٩]

هـــذا لـعـمـري فـي الـــذي بـان

شـقـى مـن الـغـوص ونـقـل الحجر

ما هو إلا فيض خالقنـــــــــــــا

قـد فـاضـه فيضا عـلـى ابـن حجر

ومن كتب شروح الحديث، نستعرض هنا أبيات الأديبة عائشة الباعونية في حق كتاب زوجها

إرشـاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك، القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين[٣٠]؛ حيث قالت:[٣١]

ماتم بعْدَ كَلامِ اللهِ مُعْتَمَـــــــــــــدٌ

عليه غيرَ كَلامِ المصطفى الـــــهَادِ

وما تفرد عن أَصْلَيْهِمَا ولـــــــــــهُ

لدى الحقيقة إسناد بإمـــــــــــــدَادِ

وليس في الكُتْبِ الست التي جَمَـــــعَت

شمل الحديث بإيراد وَإِسْنَـــــــــــادِ

أسنى من الجامع الأَسْنَى الذي شهدت

بفضله الناسُ من حَضْر ومن باد

فالزم هداه وإن تَطْلُبْ حَقَائِـــــــــقَهُ

سَلِ المُهَيمِنَ تَوفِيـــــــــقًا لإرشاد

بحله المشكلات من غَوامِـــــــــضِهِ

وَضَبْطِهِ الكلم يَشْفِي غُلَّـــةَ الصَّادِ

ومما مدح به الشفا للقاضي عياض اليحصبي وهو كتاب نافع درج أهل بلاد شنقيط على قراءته في مساجد مدنهم القديمة مثل شنقيط ووادان وتيشيت وولاتـة، يختمونه تبركا بسيرة النبي صلى الله عليه وذلك في شهر رمضان المبارك وهذا ما أدى بأهل تلك المدن لمدحه وتقريظه وقد يكون صاحب الأبيات **الآتية** أحدهم على سبيل الظن وقد استشفى الشاعر هنا بالكتاب واسمه، فقد هداه إلى الطريق السليم وذكر بحسن صفاته فقد اهتدى بهديه واستن بسنته. وقد أكمل الأبيات بالدعاء وطلب المغفرة لجامع الكتاب وهو نفسه عياض، وأن يجمعهم في جنان الخلد بسبب تلك المحبة التي أبان عنها صاحب النص لشخص عياض _**رحمه لله**_.

شفاني الشفا لما قرأت فصولـــــــه

تعرف حق المصطفى كل مهتدي[٣٢]

نعم وهدى قلبي بحسن صفاتـــــــه

لما لم يكن قلبي إليـــــــــــه ليهتدي

فيا رب عـوض نفس جامع نظمه

عياض عن الدنيا بوجهك في غد

وهبني له واجمع به شمل صادق

محبة نية في نعيـــــــــــــم مؤبد

فإني قد أحببته مخلصا لـــــــــــما

بدا منه في حب النبي مـــــــــحمد

ولا شك أن المـرء مـع مـن أحبه

وأخلص ودا عاريا عن تـــــــــــردد

وأما شرح الشهاب الخفاجي[٣٣] والموسوم بنسيم الرياض في شرح الشفا، فقد أجاد أحدهم في

هذه القصيدة الرائعة المعبرة، عن فهم للخفاجي ودراية لما قام به من عمل اتجاه كتاب الشفا، فقد درسه دراسة أوضحت إسناده، وأظهرت ما خفي من معانيه، وحل عقودها بألفاظ مسبوكة، وأجاد في تصريف حِكَمِه، فقد أمضى الليالي وهو يدرس خباياه ويغوص في خفاياه حتى يخرج المفيد، وبذلك اتضحت مشكلاته، فجزاه الله في الدنيا خيرا، وفي الآخرة رحمة لما أظهر من حسن الصنيع لهذا الكتاب المؤثر في الحياة الثقافية. وقد قال الشاعر في ذلك:

جلا الحبر الشهاب لنا شفاء
وبين منه للراوي الدواء
تتبع فيه إسنادا ومتنا
وأوضحه ابتداءً وانتهاء
وأظهر ما خفى بدقيق معنًى
فأسفر وجه معناه وضاء
وحل عقود معناه بسبك
كدر قد تنظم واستضاء
وأبدع في معانيه بيانا
بتصريف وأحكمه بناء
وكم أمضى لياليه بِسُهْدٍ
وهذب ما يؤلفه انتقاء
وغاص على الخبايا في الزوايا
فأبداها بلطف كيف شاء
وأوضح مشكلات كن فيه
ورد توهما من حيث جاء
وصوغ من شميم الحق عَرفا
بفكرته التي اتقدت ذكاء
وزيف زخرفا وألاح وجها
يزيدك عند رؤيته اهتداء
حباه الله في الدنيا قَبولا
وفي الأخرى نعيما وارتقاء

وقال فيه آخر[٣٤]:

إن الشهاب شهاب يستضاء به
في العلم والحلم والآداب والحكم
سقى الخفاجي غيثا كلما بقيت
هدى المصابيح في الأوراق والكلم

وهذا شاعر آخر يقرظ كتاب بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، لعبد الله بن سعد بن أبي جمزة الأزدي، المتوفى سنة ٦٧٥هـ[٣٥]، وهو نص طويل أسهب فيه الشاعر بما أضفاه من الصفات الكريمة على مؤلف الكتاب، وبما خدم به السيرة النبوية، ثم توسل به بغية تيسير الأمور واستجلاب الرحمة والعافية، والنص كما نراه يتسم بالوضوح وسلاسة المعاني، والتدليل على المقصود بالعبارة المبينة والأسلوب الواضح؛ حيث قال[٣٦]:

لله در أبي محمَّدْ
سَالِك في ذَا الطَّرِيق الأحمدْ
ما لم يخضه سواه قَبلاً
مَبَانيًا فخرها تشيدْ
في خدمة المصطفى تعلت
فوق السَّما رُتْبَة تفردْ

لابني أبي جمرة بـــــــــــــهذا
عند الإله حلًى تَجَـــــــــــــــددْ
قد نالها عاجـــــــــلا وزادت
زيادةً ذُخْرُها تَزيَّـــــــــــــــدْ
ففي المَـرَائِـي لـــــــه عُلاها
أبداه خِيرةَ من تهجـــــــــــــدْ
زاكـــي الـشـمـائـل ذو الـمـرايـا
نافي الرذائل والمـــــــــــــــؤيدْ
مـوتـي الـعـطـايـا لطالبيهـــــا
موتي المناكل من تـــــــــــودْ
أتـقـى الـخـلـيـقـة مـن لـــه في
باب الكمال عُلًى تقصـــــــــــدْ
صـلـى عـلـيـه الـــذي اجـتـبـاه
مُسَلما دائمـــــــــا مـــــــــردْ
ربي بحرمته نُرَجِّـــــــــــي
تفريجَ كَرْبٍ بنـــــا تشـــــــــدْ
عجل لنا ربنا بيســـــــــــر
في جاه خير الأنام أحمـــــــــدْ
واللـهَ رَبِّـي فـي اخْتِتامِـــي
وفي تمام المقال أحـــــــــــمدْ

ومن الكتب ندلج إلى تقريظ الشروح الأدبية، فقد عجت الساحة الفكرية ببعض منها، وقد وقفت على أنموذج فريد سطره صاحبه في مؤلفه، ونقصد بذلك ما قام به أبو بكر البغدادي في كتابه: حاشية على بانت سعاد، حيث جاء ما يأتي[٣٧]:

ولما قدمت في هذه الوفادة دمشق الشام، في سابع ذي القعدة من سنة أربع وثمانين وألف، سمع بهذه الحاشية السيد الشهم، والنبيل الفخم، من طاب أصله وزكا ميلاده، وأقر بفضله في جميع العلوم حساده، السيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني الكاظمي، نقيب السادة الطالبية، بدمشق المحمية، استعارها مني. فبعد أن تأملها، ودقق نظره فيها، قرظها بهذه القصيدة، والقافية البديعة الفريدة، تدخل الأذن، بلا إذن، وتستقر في مجامع القلوب، لا في الدفاتر والجيوب، وكتبها على ظهر الأصل بخطه الشريف، منوها بذكر هذا العبد الضعيف، وهي:

هـــذي فـــرائـــدُ كـالـخـرائـد
زادت بهًى بحلى القـــــــــلائدْ
طالعتها فَظَفرتُ بالـــــــــفضل
المؤيَّد بِالشَّـــــــــــواهد
من كل تحريرٍ لِبَحْـــــــث فيه
أفحَمَ كلَّ جَـــــــــاحِد
ومـتـيـنِ تـقـريـرٍ لِـــــمَا
بَهَرَ العقولَ من الفـــــــــوائد
وبـــدِيـــعِ تـمـهـيـد وتـســـــ
ـــــديدٍ بتقييد الشـــــــوارد
وجـــمـــيـــل تـــذلـــيـــل وتـــذ
ييل لتسهيل المقـــــــــاصد
وأزاهـــــــر نُـــسِّـــقَـــت وقـــد
بسقت على عقدِ الفـــــــرائد
فهي الـمَـشـيـدةُ باليد الـــــ

عُلْيا على أقوى القواعد
والمستفيدة بالمفيد
لها وفيات العوائد
لا غَرْوَ إن تَاهَتْ به
شَرَفًا وجَرَّت رُدْنَ مائد
فهو الفَريدُ الفضل تِرْ
بُ المكرُمَات أبو المحامد
مُبْدِي السَّوَانِح من قرا
ئحه جليِّات المشاهد
ومعيدُ آثارِ الأوا
ئل من أماليه التلائد
هو ذاك عبد القادر الـ
ـرَّاقي إلى أعلى المصاعد
صَدْرُ الأفاضل منتهى
شرف المحافل والمحامد
وَهَّاجُ قِدْحُ الزند عن
د النقد وَضَّاحُ الفرائد
لا زال محمود المآ
ثر آمنًا من كل حاسد

وهذا النص كما هو واضح ينبئ عن إعجاب كبير بنص البغدادي، ويعتبره ذروة في الثقافة حينما طالعها افتن بمضمونها، فهي زهرة نبتت في قلب المعرفة واجتناها صاحبها، وأخرجها إلى عامة الناس، فلم تترك شاردة ولا واردة إلا سطرتها، وصاحبها رجل فاضل متصدر للمحافل والمحامد، ولم يزل محمود المآثر، آمنا من كل حاسد، فالقصيدة ذات بعد تقريظي للمؤلف وصاحبه معا، ففي بعض هذه النصوص التي تدخل في أدب تقريظ الكتب قلما ركزت على النص وحسب، بل إنها في بعض الأحيان تجمع الأثر وصاحبه، فهذه خاصية من خصائصها البارزة. ويظهر من هذا كون المؤلف حمل نص التقريظ بنفسه وسجله في كتابه، فهو توثيق منه ولم يتركه يضيع، مثل ما قد يختفي من هذه النصوص التي توثق لحظة التقريظ في هنيهة من زمان.

ومن تقريظ الكتب، نقف على تقريظ القصائد الشعرية، ومثال ذلك قصيدة الشيخ شمس الدين محمد بن نجم بن نجم الدين الصالحي، يقرظ قصيدة شمس الدين بن النقار الحنفي:[٣٨]

مولاي شمسَ الدِّين يا ذا الإمام
أسمعتني نظمَ ملوك الكلام
أرشفت سمعي خمر نظم غدا
يلعب بالألباب لعب المدام
أذلك الزهر وقد نظمتَ
أَم زَهرُ روضٍ قَدْ حَكاهُ الغَمَام
قلناوقد راقت أناشيده
وزمزم الشادي في المقام
أمعبد بالعود غنى لنا
أم في ذرى العود ينوح الحمام
أتيت في الشعر بمستغرب
في رقيق اللفظ حر الكلام
أقلامك السمر العوالي حكت

بيض المواضي في مجال الخصام

يا فاضل العصر ويا من غدا

شمسا بها ينجاب عنا الظلام

دُمْ هكذا شمسا تفيد الورى

كما تفيد الشمس بدر التمام

وَارْقَ هِضاب الفضل واقرأْ لَنَا

مثاني الفضل فأنت الإمام

ما قرظ الشعر أدب وما

تطابق المبدأ حسن الختام

ومن القصائد الشعرية ذات المنزع التعليمي، قصيدة الشاطبية في علم القراءات، للقاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي، المتوفى سنة ٥٩٠هـ، وهي قصيدة فريدة في موضوعها، وقد قرظها أحدهم فقال[٣٩]:

قد انتهت في كمال الحسن وانتظمت

في عِقدِ عز وثِيقٍ غير منصرمِ

لله ناظمها في العلم حيث حوت

من الرغائب ما يهوي وما يُرمِ

أتمها طالبا للخير كاتبه

وراجيا دعوة تُنْجِي من الضَّرمِ

ملتمسا لجميل العفو عن خطأ

يلفيه ناقدها إن كان ذا كرمِ

في عام إحدى وعشر الألف مع مئة

من سلْخِ ذِي القِعد ثاني أشهر الحُرُمِ

أما النثر فقد وضعت يدي على تقريظ كتاب العهود المحمدية للشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي، المتوفى سنة ٩٧٣ه، وقد قرظه وأجازه عدد من أعلام الفكر في مصر المحروسة، بألفاظ رائقة، ومعاني جميلة في سبك لطيف، ضمن أعلاق من الكلم العجيب، المنبئ عن رؤية جمالية للمؤَلف، واحترام كبير للمؤلِّفِ، وأولهم شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي، القائل:"وبعد فقد اطلعت على البحر العجاج، المتلاطم بالأمواج، فسبحت فيه، وابتهجت بنفائس درره غاية الابتهاج، وردته ورود الظمآن أتى إليه من بعد فجاج، وتأملته مرة بعد المرة، فإذا تحت كل ذرة منه درة، ورأيته قد اشتمل من الفوائد على أدناها وأقصاها، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كيف لا وهو بحر من بحور عشره، يدرك ذلك من تأمله وتدبره. وبالجملة فهو مؤلف فريد في فنه".

أما التقريظ الثاني، فهو للإمام العالم العلامة الشيخ شهاب الدين الرملي الأنصاري الشافعي، "وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب، والفرد الغريب، والبديع الشريف، والمجموع الحسن الظريف، المشتمل على الألفاظ الرائقة والمعاني المنسقة".

أما التقريظ الثالث فهو للشيخ الإمام العلامة الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي، "وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف، والأسلوب اللطيف، المشتمل على حقائق ورقائق، ونكت لطيفة ودقائق حقيقة، بأن يكتب بماء الذهب، بل بسواد العيون، وأن تشترى بنفائس الأرواح، وكفى هذا المصنف شرفا أن لسان حاله وبيانه ناطق بعلو قدره وشأنه".

والرابعة للشيخ الإمام العالم العلامة، الشيخ

شهاب الدين الحنفي الشهير بابن الشلبي، "وبعد فقد على هذا الكتاب الذي هو تحفة المريد، وروضة الأحباب، فإذا البحر يغبه غبابه، والمشروع الذي يحلو لأهل الطريق شرابه، فوردت ماء فضله الصافي، وترديت برواء محاسنه الصافي، فالله تعالى يبقي مؤلفه أملا تصف خلقه المريدون فيؤمهم بنوافل فضائله وبره، ولا برح جيد الزمان خاليا بوجوده، والناس ناطقون بحمده وشكره.[٤٠]

فهذا الأنموذج الذي قدمه هؤلاء العلماء، يبين عن واقعية لا نظير لها في رؤية هؤلاء لهذا المؤلف، فهم يشدون على يد صاحبه، ويهنئونه بما أنتج من فكر مواز لأفكارهم، وما هيأه للقراء من علم يوافق هواهم، ويزيد في أفكارهم الباحثة عن الجديد في كل الميادين.

ومما كُسي به كتاب سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي، قول أحدهم، شعرا، ثم نثرا[٤١]:

هذا كتاب لو يباع بمثلـــــــــــــه

ذهبا لكان البائع المغبـــــــــــونا

ومـن العجائب أن تراني آخذا

ذهبا وأعطي جوهرا مـــــكنونا

هذا كتاب شريف يستدعي القلوب إلى حفظه، بما ظهر من مستحسن لفظه، من بارع عبارة، وناصع استعارة، وعذوبة مورد، وسهولة مفصل، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل، وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء، وتمكن ترتيب، ولطافة تهذيب، فهو مشرق في جوانب السمع، لا يخلقه عوده على المستعيد، وهو المتبع بالمسامع إن مضى، وهو المكرر حسنه إن كررا، وعاء ملئ علما، وظرف حشي طرفا، وبستان يحمل في رُدْن، وروضة تقلب في حجز ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء.

_ التقريظ في التراث الشنقيطي خاصة

في تراث بلاد شنقيط مجموعة نادرة من نصوص أدب التقريظ، طالت حقولا معرفية مختلفة، وقد وقفت على أول نص في الموضوع، وهو كتاب قدمه صاحبه بقوله:" هذا التقريظ المختصر على الكتاب الذي فضائله لا تختصر لأحمد بن محمد بن خَطْرِ" وعرض فيه لجملة من الأفكار الطريفة، وهي في جملتها رد على محمد يحيى بن سليمة فيما قدمه من اعتراض على بعض أفكار المتصوفة، فأظهر بطلانها وقدم بديلا لها حتى أزال الغشاوة التي شعر بها بعضهم في تطبيق تلك الأفكار، ثم دعا بالصلاة على النبي وصحبه إلى يوم الدين. فقال:

بعد التـأمل فـي معاني مـا سطرا

ردا على ابن سليم في ما منه طرا[٤٢]

من نحو قائد هذا الدين نجل أبي

الميسري أبي أحمد تحرير من سطرا

أقول والقول بالمضمون أحـــــرفه

تزهو ولا سيما إن صـــــــادف الدررا

ما ألف القوم في تأييد ملـــــــــتهم

كالسبل في صحة استـــــــقامة الفقرا

لما أفاد من الإيضاح في كـــــــــلم

طيا ونشرا بإسناد إلى الكـــــــبرى

أزاح عن كل ذي رين غشـــــــاوته

حتى أباد دليل الحق ما استترا
كم من أسارى بما تعيا القلوب به
فازوا به ووقاهم فتحه الضررا
حتى استبان المحققون حضرتهم
والسالكون سبيل السير قد سفرا
ومن غريب يواقيت به برزت
يملي على كل فهم قدر ما انتظرا
يا عجبا إن آية الكريم غدت
تتلى علينا بفضل ربنا صورا
سبحان من أبدع الوجود منقسما
وأنزل الحكم صورة كماسُوَرا
الله يولي كرامات كما كرمت
سُبْلَ الهدى منشئا سبل الهدى طررا
يا رب لا زال في حماك مؤتزرا
بما رضاك به خلقاك ما أمرا
يا رب صل على الهادي وشيعته
وصحبه ما استبان الدين وانتشرا

ومما وقفت عليه من أبيات تقريظية في موضوع علم العروض للمزمري[٤٣] ما قاله سيدي عبد الواحد القدوسي، حيث أشاد بما قام به من نظم لبحور الشعر بشكل مضبوط وبصنعة وفصاحة، وتجلية معان، وبفعاله صارت الدوائر والبحور داخلها واضحة للمتلقي. فقال:

لقد أحكم ابن اب نظم دوائرا
لِخَفْشَلَقٍ[٤٤] بَدَتْ نُجُومًا زَوَاهِرا[٤٥]
بأطول الشطر بلفظ مسدد
ينظمه في السطر نظم جواهرا
وأفصح قول ثم أبدع صنعة
معانيه أضحت للعقول بواهرا
فلله دره مبينا بفكِّه
الدوائر صارت البحور ظواهرا

لأهل بلاد شنقيط ارتباط وثيق بمختصر الشيخ خليل في فقه المالكية فقد كتبت عنه مقالا مطولا عكست فيه تلك الرؤية ووسمته: ب" حركة التأليف حول مختصر الشيخ خليل، مؤلفات الشناقطة أنموذجا[٤٦]، استعرضت فيه كل ما كتبه الشناقطة عن المختصر، وخاصة في الجانب النثري منه، وأغلب تلك المؤلفات شروح فيها إعجاب بالمختصر باعتباره دستور الفقه المالكي، غير أنني في هذه الفقرة أضيف إلى ذلك الجهد ما كتبه أحد الشناقطة تقريظا له ولكن هذه المرة بلغة شاعرية جميلة، وآية ذلك قول الفقيه محمد بن الفقيه أبي بكر الولاتي[٤٧]:

مريد البداية في مختصر
خليل فأني تنوم السحر
كتاب كريم رسى فيه ما
يكون الفتى وبه واستقر
فمن كان مبتدئاً فيه فلْ
ـيُلازم طوال الليالي السهر
فإن لم يكن فاعلا هكذا
تعنى وبالمبتغى اعتجر

خليلي لما أكن فاعـــــــــــــلا
كـمـا قـلـت فـيـه هـنـا مستطر
ولا كنت أسأل اللـــــــــــه أن
يبلغ للقلب منـــــــــه الوطر

وهي أبيات فيها إعجاب بالكتاب وطريقة قراءته، فلا بد للمعتني به أن يبذل جهدا، في القراءة والمطالعة، وأن يسهر من أجل ذلك طوال الليالي، فالكتاب يدخل في منهج المحاضر الموريتانية العريقة، ولا يستطيع أن يصدر منها أحد إلا بإكمال دراسة الكتاب، فتحصيله يتطلب مشقة ونسيان ذات حتى يستقيم له حفظه واستيعابه.

ومما وقفت عليه من أدب تقريظ الكتب، قول محمد بن علي في نصه المستعرض لاحقا، والذي تظهر عليه النفاسة، بدعوى ما قاله الشاعر في البيت الأول، ومما أردف في البيت الثاني بأنه جدير بأن يكتب بماء الذهب لدى كل عربي وأعجمي، فلا تَجِدْ أيها القارئ عن قراءته بل تمسك به، فأف لمن ترك ذلك، ثم أكمل الشاعر الأبيات بالدعاء لمؤلف الكتاب بطول العمر ونيل السعادة في الدار الآخرة، ولناسخه بالانتفاع بنيل العلوم والحكم، ثم صلى على النبي المختار، وهي أبيات جميلة، تتصف بالسهولة والبساطة، وصدق الشعور حول المشتغلين بتأليف الكتاب، وهذا مقصد نبيل منه في حق من بذل جهدا مضاعفا للتأليف والنسخ معا. فقال موضحا للمضامين السابقة:[٤٨]

ولما رأيت كتابا نفيســـــــا
تقبلته بلسان القـــــــــــلم
جـديـر بـمـا الـذهـب أن يكتبا
لـــدى الـعـرب كـلـهـم والـعـجـم
فبخ لناقله ثـــــــــــــم أف
وتـف لـمـن حـاد عنـــه وذم
وأدعـــو لـجـامـعـه طـول عمر
ونـيـل الـسـعـادة يـوم النعـم
وأدعو لناقله الإنتفـــــــاع
بـنـيـل الـعـلـوم ونـيـل الحكـم
وثـم الـصـلاة مـعـا والسـلام
عـلـى أحـمـد قـد أتـى بـالـنـعم

ومن كتب النحو في الثقافة الشنقيطية، كتاب: حبب الدلاصة في ترتيب التوضيح على الخلاصة للمنير بن حبيب الله الشمشوي المتوفى سنة ١٢٦٥هـ[٤٩]، وقد كتب أحدهم هذه المقطوعة والتي يوضح فيها أهمية كتاب حبب الدلاصة، وعلاقة الكتاب بالخلاصة لابن مالك، وبكتابه الآخر التوضيح، وكيف أن هذا الكتاب وبما قدم من شواهد دالة على حسن تأليفه، واستخلاصه للمعلومات من الكتب المبينة أعلاه، كان ضروريا في موضوعه، فلله در مؤلفه بما قام به من تأليف حسن، يفيد المبتدئ، ويعين المتخصص. قال:

حَبَبُ الدِّلاصة للخُلاَصةِ مُخْلِصٌ
تَلْخِيصَهَا بِمُهَذَّبِ التَّوضِيـــــحِ[٥٠]
وبها يبينُ لِمَن تَدبَّره مـنَ التْـــ
ـتَـوْ ضِيحِ مَا يُغنِي عنِ التَّصرِيـــحِ

مقالات

يُغْنِي عن الكُتُب الضِّخام لِكَونِه
شَـهِـدَتْ شَـوَاهِـدُهُ علَى التَّصحِيحِ
نَاهِيكَ منْه إفادةً إيضَاحُـــــــهُ
بِبَلِيغِ تَصْرِيحٍ وَبِالتَّلْوِيـــــــحِ
لِمَ لاَ وَمَحْضُ صَفَائِه منْ خَالصِ التِّـــ
ـتَو ضِيحِ ذِي التَّلْخِيصِ والتَّنقِيحِ
للهِ دَرُّ مُـؤَلِّـفٍ تَأْلِيفُـــــــهُ
يَحْظَى البَلِيدُ بـه لِـسانَ فَصِيـحِ

ومن النصوص المجهولة التي وقفت عليها، هذا النص الذي يتحدث فيه صاحبه عن شرح فريد، بما يعادل الجواهر، فهو يدعو للغوص فيه، وفي الوقت العذر إن لقي خطأ أو ما يماثل ذلك، فكن منصفا في نقدك الأشياء فقد تظهر صحيحة عند **بعضهم** وتختلف عند آخرين، فعليك تنزيل الأشياء في منازلها **وإعطاؤها** حقها مما تستحق من العناية والتمحيص، فالشارح قد شرح الأثر وقدمه للمنصفين، ولا يعلم هل سيكون العمل **موافقا** لهذا وذاك؟ فقال الشاعر موضحا للمضامين السابقة:

يا غائصا غور هذا الشرح ملتقطا
منه الجواهر كن من بالمنا اغتبطا[٥١]
واغـض الجفون عن قـذى تمر به
واعذر أخاك إذا ما زل أو غلـــــطا
أو جـاء بالحشو في أحشائه وغدا
فمن لصالحه بسيءٍ خَلَـــــطا
إذ رام قبض الثريا باليمين وهل
من رام ذلك إلا رائم شطـــــــطا؟
فللمحيط عـبـارات تـحيـط فمن
جارى عباراته في شأوها خبـــطا
فلينزل المنصف الأشيـا منازلها
وليعط كـلا على مـا يستحق عطا
الـلـه يـعلـم أن مـا كـنـت شـارحـه
وإنما فيضه من فيضه نبـــــــطا
ومـا عليك إذا أديـت شكر عَنَـي
كفاكه بنظام سمط ما سمـــــطا
وقـد أفـادك مـن غـر الـفـوائـد ما
يعده المستجيد تحفة وعـــــــطا
نَـعَـمْ وَجَـلَّاء أَسْـرَار مراقعها
وعـن حقائق عنها مـا أميط غِطَا

لقد قرظ الفتى الأديب السميدع الأريب أحمد بن محمد الأمين بن الشريف المختار، جملة من تقاييد فقهاء تيشيت، فقال[٥٢]:

هذي التقاييد في الأسماع تـــــزدان
هـي الـسلاح إذا مـا عَـنَّ فُـرْسَـانُ
فيها الدليلُ من القرآن مُقْـــــتبسٌ
مـا شَـانَ ألـفَـاظَـهـا جَـهْـلٌ وبهتانُ
بل زَانَها وَرَعٌ في نقلِ نَاقِـــــلِها
صـدقُ الـدلـيـل عليه الآن بُـرهَـانُ
قامت دعائِمُها بالحَقِّ فاتَّـــــصلت
منها الـفُـروعُ بـأصلٍ منه تِبيَانُ
حتى تبيَّن منها الرشدُ واعتـــــدلتْ
فوقِ السِّماك بنورٍ فيه قُـــرآنُ

لله منشِئُها قدْ حازَ مُكـرمَـةً
حِفْظُ الشريعةِ للخيرات عِنْوَانُ
ذاك الشريفُ بُوي أَحْمدُ الذي ظـهرت
منه العلُومُ بقولٍ فيه فُـرْقَانُ
مثل النَّصيحةِ في القصر التي اشتهرت
منها الدلائلُ إنَّ الحَقَّ إعْلاَنُ
حمدًا وشكرًا لمن قد خَصَّهُ شرفًا
بالعلم فضلا وحسبي اللهُ أَمَانُ
ثم الصلاةُ على المُخْتارِ سَيدِنَا
من قولُهُ كُلُّهُ للدينِ أَرْكَانُ
محمد الخَتْمُ والآلُ الذين هُمُ
أولُو الجِهادِ وهُمْ بالليلِ رُهْبَانُ

ويظهر من خلال هذا كيف أن الشاعر ذكر اسم المقرظ، وكساه من آلاء الرهبنة، ومن الغوص في شتى العلوم، إتقانا ومعرفة، وبناء متقنا، وصدقا ظاهرا، وتعاملا وطيدا مع الأمور الشرعية، حتى استبانت الطريق وانسرب الجميع في مهيعها، بما يوافق الدلائل الواضحة التي صاغها المؤلف في كتابه، وكان النص نتيجتها، وختامها الصلاة على النبي الخاتم وآله وصحبه الغر الميامين.

ومما نثره أحد العلماء الشناقطة الكبار وهو صالح بن عبد الوهاب الناصري، المتوفى سنة ١٢٧١هـ، حينما وقف على كتاب فتح الكريم المتعال لمؤلفه أحمد بن حمى الله المتوفى سنة ١٢٧٢هـ، فقال: "أما بعد فقد نظرت فتح الكريم الذي ألفه الفقيه أحمد بن حمى الله، الكريم بن الكريم، فتلقيته بالتصحيح والتسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لأنه أسسه بالنقول بالفروع والقواعد والأصول، ووشحه بالأبواب الصحيحة والفصول"[٥٣].

ومن تقريظ الكتب، ما يتعلق بحب الكتاب نفسه وطلبه أين ما كان، فمن ذلك أن المختار بن بون الجكني أراد نظم تسهيل الفوائد وتسهيل المقاصد، ولم يجد شرحا له يستعين به، فذُكر له الدماميني عند محمذ بن بابان العلوي، فقصده وقال [٥٤]:

أتيتكمْ يا قضاةَ العلمِ والدين
وليْسَ لي غرضٌ سوى الدمامينِ
عنْ كلِّ حِبٍّ به قد كنتُ ذا كلفٍ
وكادَ زائدةٌ قد كاد يُسليني
كأنكم وهي للتحقيق ترتفعوا
على ظنون فؤادٍ ذات تحسين

وقد استوجبت هذه الأبيات حكما نقديا، حيث قال محمذ المذكور، أعطوه له على قبح أبياته. ومع هذه اللمحة النقدية، فإن ابن بون قد أشاد بالكتاب وموضوعه، فهو حبيب مقرب منه لما يحتوي من معلومات، يحتاجها في تأليف كتابه، وقد أدى به ذلك التقريظ إلى مدح الأسرة العلمية التي تحتفظ بالكتاب.

لقد كان كتاب المباشر على ابن عاشر للنابغة القلاوي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، من أنجع الشروح التي تقبلها أهل بلاد شنقيط بالقبول والاستحسان، فمدحوها وقرظوها بما يناسب موضوعها ومكانتها بين الشروح المعروفة في الساحة العلمية، فقد وقف على هذا الشرح فأعجبه علامة الزمان أبو عبد الله محمد الأمين

بن الطالب أحمد بن عمر بن الواف المحضري، نفعنا الله به وبأمثاله آمين. ثم أنشد في تقريظه على الارتجال [٥٥]:

لله دَرُّكَ من بحر ونحريـــــــــــر
حلو العبارة ذا رشـــــد وتقرير
وَمُوضِحٌ من بعيد الفهم غَامِضَـــــه
مواضعا غيره عنـــها بتقصير
إنْ مُنْصِف قد رأى حسن ابتكارك في
أولاه فضـلا بـقـول غـيـر منكور

ونصل إلى كتاب: لبانة المجتهدين وبغية الطالبين لمحمد المصطفى أمربيه رب بن شيخه الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، فقد قرظه الفقيه النبيه، الأبر الأغر، الأديب الأريب، العالم العلامة، الصوفي السيد محمد باب أحبه الله، وأحب أحبابه، بقوله [٥٦]:

فصوص جمان أو نصوص قواعد
أم استل ظـل الله سيف المجاهد
نصوص على الكفار أدهى مصيبة
فكانت بحمد اللـه حتف المجاحد
فلم تُبْقِ عُذراً لِلْمُعذر في الـــــــورى
ولا مُتْرَف داريَّـة لم يجـــــــاهد
ولا مستطيع هجرةً هاجرٍ لهـــــــا
ولا خَالِف ألـف الهوى حِلْفَ نَاهد

وخلاصة القول أن أدب تقريظ الكتب مجال واسع، يتسم بالواقعية، وعدم التغلغل في مجال الصورة الشعرية، فهو إلى البساطة يميل في عرض معانيه وقضاياه، كل ذلك في لغة سهلة قريبة المأخذ في تأدية المعنى. ونعتقد أن هذا النوع من الشعر يستحق الدراسة والتحليل والعرض لما فيه من واقعية وبساطة قد تكونان من خصائصه البارزة.

لسان العرب:(قرظ)

(١) المكتبة العمرية: الرقم ٦٨٥١، ص١٧

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٢/ ١٧٦_ ١٧٧

(٣) انظر مخطوطة: دفع الملم عن قراء التسهيل بجلب المهم مما يقع به التحصيل، تأليف على پاشا بن محمد بن علي الزكي التونسي المتوفى سنة ١١٦٩، اللوحة ١٥. وانظر في مقدمة المخطوطة مجموعة من التقاريظ لهذا المؤلف، أبدع أصحابها، فيما قالوه وما نظموه، بلفظ رائق، ومعنى فائق، فجعلوا من أدب التقريظ نصوصا تمتلك خصوصيتها ضمن نصوص الأدب المتميزة.

(٤) مكتبة الفاضليين، اللوحة٤٤، من الرقم١٦٨، وانظر ألفية ابن مالك منهجها وشروحها (٧٣ - ٧٤/ ١٧١)

(٥) تحفة الأديب: ٢/٧٥٧

(٦) المكتبة العمرية: الرقم ٥٢٩٠، ص٦٧، وتحفة الأديب: ٢/٧٥٧

(٧) الأعلام للزركلي: ٤/ ١٤٧

(٨) انظر الرقم ٥٢٦٩، من المكتبة العمرية، ومخطوطة الروض العاطر، الترجمة ١٦٥. النحو والمعنى، دراسة في مغني اللبيب: ص١٨، وشرح الدماميني على مغني اللبيب: ص٩٠، من دون البيت الثالث.

(٩) مخطوطة الروض العاطر، الترجمة ١٦٥. ديوانه: ص٤٦٦

(١٠) ويروى من " مسند".

(١١) مكتبة الفاضليين، انظر اللوحة٣٠٥، من الرقم١٨٣، والمنصف من الكلام على مغني ابن

هشام: ص٤، وشرح الدماميني على مغني اللبيب: ص٧٧

(١٢) هذه الأبيات في مكتبة محمدو ولد احمال، الرقم ٣٧، اللوحة٢٧

(١٣) المصدر السابق

(١٤) المصدر السابق

(١٥) ارتشاف الضرب: ٢٤٥٦/٥

(١٦) بغية الوعاة: ٢/ ٢٨٠، وكشف الظنون: ٢/ ١٤٧٥

(١٧) هذه المقطوعات توجد في نهاية مخطوطة تقبع في مكتبة أهل أحمد شريف.

(١٨) المكتبة العمرية: ٥٦٨٤، وهم هناك، بيتان فقط.

(١٩) المكتبة العمرية الرقم ٥٦٤٨، ص١٦

(٢٠) مكتبة الفاضليين، الرقم ١٨٣، اللوحة ٣٢٧.

(٢١) مكتبة الفاضليين، الرقم ١٨٣، اللوحة٢٩٧، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر: ص ٧٢

(٢٢) مكتبة محمدو بن احمال: الرقم: ٥٤، اللوحة٤

(٢٣) المصدر السابق، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: ص ٢٨٩

(٢٤) مكتبة محمدو بن احمال: الرقم: ٥٤، اللوحة٤

(٢٥) سلوة الأنفاس:٢٩٣/٣

(٢٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢/ ١٦٨٩

(٢٧) العباب: ص٣٨

(٢٨) المكتبة العمرية: الرقم ٥٢٦٢

(٢٩) الأعلام للزركلي: ١/ ٢٣٢

(٣٠) مخطوطة إرشاد الساري، مكتبة محمدو بن احمال، الرقم ١٧٩، اللوحة٣

(٣١) انظر مكتبة الفاضليين، الرقم١٨٣، اللوحة٢٩٨.

(٣٢) انظر مكتبة الفاضليين،الرقم ٨٠، اللوحة ٩٦

(٣٣) مكتبة محمدو بن احمال، الرقم ٢١٤، اللوحة٤٢٤

(٣٤) كشف الظنون: ٢/ ١٩٨٩

(٣٥) انظر ظهرية بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها. النص يوجد في مكتبة كبير بن فال.

(٣٦) حاشية على بانت سعاد: ٢٤/١_ ٢٥

(٣٧) الروض العاطر، اللوحة٣٨٧

(٣٨) مكتبة الشريف عبد المومن، اللوحة٣٣، من الرقم٢٠٦.

(٣٩) مخطوطة التقريظ بحوزتنا نسخة منها.

(٤٠) موضح السر المكنون على الجوهر المكنون: ص٤٨، والمكتبة العمرية: الرقم ٦٧٢٤، ص٢٢.

(٤١) مكتبة شيخنا بوي أحمد، الرقم٥، اللوحة٣٩٨.

(٤٢) انظر عن المزمري كتابنا: نوادر المخطوطات الموريتانية: ص١٧٨

(٤٣) قصد بهذه الكلمة أن يجمع أسماء الدوائر في لفظ واحد الخاء للمختلف والفاء للمؤتلف، والشين للمشتبه، واللام للمجتلب، والقاف للمتفق.

(٤٤) مخطوطة المكتبة العمرية: الرقم ٦١٠٩، ودرر النحور في فك البحور: ص٤٣

(٤٥) مجلة التعليم، العدد٤١، السنة ٢٠١٦، ص١٢٧، والشيخ خليل: هو مختصر في الفقه المالكي، لسيدي أبي الضياء خليل بن اسحق المالكي المتوفى عام ٧٦٧هـ. انظر اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: ص ٥١.

(٤٦) المكتبة العمرية: الرقم ٥٦٠٤، ص٥

(٤٧) المكتبة العمرية: الرقم٦١٠٣، ص١٠٤

(٤٨) معجم أسماء المؤلفات الموريتانية: ص٨٧

(٤٩) المكتبة العمرية: الرقم ٥٥٤٥، ص٨٤

(٥٠) مكتبة أهل ناجم، الرقم٢٢، اللوحة٣١٩، ومكتبة أهل الإمام اللوحة ١٠١، الرقم٥٤

(٥١) مكتبة شيخنا بوي أحمد، الرقم١٤، اللوحة٥٤، مخطوطة بحوزتنا نسخة منها.

(٥٢) مخطوطة بحوزتنا نسخة منها. انظر مكتبة

الفاضليين، الرقم ٢٢٦، اللوحة٤١

(٥٣) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: ص ٢٨١

(٥٤) المكتبة العمرية: الرقم ٥٦٦٤، ص٥٨

(٥٥) المكتبة الألمانية، الرقم ٤٠٨

المصادر والمراجع

- أولا: **المخطوطات**
- مخطوطات المكتبة العمرية
- مخطوطات المكتبة الألمانية
- مخطوطات مكتبات مدينة تيشيت
- مخطوطة الروض العاطر، موسى بن يوسف بن أحمد الأيوبي الأنصاري النعماني الشافعي، أبو أيوب، شرف الدين، المتوفى سنة ١٠٠٠ه
- مخطوطة بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، لعبد الله بن سعد بن أبي جمزة الأزدي، المتوفى سنة ٦٧٥ه.
- مخطوطة إرشاد الساري
- مخطوطة دفع الملم عن قراء التسهيل بجلب المهم مما يقع به التحصيل. تأليف على پاشا بن محمد بن علي الزكي التونسي المتوفى سنة ١١٦٩.
- ثانيا: **الكتب المطبوعة**
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى : ١٣٩٦هـ،
- الناشر : دار العلم للملايين. الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى: ٧٤٥ هـ تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية
- ادوارد كرنيليوس فانديك (المتوفى: ١٣١٣هـ)
- صححه وزاد عليه: السيد محمد علي البيلاوي
- الناشر: مطبعة التأليف (الهلال) ، مصر
- عام النشر: ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)
- المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم
- الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ه
- دراسة وتحقيق: الدكتور حسن الملخ، والدكتورة سهى نعجة.
- طبعة: عالم الكتب الحديث، وجدارا للكتاب العلمي. ظ٢، سنة ٢٠٠٨
- حاشية على شرح بانت سعاد، لابن هشام
- تأليف: عبد القادر بن عمر البغدادي
- تحقيق: نظيف محرم خواجه
- طبع على مطابع دار صادر، بيروت. بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بروت.
- درر النحور في فك البحور، للمزمري، دراسة وتحقيق.
- الجيلالي بوعافية
- نشر في مجلة رفوف الجزائرية. العدد السابع. سبتمبر ٢٠١٥
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تأليف: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، حققها ووضع فهارسها: الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دون مكان للنشر. ودون تاريخ للنشر.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني
- تحقيق: الشيخ محمد آل ياسين.
- دار الرشيد ١٩٨٠ منشورات وزارة الثقافة والإعلام- العراق.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى

بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني،

- أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد. لصاحبها: قاسم محمد الرجب.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)
- الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
- معجم أسماء المؤلفات الموريتانية المخطوطة
- الدكتور إسلم بن السبتي
- طبعة المنار انواكشوط موريتانيا.
- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، للإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني، المتوفى سنة ٨٧٣ه
- تحقيق: محمد السيد عثمان
- طبعة: دار الكتب العلمية.
- -الوسيط في تراجم أدباء شنقيط
- أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي المتوفى سنة ١٣٣١هـ
- عني بتصحيحه وتنقيحه: المؤلف
- الناشر: الشركة الدولية للطباعة - مصر
- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

المجلات:

- مجلة التعليم، يصدرها المعهد التربوي الموريتاني. العدد٤١، السنة ٢٠١٦.
- مقالنا:حركة التأليف حول مختصر الشيخ خليل، مؤلفات الشناقطة أنموذجا، ص١٢٧.

رواية الشّعر في ميزان النّقد الأدبيّ عند العرب

أ.د. وليد إبراهيم القصّاب
السعودية

الشّعر هو فنّ العرب الأوّل اهتمّوا به اهتمامًا لا نظير له، فدعوا إلى حفظه، وروايته، والتّمثّل به، وعدّوه ديوانهم الذي إليه يرجعون، وبه يفتخرون، وعلى حكمه ينزلون، وإليه يصيرون.

ولقد كانت رواية الشّعر ،وحفظه، والتّمثل به من الثّقافة التي لا ينبغي لمتعلِّم أن يجهلها. أو يغفل قيمتها.

وقد ارتبطت أهميّة هذه الرّواية للشّعر- في الغالب الأعمّ- بما يحمله هذا الفنّ من قيم، وبما يؤدّيه من الوظائف النّفعيّة المختلفة.

ولكنّ مواقف النّقّاد تفاوتت، واختلفت وجهات نظرهم من رواية ما قد يحمله الشّعر من معانٍ تشتمّ منها رائحة عبث، أو مجون، أو استهتار بالعقيدة والدّين.

وسيتوقف هذا البحث عند قضيّة من قضايا النّقد التطبيقيّ عند العرب، وهي الموقف من رواية الشّعر، من خلال منهج تحليليّ وصفيّ.

ما الشّعر الذي حثّ النّقّاد على روايته؟ وما الشّعر الذي نَهَوْا عن روايته، وتحرّجوا من إيراده في مؤلفاتهم؟ وسنتعرّف مواقفهم وآراءهم المختلفة، وسيبدو لنا- كما ستكشف عن ذلك النّصوص التي سنوردها- معيار ذلك عندهم، وهو- في الأغلب الأعمّ- ارتباط كلّ من الحثّ والنّهي بالغايات الخلقيّة والدينيّة.

حظي الشّعر الذي تتمثّل فيه قيم خيِّرة تدعو إلى فضائل الأعمال، ومحمود الصّفات، وتحذِّر من دنِيِّها وسفسافها، أو تذمّ فاعليها والمشهورين بها، بتقدير كبير عند النّقّاد والمتذوِّقين، وقد تجلّى ذلك في أقوال كثيرة، يعصب استيعابها جميعًا، تدعو بإلحاح إلى روايته، وحفظه، والاستشهاد به.

رواية ما حسُن من الشّعر:

في الكلام على وظيفة الشّعر عند العرب نجد نصوصًا كثيرة تتحدّث عن مكانة هذا الفنّ عندهم، وعن أهميّته في حياتهم. ويبدو واضحًا أنّ مكانة الشّعر- سواء في الجاهليّة، أو في

الإسلام- قد ارتبطت بالوظائف النّفعية المختلفة التي يؤديها؛ فهو ذو وظائف ثقافيّة، وتربويّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، ودينيّة، ونفسيّة، ولغويّة، وغيرها. ولذلك تحوّل هذا الفنّ إلى مادة من الموادّ التّعليميّة التي لا ينبغي لطالب العلم أو المثقّف من معرفتها وروايتها، وإلا كان هنالك نقص في أهليّته التعليميّة.

دعا أبو بكر- رضي الله عنه- إلى تعليم الأولاد الشّعرَ وتحفيظهم إياه؛ لأنّه يعلّمهم مكارم الأخلاق: "علّموا أولادكم الشّعر؛ فإنّه يعلّمهم مكارم الأخلاق."[1] وهو يقصد بطبيعة الحال شعر الحكمة والموعظة؛ إذ- كما يقول-: "ربما قال الشّاعر الكلمة الحكيمة"[2]

وكان الحثّ دائمًا على رواية الشّعر الذي تتمثّل فيه المعاني النّبيلة، أو يدعو إلى مكارم الأخلاق والصّفات، ولا نجد ناقدًا دعا إلى رواية شعر فيه سفه أو مجون، أو يروّج لقيم غير خيِّرة، أو حفظه، أو التّمثّل به.

إنّ جميع ما بين أيدينا من نصوص نقديّة تدعو إلى رواية الشّعر، وتحثّ على حفظه، وتعليمه للنشء والمتعلمين، إنّما تتحدّث عن الشّعر الذي يزكّي النّفس، ويحملها على السّمو والرّفعة، ويكرِّه إليها قبائح الأعمال، ورذائل الصّفات.

كتب عمر- رضي الله عنه- إلى أهل الأمصار: "علّموا أولادكم العوم والفروسيّة، وروّوهم ما سار من المثل، وما حسن من الشّعر."[3]

وأوصى عتبة بن أبي سفيان مؤدِّب ولده قائلًا: "روِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشّعر أعفّه."[4]

وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدّب ولده:" إذا روّيتهم شعرًا فلا تروِّهم إلا مثل قول العجير السّلوليّ:

يبينُ الجارُ حين يبينُ عنّي
ولم تأنس إليّ كلاب جاري
وتظعن جارتي من جنب بيتي
ولم تُستترْ بسترٍ من جداري
وتأمن أن أطالعَ حينَ آتي
عليها وهي واضعة الخمارِ
كذلك هدْيُ آبائي قديمًا
توارثَه النِّجارُ عنِ النِّجارِ
فهديي هديُهم وهمُ افتلوني
كما افْتُلِيَ العتيقُ من المِهَارِ[5]

وقد أشار النّقّاد إلى نماذج معيّنة من الأشعار التي يتمثّل فيها بعضٌ من تلك الوظائف النّفعيّة التي أشير إليها.

كانت السّيدة عائشة- رضي الله عنها- كثيرة الرّواية للشّعر. يقال: إنّها كانت تروي جميع شعر لبيد[6] وذلك لما عُرِف عن لبيد من تقوى وصلاح انعكسا في قوله.

وكان عمر- رضي الله عنه- يأمر برواية لاميّة لبيد:

إنّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ
وبإذن اللّه ريثي والعجلْ[6]

وقال عبد الملك لمؤدّب ولده:» أدِّبْهم برواية شعر الأعشى؛ فإنّ له عذوبة تدلّهم على محاسن الأخلاق. قاتله الله، ما أغزر بحره، وأصلب

شعره!"[٨]

ورخّص ابن سيرين في رواية شعر النّسيب إذا كان عفيفًا. سأله سائل: ما تقول في الشّعر؟ قال: هو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح. قال: فما تقول في النّسيب؟ قال: لعلك تريد مثل قول الشّاعر:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا

كفى لمطايانا بوجهك هاديَا

وقال: قد رأيتني أحفظ مثل هذا الجنس، وأرويه، وأنشدتك إياه، فلو كان بأس ما أنشدتُه."[٩]

وحظِي شعر الرّثاء خاصّة بالدّعوة إلى حفظه وروايته؛ وذلك لما ينطوي عليه من معاني الموعظة، والاعتبار بذكر الموت، والتذكير بالحياة الفانية، وما شاكل ذلك.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنّى: "أحسن مناطق الشّعر المراثي والبكاء على الشيِّب، وكان بنو مروان لا يقبلون الشّاعر إلا أن يكون راوية للمراثي، ويقولون: إن فيها ذكر معالي الأمور.

وقيل لأبي عبيدة: ما أجود الشّعر؟ قال: النّمط الأوسط، يعني المراثي. قال: وسألت أعرابيًّا: ما أجود الشّعر عندكم؟ قال: ما رثينا به آباءنا وأولادنا؛ وذلك أنّا نقولها وأكبادنا تحترق.."[١٠]

وهذه الأشعار التي وجدنا الحثّ على روايتها هي – كما ذُكر- ممّا يمثِّل القيم الخيِّرة، وقد حظيت عند الصّحابة، وخلفاء المسلمين، والفقهاء وغيرهم من أهل العلم والتّربية.

قال ابن عبد البر مبيِّنًا سبب اهتمامه بشعر أبي العتاهية وجمعه وروايته: "الشّاعر المأثور المعروف في زهديّاته بالنّزاهة والرّفاهيّة.. يعين أهل العقل والدّين والتّقوى، ويبعثهم على الزّهد في الدّنيا.. وما فيه من موعظة وتذكرة بالغة راسية، عسى أن تلين القلوب القاسية.. ولولا أنّي رجوت لنفسي ذلك، ولمن طالعه وتدبّره كذلك.. لما جمعته، ولا رسمته، ولا كتبته.."[١١]

رواية شعر السّفه

وفي مقابل استحسان الشّعر الدّاعي إلى القيم الخيِّرة، والحثّ على حفظه وروايته، يتجلى موقف آخر للنّقاد من شعر السّفه والمجون، ومن الشّعر الذي يمثِّل- بشكل خاصّ- تجاوزات عقديّة.

ويمكن للباحث في هذه القضيّة أن يرصد عدة مواقف:

أولًا :المترخِّصون في رواية شعر السّفه:

ترخّصت طائفة من الرّواة والنّقّاد في إيراد أشعار تضمّنت فحشًا في القول، أو مجونًا أو عبثًا، ولم ترَ في روايته حرجًا. وسنعرض لطائفة من أقوال هؤلاء، ونناقشها، ونستبطن حقيقة ما تدلّ عليه.

أشاد السّيد صقر في مقدّمة تحقيقه لكتاب" تأويل مشكل القرآن بـ" ابن قتيبة، لروايته بعض شعر المجون، ورأى في ذلك منقبة؛ إذ استدل بهذا على عقل ابن قتيبة المتحرّر، البعيد عن التزمّت.

قال: "والدليل على تحرر عقله، وانطلاقه من إسار التّقليد والتّزمّت، روايته لأدب المجون، ودفاعه عن ذلك حيث يقول: "وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة، وما روي عن الأشراف والأئمّة فيها، فإذا مر بك - أيها

المتزمّت- حديث تستخفّه وتستحسنه، أو تعجب منه، أو تضحك له؛ فاعرف المذهب فيه، وما أردنا به، واعلم أنّك إن كنت مستغنيًا بتنسكك، فإنّ غيرك ممّن يترخّص فيما تشدّدت فيه، محتاج إليه، وأنّ الكتاب لم يعمل لك دون غيرك، فيُهَيَّأ لك على ظاهر محبتك... فيعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك.. وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج، ووصف فاحشة؛ فلا يحملنّك الخشوع أو التّخاشع على أن تصعّر خدك، وتعرض بوجهك؛ فإن أسماء الأعضاء لاتؤثم، وإنما المأثم في شتم الأعراض، وقول الزّور والكذب... ولم أترخّص لك في إرسال اللسان بالرّفث، على أن تجعله هجّيراك على كلّ حال، وديدنك في كلّ مقال، بل التّرخص مني فيه عند حكاية تحكيها، أو رواية ترويها، تُنقصها الكناية، ويذهب بحلاوتها التّعريض.."[١٢]

وعلى كلّ فإن ابن قتيبة لم يتساهل – كما سيمرّ- إلا فيما لا يُؤثِم، لم يتساهل حتى فيما يعدّ من الصّغائر بلْهَ الكبائرَ، وقيّد ذلك بحالات كما هو واضح.

وبدا ابن المعتز في طبقاته غير منحرِّج أن يروي بعض الشّعر الماجن الفاحش، بل بعض ما فيه استهتار عقديّ، أو عبث، أو ترخص في القول[١٣].

وذكر بعض الشّعراء المجّان، أومن اتّهموا بالزّندقة، كالحمّادين الثلاثة: حمّاد عجرد، وحماد بن الزّبرقان، وحمّاد الرّاوية، وذكر أنّهم يتنادمون على الشّراب والسّكر، وأشعارهم كلّها مجون وعبث وفسق، ومع ذلك تروي النّاس أشعارهم، ويعاشرهم الخلفاء..[١٤]

وأورد عن أبي نواس- وقد ساق شيئًا من شعره- قول والبة بن الحباب فيه: "رأيت إبليس فيما يرى النّائم كأنّه أتاني، فقال لي: ترى غلامك الحسن بن هانئ هذا؟ قلت: ما شأنه؟ قال: إنّ له لشأنًا؛ والله لأغوِيَنَّ به أمّة محمد عليه السّلام، ولألقِيَنّ محبته في قلوبهم.."[١٥]

وسيمرّ فيما يأتي من كلام عتاب ابن الأنباري لابن المعتزّ على ذلك عتاباً شديد اللهجة، وإنكاره لهذا الموقف.

وعلى الرّغم من الموقف الخلقيّ الواضح لابن بسّام، وإعراضه عن إيراد ما فيه فحش، أو فجور، أو تجاوز؛ فإنّه أورد في الذّخيرة بعض النّماذج من الأشعار الماجنة، كوصف الغلمان والخمر.[١٦] ولكنه – كما سيمرّ – أعرض عن ذكر صنوف أخرى من القول رأى أنها تشين كتابه.

كما أورد الصوليّ بعضًا من أشعار المجون في كتابه أخبار أبي تمام.[١٧]

وعُرِف التّرخّص في رواية بعض من أشعار المجون والسّفه، وما تجاوز فيه الشّعراء بعض الضّوابط العقديّة، عند نقاد آخرين، كأبي هلال العسكريّ، والحصري القيرواني، وأبي الفرج الأصبهانيّ، والشريف المرتضى، والثّعالبي، وغيرهم.

من حجّج المترخِّصين:

وعلى أنّه ممّا يلفت النّظر في هذه القضيّة أنّ نجد كثيرًا من هؤلاء الذين رووا مثل هذه الأشعار والأقوال – وفيهم فقهاء ومحدِّثون – يقدّمون بين يديها مسوّغات وأعذارًا تبيِّن سبب روايتهم لها ، وهي أعذار ومسوِّغات بعضها

فنيّ، وبعضها موضوعيّ، وبعضها شرعيّ:

المسوِّغ الفنيّ واللّغوي: روى بعضهم مثل هذه الأشعار من منطلق فنيّ؛ إذ رأى فيها قيمة أسلوبيّة عالية، وتعبيرًا فنِّيًّا متميِّزًا.

أورد ابن المعتز شعرًا لربيعة الرّقي أسرف فيه، وتجاوز، واستهتر، وذكر أنّه أورده لما فيه من: الطبع، والسّلاسة والحلاوة.[١٨]

وكذا كانت نظرة الثّعالبيّ الذي أورد جملة غير قليلة من شعر المجون من هذا المنطلق على ما يبدو، فهو يقول – وقد أورد شيئا من شعر أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجّاج -: "وهو- وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسِجف، ولا يبني جلّ قوله إلا على سُخف – فإنه من سحرة الشّعر، وعجائب العصر. وقد اتّفق من رأيته، وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب، وحسن المعرفة بالشّعر، على أنه فرد زمانه في فنّه الذي شهر به، وأنه لم يسبق إلى طريقته، ولم يُلحق شأوه في طريقته، ولم يُر كاقتداره على ما يورده من المعاني التي تقع في طرزه، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة.."[١٩]

وهذا ابن بسام - وهو ممّن أنكروا شعر المجون- يعترف بشاعريّة أبي الحسن عليّ بن حفص الإشبيليّ، وينتقد قومًا أسقطوه بسبب مجونه ،وأضربوا عن ذكره، وروايـة شعره، وكان ينبغي في نظره- ألآ يفعلوا ذلك بسبب ما في شعره من التألق الأسلوبيّ. يقول عنه: "أحد من راش سهام الألفاظ بالسّحر الحلال.. وإني لأعجب من قوم من أهل أفقنا لم يعرفوه ولم ينصفوه، فأضربوا عن ذكره، وزهدوا في أعلاق شعره، ولعلهم حاسبوه بخزعبلات كان يعبث بها بين مجونه وسكره، وهيهات فضله أشهر، وإحسانه أكثر"[٢٠]

وذكر العسكريّ أنّ من موجبات ذكر الفروج مثلًا، والتّصريح بأسمائها، هو حفظ اللّغة ومعرفتها "ولو لم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللّغة إياها خطأ، وهذا محال.."[٢١]

مراعاة جميع الأذواق:

وروى بعضهم الجدّ إلى جانب الهزل، والمدح إلى جانب الذمّ، والرّصين إلى جانب السّخيف، إرضاءً لجميع الأذواق، ومراعاة لجميع مقامات المتلقين واتّجاهاتهم، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة في الفقرة السّابقة، عندما ذكر أنّ كتابه الذي أورد فيه بعض أبواب الهزل والفكاهة لم يُعمل لأذواق أهل الجدّ والوقار وحدهم، بل عُمِل لمراعاة أذواق أخرى تحبّ الهزل والدّعابة، ويؤثِّر فيها ذلك.

تنويع القول وطرد السّأم:

ومنهم من روى الجدّ إلى جانب الهزل، والرّصين إلى جانب السّخيف، من أجل التنويع في القول، لطرد السّأم عن المتلقي، والترويح عن نفسه، ومن باب التفكّه والدّعابة، والظّرف والملاحة.

علّل الثعالبيّ إيراده لما أورده من بعض شعر السّفه تعليلًا فنِّيًّا كما مرّ، ولكنّه ذكر في تتمة العبارة السّابقة تعليلًا آخر، فذكر أنّ اختياره ما اختاره من شعر ابن الحجّاج هو من قبيل تنويع القول. قال: "ولولا أن جدّ الأدب جدّ، وهزله

هزل – كما يقول إبراهيم بن المهدي – لُصْنُت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمدّ يد المجون، فيحرك بها أذن الحرم، ويفتح جراب السّخف، فيصفع بها قفا العقل.. ولكنه – على علاته – تتفكّه الفضلاء بثمار شعره.."[٢٢]

التّحذير من أهله:

ومنهم من روى بعض أقوال أهل السّخف والمجون، والزّيغ والانحراف، وأصحاب العقائد الفاسدة، والتّصوّرات المنحرفة، من قبيل التّعريف بهم، وفضحهم وتعريتهم، والتحذير من خطرهم، وتنبيه المتلقي إلى مخازيهم .

أورد أبو هلال العسكريّ في الاعتذار عن إيراد بعض ما أورده لمن يقول عنهم: "كلام الملحدين لعنهم الله "تعليلين ذكرهما بقوله: «وإنّما أورد مثل هذا لتعرف أهله، ولأن تسمية الكتاب توجبه.."[٢٣]. أيْ للّتحذير منه، ولاستيفاء أنواع القول كما سيمرّ.

ومن قبيل هذا التّحذير ما ذكره الفقيه القاضي عياض؛ إذ إنّ الرّجل- على الرّغم من رفضه الشّعر الذي يتنافى مع الدّين والأخلاق، وتحريم ذلك، يورد بعضًا منه معللًا ذلك بقوله: « وإنّما أكثرنا بشاهدها- مع استثقالنا حكايتها-لتعريف أمثلتها، ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضّنْك، واستخفافهم فادح هذا العبء، وقلّة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر، وكلامهم منه بما ليس لهم به علم{وتحسبونه هينًا، وهو عند الله عظيم}[٢٤]

وأكّد هذا في موضع آخر، فأورد بعضًا من كلام هؤلاء الشّعراء المستخفّين الذين "أتوا بما ننزّه لساننا وأقلامنا عن ذكره. ولولا أنّ قصَدْنا نصّ مسائل حكيناها معًا لما ذكرنا شيئًا ممّا يثقل ذكره ممّا حكيناه في هذه الفصول.."[٢٥]

وقد يكون من هذا القبيل ما يرويه بعض النّقّاد من شعر السّفه مشفوعًا بتعليق يزري بهذا القول، ويقبّحه، ويشنّع على صاحبه، أو يحذّر من مثله.

من ذلك مثلًا تعليق الشّريف الرّضي على قول الوليد بن يزيد في المصحف الشّريف:

تذكّرني الحسابَ ولستُ أدري
أحقًّا ما تقول عن الحسابِ
فقل للّه يمنعني طعامي
وقل للّه يمنعني شرابي

قال الشّريف: "ويله من هذه الجرأة على الله ويلًا طويلًا، وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته، وما أولاه اللّعين بأليم العذاب، وشديد العقاب.."[٢٦]

وقد فصّل القاضي عياض القول في هذه المسألة، فبيّن أشكال حكي مثل هذه الأقوال، والحكم الشّرعيّ فيها بقوله: "أن يقول القائل ذلك حاكيًا عن غيره، وآثرًا له عن سواه، فهذا يُنظَر في صورة حكايته، وقرينة مقالته، ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه: الوجوب، والنّدب، والكراهة، والتّحريم؛ فإن كان أخبر به على وجه الشّهادة والتّعريف بقائله، والإنكار والإعلام بقوله، والتّنفير منه، والتّجريح له؛ فهذا وأمثاله ممّا ينبغي امتثاله، ويحمد فاعله. وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الردّ له، والنّقض على قائله، والفتيا بما يلزمه.. وإن لم يكن القائل بهذا السّبيل؛ فالقيام بحقّ النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- واجب، وحماية عرضه متعيّن،

ونصرته عن الأذى- حيًّا وميّتًا- مستحّق على كلّ مؤمن.. وأمّا الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلًا في هذا الباب؛ فليس التّفكّه بعرض النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- والتّمضمض بسوء ذكره لأحد، لا ذاكرًا ولا آثرًا لغير غرض شرعيّ- بمباح .."[٢٧]

استيفاء أنواع الكلام، وجمع أعيان المعاني:

ومنهم من أورد ما أورده من هذه النّماذج من الشّعر من باب استيفاء ألوان القول وضروبه، من جدّ وهزل، ومدح وذمّ، وحقّ وباطل، وما أخذ فيه الشّعراء من المعاني المختلفة، والمنازع المتنوّعة.

وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكريّ في الفقرة السّابقة ، عند ما ذكر أنه أورد بعض كلام الملحدين، لأنّ طبيعة كتابه الذي يحمل عنوان "ديوان المعاني" توجبه[٢٨]

وقال أبو هلال في موضع آخر مبيِّنًا هذا القصد : "لولا القصد إلى جمع أعيان المعاني، والشّرط المتقدِّم ؛ لتركت التّشنيع الملفوظ من المنظوم والمنثور. على أنّ العلماء لو تركوا رواية سخيف الشّعر لسقطت عنهم فوائد كثيرة، ومحاسن جمّة موفورة، في مثل شعر الفرزدق وجرير والبعيث والأخطل وغيرهم.."[٢٩]

القول ينسب إلى صاحبه:

وروى بعضهم ذلك من باب ما سمّاه ابن قتيبة- فيما يذكر الحصريّ القيروانيّ _ أنّ «القول ينسب إلى صاحبه، والفعل عائد على فاعله»[٣٠] والراوي عندئذ لا ذنب عليه؛ إذ ناقل الكفر ليس بكافر. وسيمرّ معنا ردّ الحصري القيروانيّ على ابن قتيبة، ورفضه هذا التوجيه، وسيضع ابن مسكويه رواية أشعار المجّان في دائرة المحظور.

ثانيًا: المتحرِّجون من رواية شعر السّفه:

وفي مقابل المتساهلين المترخِّصين في رواية شعر السّفه والمجون؛ وجدت طائفة من الرّواة والنّقاد تحرّجت من رواية مثل هذا الشّعر، ولم تقبل مسوِّغات من رووه.

وقد بدأ التّحرّج أو النّهي عن رواية الشِّعر الذي تضمّن سفهًا أو مجونًا أو تجاوزًا عقديًّا منذ فترة مبكرِّة، إذ نجد أصداء له منذ بدايات النّقد العربيّ قبل أن تتلقّفه أيدي النقدة المتمرِّسين.

نهى عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- عن رواية شعر المناقضات الذي كان بين المسلمين ومشركي قريش، وقال في التّحذير من ذلك، وبيان ما يترتّب على ذلك من العواقب: "في ذلك شتم الحيِّ بالميِّت، وتجديد الضّغائن، وقد هدم الله أمر الجاهليّة بما جاء من الإسلام.."[٣١]

وقال في موضع آخر: "إنّي قد كنت نهيتُكم أن تذاكروا ممّا كان بين المسلمين والمشركين شيئًا؛ دفعًا للتّضاغن عنكم، وبثّ القبيح بينكم، فأمّا إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به. فدوَّنوا ذلك عندهم. قال خلّاد بن محمد: فأدركته واللهِ وإنّ الأنصار لتجدِّده عندها إذا خافت بلاه.."[٣٢]

ونهِي في الإسلام عن رواية بعض أشعار المجون والسّفه، وحُذِّر من عواقبها. وقد تعرّض شعر عمر بن أبي ربيعة لانتقاد طائفة من العلماء والفقهاء والمتأدّبين.

قال شيخ من قريش: "لا تـروّوا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطن في الزّنا تورّطًا.."[٣٣]

روي أن عبد الملك بن عبد العزيز لمّا أنشده أبو السّائب قول قيس بن ذريح:

نباح كلب بأعلى الواد من سرف أشهى

إلـى الـنـفـس مـن تـأذيـن أيـوب

قال له: «من قال هذا الشّعر؟ قال: قيس بن ذريح. قال: من أيوب؟ قال: النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. قال: والله لا يحقّ لك أن تروي هذا. هذا كفر..»[٣٤].

وقال عنه أبو المقوّم الأنصاريّ: "ما عصِيَ الله بشيء كما عُصـي بشعر عمر بـن أبي ربيعة.."[٣٥]

ونهى عبد الملك بن مروان مؤدّب ولده أن يروِّيهم نماذج معيّنة من الشّعر الذي يروِّج لقيم غير خلقيّة. قال له: "روِّ بَنِيَّ الشّعر يعرفوا به مكارم الأخلاق، ولا تروِّهم شعر هذيل فتزيِّن لهم الفرار، ولا شعر أحيحة بن الجلّاح، فتحسِّن لهم البخل.."[٣٦]

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لمعلِّم ولده: لا تروّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسعى فإنّي

رأيـت الـنّـاس شـرُّهـمُ الـفـقـيـرُ

ويقول: هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.[٣٧]

وبيَّن مسكويه خطر رواية أشعار السّفه والمجون، وأنّ ذلك ينبغي أن يكون واقعًا في دائرة المحظور؛ فهو مفسدة للأخلاق، وإن رواية بيت واحد من أشعار المجان "يعلق من وضره ووسخه بالنفس مالا يُغْسل عنها إلا بالزّمن الطويل، والعلاجات الصعبة"[٣٨]

ويحذِّر المربِّيَ أن يروّي أو يحفِّظ تلاميذه شيئًا من هذه الأشعار أو الأخبار، بل "يُطالب بحفظ محاسن الأخبار والأشعار التي تجري مجرى ما تعلّمه بـالأدب.. ويُحَذَّر النّظر في الأشعار السّخيفة، وما فيها من ذكر العشق وأهله، وما يوهمه أصحابه أنّه ضرب من الظّرف، ورقّة الطّبع؛ فإنّ هذا الباب مفسدة للأحداث جدًّا.."[٣٩]

وقال في موضع آخر: من "ابتُلِيَ بأن يربّيه والده على رواية الشّعر الفاحش، وقبول أكاذيبه، واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح، ونيل اللّذات، كما يوجد في شعر امرئ القيس والنّابغة وأشباههم، ثـمّ صـار بعد ذلـك إلـى رؤسـاء يقرِّبونه على روايتها، وقول مثلها، ويجزلون له العطيّة....؛ فليَعُدَّ جميع ذلك شقاء لا نعيمًا، وخسرانًا لا ربحًا، وليجتهد على فطام نفسه منها، وما أصعب ذلك! إلا أنّه- على كلّ حال- خير من التّمادي في الباطل.."[٤٠]

وقد يقول قائل: إنّ كتاب مسكويه ليس كتابًا في الأدب أو النّقد الأدبـي، بل هو في التربية وتهذيب الأخـلاق، وهـذا كلام صحيح، ولكنّ هذا التّحذير من رواية أشعار السّفه والمجون لم تقتصر على الفقهاء وأصحاب التربيّة ومن شاكلهم، بل إنّ طائفة غير قليلة من أصحاب الأدب والنّقد الحقيقيّ قد تحرّجت كذلك من رواية أيّ شعر تشتم منه رائحة استهتار عقديّ،

أو استبهار بالفاحشة، أو كسر للقيم والأعراف الخلقيّة والاجتماعيّة. وكان هذا وجهًا من وجوه النقد التّطبيقي الذي يمثّل هذا الاتّجاه الإسلاميّ والخلقيّ في النّقد العربيّ.

من هؤلاء الأصمعيّ الذي حمله التّورّع الدينيّ على ترك رواية أضراب من الشّعر. والأصمعيّ ممّن قد تبدو آراؤه النّظريّة مباينة للوهلة الأولى آراءه التطبيقيّة؛ فقد أثر عن هذا النّاقد الرّاوية قوله الذّائع الشّائع : "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان.." وهو قول – وإن كان أقرب إلى توصيف حالة الشعر في زمانه منه إلى تقرير قاعدة نظريّة – فهمه قوم على أنه يعكس إحساسًا شخصيًّا بأنّ الأغراض الدنيويّة هي التي تصلح لهذا الفنّ، وبأنّ دخوله في أغراض دينيّة، أو أغراض ذات طبيعة خلقيّة خيِّرة تليِّنه..

ولكنّ الأصمعيّ - في موقفه من رواية الشّعر- يخالف عن هذا الفهم، وهو يصدر فيه عن نزعة دينيّة واضحة. كان الأصمعيّ "لايفسِّر، ولا ينشد، ما كان فيه ذكر الأنواء، لقول النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-: "إذا ذكرت النّجوم فأمسكوا ".. وكان لا يفسِّر، ولا ينشد شعرًا يكون فيه هجاء، وكان لا يفسِّر شعرًا يوافق تفسيره شيئًا من القرآن. هكذا يقول أصحابه. وسئل عن قول الشّمّاخ:

طوى ظِمأها في بيضة القيظ بعدما جرى في عنان الشِّعْرَيَيْن الأماعز

فأبى أن يفسِّر "في عنان الشعريين .."[٤١]

وسئل عن قول ذي الرّمّة في وصف روضة:

قرحاءُ حواءُ أشراطيّةٌ وكَفَتْ

فيها الذِّهاب وحفَّتها البراعيمُ

فأبى أن يفسِّر معنى "الأشراطيّة"[٤٢]

ويورد المبرّد في كتابه الكامل بعض الأبيات، ثم يعرض عن رواية سائرها، ويقول: «في آخر هذا الشعر ذمّ لعليّ بن أبي طالب- رضِي الله عنه – أمسكنا عنه...[٤٣]

وابن قتيبة الذي حسبه السّيِّد صقر من أصحاب التّحرر العقليّ لم يتساهل إلا في رواية ما لا يُؤْثِم. لم يتساهل إلا – كما يقول-: "في المزح إذا كان حقًّا أو مقاربًا، ولأحايينه وأسباب أوجبته مشاكلًا، ليس من القبيح ولا من المنكر، ولا من الكبائر، ولا من الصّغائر إن شاء الله.."[٤٤] وأعرض عن رواية ما سوى ذلك من الشّعر القبيح.

ونزع المرزبانيّ أحيانًا هذا المنزع الدينيّ؛ فقد أورد بعض ما عيب على أبي نواس من قصيدته التي يمدح فيها العباس بن الفضل، مما يستملحه الأحداث، ويألفه المجان، وليس بذاك. وهي التي منها قوله:

إلى فتى أمّ ماله أبدًا

تسعى بجيب غير مشقوق

وقال: هذا كلام خسيس. وكذلك قوله:.... "ثم أوضح المرزبانيّ أنّه أعرض عن ذكر سائرها، فقال: "وفي آخرها ما جمع بين كفر ولحن، وأكره حكايته لضعفه وبطلانه"[٤٥].

وأعرض الجاحظ في رسالة الحكمين عن إيراد أقوال الباطل والنّفاق. يقول – بعد الإشارة إلى تكسّب بعض الكتاب ونفاقهم في أقوالهم-:

"ليس هذا الكتاب من كتب أصحاب الأهواء، ولا من كتب المتكسّبين ولا المقرّبين، ولا من كتب المفلقين بالباطل، ومن جرى به النّفاق على أخبث منشأ، وأسوأ عادة.."[٤٦]

والتزم الحصريّ القيروانيّ مثل هذا المعيار الدينيّ في اختيار الشّعر، فقال في مقدمة كتابه "جمع الجواهر" : "تجنّبت أن أهدي إليك، وأورد عليك، ما يخرج به قائله في الدّين عن اتّباع سبيل المؤمنين، فمن أهل الإلحاد والأهواء من يسرُّ حَسْواً في ارتغاء- أيْ يخفي السّمّ في الدّسم- ويطلب ما يشفى به من دائه، ويضحك خاصة أودائـه، ويفرّ به من ضعفت نحيزته، وهفت غريزته، بما يكمنه – بألطف ما يمكنه - كمون الأفعوان، في أصول الريحان، إذا قابله بشمّه قتله بسمّه.... فقد قيل: الرّاوية أحد الشاتمين، كما قيل: السّامع أحد القائلين.."[٤٧]

ومن الواضح أنّه غير راضٍ عن رأي نسبه إلى ابن قتيبة- كما مرّ سابقًا- من أن القول منسوب إلى قائله، وتقع عليه وحده مسؤوليته، ويرى أنّ النّاقل الذي يروي أشعارًا تتنكّب جادّة الدّين يحمل شيئًا من وزر ذلك. يقول الحصري: "وقد رام ابن قتيبة تسهيل السبيل في مثل هذا، فقال: مهما مر بك من كلام تنفر عنه نفسك، فلا تعرض عنه بوجهك، فالقول منسوب إلى قائله، والفعل عائد إلى فاعله".

قلت: وليت شعري! ما اللذة فيما يضحك منه من هو معرض عنه، إلا أن يدخل في حدّ المستهزئين، وحيّز المتلاعبين. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.."[٤٨]

وجرى الحصري على هذا التوجه الدينيّ والخلقيّ في كتابه "زهر الآداب" فأعرض عن ذكر المجون وروايته، وقد ساء ذلك زكي المبارك – محقّق الكتاب – لأن المؤلف جرى على إغفال المجون، فقال عن راشد بن أرشد مثلًا: "ولـه مذهب استفرغ فيه أكثر شعره. وصنت الكتاب عن ذكره".

وأوضح المبارك أنّه أنكر على الحصريّ هذا الصنيع في كتابه "مدامع العشّاق" وبيّن أنّ حرص الرّجل على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرض عن ذكره من الآثار الأدبيّة، وكنّا في حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأوّلون..[٤٩].

ولسنا الآن معنيين بمناقشة زكي المبارك فيما ذهب إليه من رأي، وحسبنا أن حرص القيروانيّ على الأخـلاق حمله على إسقاط ما سفُه من القول، صادرًا بذلك عن منزع دينيّ في رواية الشّعر وتقديره .

وأورد ابن وكيع أبيات أبي الطّيِّب :

أيّ عظيم أتّقي أيّ محـلّ أرتقي
وكلّ ما خلق الـــ رّحمن وما لم يخلقِ
محتقرٌ في همتي كشعرة في مفرقي

ونقدها نقدًا عنيفًا، ثمّ بيّن أنّه كان يودّ لو أنّها حذفت من ديوان أبي الطّيِّب، ولم ترد فيه؛ لخروجه فيها عن حدّ الكِبر إلى حدّ الكفر[٥٠].

ومثَّل ابنُ بسام كذلك هذا الاتّجاه الدينيّ والخلقيّ في نقد الشّعر أوضح تمثيل، فأعرض عن رواية ضروب منه.

تحرّج خاصّة من رواية شعر الهجاء، وعدّه غرضًا يتبارى فيه السّفهاء، وهو يورث السّباب والقذف، ولذلك ربأ بكتابه عن الشّين، وأن يكون

من الهاجين..»[٥١]

ولأنّه نزّه كتابه عن أن يكون ميدانًا لفاحش القول، وسفساف الشّعر؛ ضمّنه بعض مليح الطّرف والأخبار، يقول: "لمّا صنت كتابي هذا عن شين الهجاء، وأكبرته أن يكون ميدانًا للسّفهاء؛ أجريت ها هنا طرفًا من مليح التّعريض في إيجاز القريض، ممّا لا أدب على قائليه، ولا وصمة أعظم على من قيل فيه.

والهجاء ينقسم إلى قسمين: قسم يسمّونه هجو الأشراف، وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابًا مقذعًا، ولا هجوًا مستبشعًا، وهو طأطأ قديمًا من الأوائل، وثلّ عرش القبائل، وإنما هو توبيخ وتعيير، وتقديم وتأخير، كقول النجاشيّ في بني العجلان... والقسم الثاني هو السّباب الذي أحدثه جرير وطبقته، وكان يقول: إذا هجوتم فأضحكوا. وهذا النّوع منه لم يهدم قطُّ بيتًا، ولا عيّرت به قبيلة. وهو الذي صُنّا هذا المجموع عنه، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه..»[٥٢].

وأخذ ابن بسام على الثعالبيّ روايته لمثل هذا الشّعر الذي لا خير فيه، فقال: إن أبا منصور الثعالبيّ كتب منه في يتيمته ما شانه وَسْمُه، وبقي عليه إثمه..»[٥٣]

ورأى أنّ الثّعالبيّ قد أثِم؛ لأنّه روى شعر الهجاء في كتاب اليتيمة، ولم يصنه عن شين الهجاء..»[٥٤]

وأفصح ابن بسام في غير موضع عن هذا التوجّه الدينيّ والخلقيّ في رواية الشّعر ونقده، فذكر مثلًا في موطن كلامه على ولّادة – صاحبة ابن زيدون – أنّه أعرض عن ذكر شعرها وروايته بسبب سفهه. قال: "أضربت عن ذكره، وطويته بأسره، ولأنّ أكثره هجاء، وليس له عندي إعادة ولا إبداء، ولا من كتابي في أرض ولا سماء..»[٥٥]

وتحرج ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة من رواية ما فيه خلاعة أو مجون، فقال: "ليس هذا الكتاب أهلًا أن يضمّن حكاية سخيفة أو نادرة خليعة..»[٥٦].

ونزع البلوي – صاحب كتاب الألف باء – مثل هذا المنزع الدينيّ في رواية الشّعر، فقال في كلام صريح: "الكلام القبيح حرام من أيّ نوع كان، مثل مدح الخمر، والكلام بالخنا والهجر. ولقد أذكرني هذا خبرًا كنت أنسيته: كلّفني بعض الأصحاب نسخ جزء فانتسخته، حتى انتهيت فيه إلى أبواب تتضمّن مدح الخمر وأوصافها وتحسينها وشاربيها، فتركت مواضعها من الكتاب بياضًا..»[٥٧]

ونجد هذا التّوجّه الدّينيّ الخلقيّ عند صاحب مجموعة المعاني، فقد نصّ في مقدمة كتابه أنّه أخلاه من فاحش الشّعر ووحشيّه، قال: "اجتهدت في تخيّرها من فصيح الشّعر وقويّه، الخالي من فحش مستهجن الشعر ووحشيّه..»[٥٨]

وكان موقف ابن رشد حازمًا في هذه المسألة؛ حتى ذهب إلى حدّ المطالبة بإزالة الأشعار التي تحمل على المجون والانغماس في اللّذّة، وعدم روايتها، أو تعليمها للصبيان؛ لما لها من إفساد أكيد لأخلاقهم.

يقول ابن رشد: "من الواجب- بل ومن الضروريّ- إزالة الأقاويل والحكايات التي تحثّ على طلب اللّذّة والمال، والتي يكثر ذكرها في أشعار العرب، بل يجب أن يستمعوا للحكايات

التي تنصحهم بعدم الاهتمام بالملذّات والانغماس فيها؛ لأنّ العفّة للنّفس- كما حكى أفلاطون- إنّما تقوم على الاعتدال والابتعاد عن الشّهوات الحسّيّة.. ولتعلم أنّ في شعر العرب قصائد مليئة بالشّرور؛ ولهذا فإنّ الضّرر الأكيد إنْ هي لُقِّنت للصبيان منذ صغرهم..[٥٩]

وقد يكون ابن الأنباريّ، الذي أخّرنا الكلام عليه، من أبرز النّقاد في هذا الجانب؛ فقد وقف في وجه الشّعر الماجن العابث، وحذّر من روايته، وكشف عن خطره على الأخلاق والمجتمع، ونزّه ذوي الأقدار من العلماء عن إذاعته والتّرويج له، وحمل على ابن المعتز حملة شعواء؛ لأنّه اهتمّ بهذا الماجن الخليع «أبي نواس»، وروى شعره. جاء في جمع الجواهر: كتب ابن الأنباري إلى أبي العباس عبد الله بن المعتزّ: «حقّ شعر هذا الخليع، - يعني الحسن بن هانئ – ألا يتلقاه النّاس بألسنتهم، ولا يدوّنوه في كتبهم، ولا يحمله متقدّمهم إلى متأخّرهم، لأن ذوي الأقدار والأسنان يجلّون عن روايته، والأحداث يُغَشّون بحفظه، ولا يُنشد في المساجد، ولا يتجَمّل بذكره في المشاهد، فإن صنع فيه غناء كان أعظم لبليّته، لأنّه إنّما يظهر في غلبة سلطان الهوى، فيهيج الدّواعي الدنيئة، ويقوّي الخواطر الرّديئة، والإنسان ضعيف يتنازعه على ضعفه سلطان الهوى.. والحسن بن هانئ، ومن سلك سبيله من الشّعر الذي ذكرناه شطّار، كشفوا للنّاس عُوارهم، وهتكوا عندهم أسرارهم، وأبدوا لهم مساويهم ومخازيهم، وحسّنوا ركوب القبائح، فعلى كل متديّن أن يذمّ أخبارهم وأفعالهم، وعلى كلّ متصوّر أن يستقبح ما استحسنوه، ويتنزّه من فعله وحكايته. وقول هذا الخليع: "ترك المعاصي إزراء بعفو الله تعالى" حضّ على المعاصي أن يتُقَرّب إلى الله- عزّ وجلّ- بها، تعظيمًا للعفو، وكفى بهذا مجونًا وخلعًا داعيًا إلى التّهمة لقائله في عظيم الدّين. وأحسن من هذا وأوضح قول أبي العتاهية:

يخاف معاصيَه من يتوبُ

فكيف ترى حال من لا يتوب؟

... ويشتدّ في نقد ابن المعتز لترخّصه في روايته ما فحش من شعر أبي نواس وأمثاله.[٦٠]

وعلى أن ابن المعتز هذا الذي بدا يمثّل موقفًا أكثر تحررًا في النّظر إلى العلاقة بين الشّعر والدّين، فروى في كتابه – طبقات الشّعراء المحدثين – غير قليل من الشّعر الماجن، ودافع عن أبي نواس وعن نفسه نقد ابن الأنباري، ورفض ربط جودة الشّعر بسمو معانيه وأفكاره؛ إن ابن المعتز هذا يتحرّج أحيانًا من رواية أنماط من الشّعر، وتنكسر حماسته التّنظيريّة أمام قول شديد المصادمة للعقيدة، أو الأخلاق، أو الذّوق السّليم. واستمع إليه يتحدّث عن قصيدة لمحمد بن الدّورقيّ هجا فيها يحيى بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ لأنّه كان قد حبسه، وكان ممّا قال فيه:

يقول جليساه إذا ما خلوا به:

تنفّس يحيى ويحه أم تغوّطا

قال ابن المعتزّ عنها: "وهي طويلة، إلا أنّها فاحشة فتركناها..»[٦١].

وقد يدخل في هذا التّحرج الدينيّ الخلقيّ امتناع طائفة من النّقّاد عن الاستشهاد بشعر فيه سفه ومجون وإنْ كان صاحبه من المجيدين فنيًّا.

كان ابن الأعرابيّ يقول: "لولا أنّ أبا نواس

وضع نفسه بهذه الأدناس والأرفاث لاستشهدت بشعره، ولاحتججت به.."[٦٢]

قال أبو عمرو الشّيبانيّ: "لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرّفث لاحتججنا بشعره؛ لأنّه محكم القول.."[٦٣]

وأطال ابن خالويه في تقريظ أبي نواس، ثمّ قال:"لولا ما غلب عليه من الهزل لاستُشهد بكلامه في كتاب اللّه.."[٦٤]

وقال بعض أهل العلم:"لولا ما كان أبو نواس يخلط به شعره من الخلاعة لاحتُجّ به في كتاب اللّه عزّ وجلّ، وفي حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم.."[٦٥]

التّصرّف في الشّعر

من هذا النّقد الديني النّازع إلى الكفّ عن رواية ما صادم العقيدة أو قيم المجتمع الفاضلة، ما نجده أحيانًا من تصرّف النّاقل في الشّعر الذي فيه تجاوز عقديّ أو خلقيّ ضربًا من التّصرف لإزالة الحرج عن نفسه.

من ذلك مثلًا ما ورد في الموشح.

ساق المرزبانيّ بعض ما عيب على أبي نواس من الشّعر العابث الماجن، وعلى الرّغم من أنّه في موقف الإزراء على صاحبه، وتنقّصه على ما قال؛ أورد قول أبي نواس في غلام نصرانيّ:

فلولا دخول النّار بعد بصيرة

عبدت مكان..... عيسى بن مريما

وترك فراغًا مكان الكلمة، وقد ذكر المحقّق أنه بياض في الأصل, وفوقه: «عزّ وجلّ»[٦٦]

بل إن التّورع الدينيّ ليحمل أحيانًا بعض النقاد على تغيير رواية ما يرونه ضربًا من الغلو والتّجاوز العقديّ. وقد فعل ذلك - كما ذكر إحسان عباس - ابن منظور، الذي هذّب كتاب "سرور النّفس بمدارك الحواس الخمس" للتيفاشي، إذ "أدركه التحرّج إزاء بعض الغلو في بعض الأشعار، فغيّر الرواية . فمن ذلك قول الخوارزميّ:

ناقضتُ ما قال المؤذن

بالفعال وبالكلام

هو قال: حيَّ على الصلاة

وقلتُ: حيَّ على المدام

فغير الأول فجعله

قال المؤذّن ما أراد

وقلت من حسن الكلام..»[٦٧].

ومثل ذلك ما ذكره البلوي من أنّ أحد الأصحاب كلفّه بانتساخ كتاب ، حتى "انتهيت إلى أبواب تتضمّن مدح الخمر وأوصافها وشاربها، فتركت مواضعها في الكتاب بياضًا، وتعديتها إلى غيرها. وبعثت أعتذر إليه من صنيعي..»[٦٨]،

ويبدو أنّ أبا العلاء المعرّي قد نزع بأخرة عن بعض شعره أيام الصّبا، وغيّر في بعض ما كان فيه من تجاوز أو غلو في القول، أو لم يعد راضيًا عمّا فرط منه. وعلى اعترافه بما وقَر في أذهان قوم من أنّ الشّعر يجود في الكذب، إلا أنّ أبا العلاء قد أقلع عن ذلك، واتّجه إلى ضرب آخر من القول، فيه الصّدق والحقّ.

يقول أبو العلاء:» كنت في ربّان الحداثة،

وجِنّ النّشاط، مائلًا في صغو القريض، أعتدّه بعض مآثر الأديب، ومن أشرف مراتب البليغ، ثمّ رفضته رفض السّقي غِرسَه، والرّأل تريكتَه، رغبةً عن أدب معظم جيِّده كذب، ورديئه يُنقص ويجدب.[٦٩]

ويقول في مقدّمة اللّزوميات: كان من سوالف الأقضية التي أنشأت أبنية الأوزان توخيت فيها صدق الكلمة، ونزهتها عن الكذب والميْط، ولا أزعمها كالسّمط المتّخذ، وأرجو ألا تُحسب من السُّميْط، فمنها ما هو تمجيد لله الذي شرُف عن التمجيد، ووضع المِنَن في كلّ جيد، وبعضها تذكير للناشئين، وتنبيه للرقدة الغافلين، وتحذير من الدّنيا التي عبثت بالأوّل..[٧٠]

وقال في اللّزوميات كذلك: قلت في كلام قديم لي : إنّي رفضت الشّعر رفض السّقب غِرسَه، والرّأل تريكتَه. والغرض ما استجيز فيه الكذب، واستعين على نظامه بالشّبهات. فأمّا الكائن عظة للسّامع، وإيقاظًا للمتوسّن، وأمرًا بالتّحرز من الدّنيا الخادعة، وأهلها الذين جُبِلوا على الغشّ والمكر؛ فهو إن شاء الله ممّا يُلْتمَس به الثّواب..[٧١]

خاتمة البحث وأبرز نتائجه:

حظيت رواية الشّعر بعناية بالغة في النّقد الأدبيّ عند العرب. وقد عُدّ حفظ هذا الفنّ المؤثّر العريق، والتّمثّل والاستشهاد به، مادّة ثقافيّة تربويّة، وعدّت معرفته وروايته من العناصر الأساسيّة للتّكوين العلميّ والثّقافيّ عند المتعلّمين.

وقد ارتبطت هذه الدّعوة الملحاح إلى الاهتمام بالشّعر والعناية بروايته وحفظه بالوظائف النّفعيّة المختلفة التي يؤدّيها؛ فهو ذو غايات ثقافيّة، وتربويّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، ودينيّة، ونفسيّة، ولغويّة، وغيرها، وليس مجرّد قول فنيّ جميل..

وقد تباينت مواقف النّقاد العرب في هذه القضيّة، وارتبطت هذه المواقف- في أغلب الأحيان- بموقف دينيّ خلقيّ من الشّعر ووظيفته.

أبدت طائفة من النّقاد العرب بعض المرونة في التّعامل مع الشّعر، فلم تتحرّج من رواية أيّ ضرب من معانيه، وإنْ كان فيها فحش، أو مجون، أو تجاوز عقديّ، ولم ترَ في ذلك بأسًا، مقدِّمة بين يديْ ذلك مسوِّغاتٍ مختلفةً، بعضها فنيّ، وبعضها موضوعيّ، وبعضها منطلق من موقف خلقيّ شرعيّ.

ولكنّ طائفة من النّقّاد عكست موقفًا دينيًّا خلقيًّا شديد الوضوح، فتحرّجت من رواية بعض النماذج التي استشعر النّاقد أنها تحمل بعض القيم الخلقيّة السّفيهة، أو الترخّص في القول، أو تمثّل شيئًا من التجاوز العقديّ، وشنّعت عليها وعلى قائليها، وعلى من رواها، ونهت عن حفظها، أو روايتها، أو تدوينها. بل إن بعضهم مضى إلى ما هو أبعد من ذلك، فأعطى نفسه ـ من منطلق هذا التّوجّه ـ الحقّ في تغيير رواية بعض الشّعر، أو ترك بياض في مكان بعض الألفاظ، أو تغير ما يرى فيه من التّجاوز والتّرخّص .

---

(١) نضرة الإغريض: ٣٥٨

(٢) المصنّف" كتاب الأدب"لابن أبي شيبة:٥١٢/٨

(٣) بهجة المجالس: ٧٦٧/١

(٤) شرح مقامات الحريري: ٢٥٧/٢

(٥) الأغاني: ٧٥/١٣، فلا الصبيّ فلوًا، وأفلاه، وافتلاه: عزله عن الرّضاع وفطمه، أي : فطموني عن جهل الصبا وعقلت. والمهار: جمع مهر، وهو

ولد الفرس.

(٦) العمدة: ١٧/١

(٧) شرح القصائد السّبع الطّوال، لابن الأنباري: ٥١٠

(٨) جمهرة أشعار العرب: ٢٠٢/١

(٩) الأغاني: ٢٠٢/١

(١٠) المحاسن والمساوئ للبيهقيّ: ٣٤٦

(١١) مقدمة ابن عبد ربّه لديوان أبي العتاهية" تحقيق شكري فيصل"

(١٢) تأويل مشكل القرآن:٧٥، وانظر كذلك ما ذكره ابن قتيبة في مقدّمة عيون الأخبار:١٢

(١٣) انظر نماذج من ذلك في طبقات الشّعراء الصف حات:١٣٦،١٥٩،،٣٩٢،٣٩١،٣٠٧،١٩٢،١٧٦ ٤١٦،وغيرها

(١٤) السابق: ٧١

(١٥) السابق: ٨٧

(١٦) انظر مثلًا الذخيرة: القسم الأوّل، المجلد الأوّل: ١٤٦ـ ١٤٧

(١٧) انظر مثلًا أخبار أبي تمام: ٢٤،٢٧

(١٨) انظر طبقات الشّعراء: ١٦١

(١٩) انظر يتيمة الدّهر : ٣٠٣٠/٣

(٢٠) الذخيرة: القسم الثّاني، الجزء الأوّل: ١٥٩

(٢١) ديوانالمعاني: ٢١١/١

(٢٢) السّابق نفسه

(٢٣) ديوان المعاني:٢٥١/٢

(٢٤) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى:٧٩٦

(٢٥) السابق: ٨٦٧

(٢٦) أمالي المرتضى: ١٣٠/١

(٢٧) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى: ٨٠٠ـ ٨٠١

(٢٨) ديوان المعاني:٢٥١/٢

(٢٩) السّابق: ٢١١/١

(٣٠) جمع الجواهر للحصري القيرواني: ٥

(٣١) الأغاني: ١٤٠/٤

(٣٢) السابق نفسه

(٣٣) الأغاني: ١٤١/١

(٣٤) الموشّح: ٣٢٣

(٣٥) الأغاني: ٧٦/١

(٣٦) نثر الدّرّ: ٤٧/٣

(٣٧) الأغاني: ٧٥/٣

(٣٨) تهذيب الأخلاق: ٥٠، ١٧٧

(٣٩) السابق: ٧٠

(٤٠) السابق: ٦٥

(٤١) الكامل" طمؤسسة الرسالة" :٣٦/٣، والمزهر٣٢٨

(٤٢) السابق. قرحاء: يريد الأنوار. حواء: تضرب إلى السّواد لشدّو ريّها وخصبها. أشراطيّة: مطرت بنوء الشرطين، والشّرطان من الحما قرناه.

(٤٣) الكامل:٤٢٤/١

(٤٤) مقدّمة عيون الأخبار: ١٢

(٤٥) الموشّح: ٤١٥

(٤٦) رسالة الحكمين:" ضمن رسائل الجاحظ": ٣٦٩ـ ٣٧٠

(٤٧) جمع الجواهر: ٣ـ٤

(٤٨) السابق:٥

(٤٩) زهر الآداب:١٤

(٥٠) المنصف: ٢٠٣

(٥١) الذخيرة: القسم الأوّل، الجزء الأوّل: ٤١٥، ٥٤٤

(٥٢) الذخيرة: المجلّد الأوّل، القسم الأوّل:٤٥٦

(٥٣) السّابق نفسه

(٥٤) السّابق: ٨٢٥/٢

(٥٥) السّابق:القسم الأول، المجلد الأوّل:٤٣٢

(٥٦) السّابق: شرح نهج البلاغة: ١٨٦/٢٠

(٥٧) ألف باء: ٥٥/١

(٥٨) مجموعة المعاني: ١٧

(٥٩) تلخيص السياسة لأفلاطون" محاورة الجمهوريّة" : ابن رشد، نقله إلى العربيّة حسن مجيد العبيدي، دار التكوين للتأليف والنّشر، دمشق: ٢٠٠٨م. وتلخيص ابن رشد لكتاب السياسة لأفلاطون مفقود أصله العربيّ، ترجم إلى العبريّة، ثم إلى الإنكليزيّة، ومنها ترجم المترجم هذا الكتاب.

(٦٠) جمع الجواهر: ٤٠-٤١

(٦١) طبقات الشّعراء:٣٣٧

(٦٢) أخبار أبي نواس لابن منظور : ٥٨

(٦٣) السّابق: ٢٠٢

(٦٤) السّابق

(٦٥) الأفضليّات لابن الصّيرفيّ: ٢٥٤

(٦٦) السّابق: ٤٢٨

(٦٧) سرور النّفس بمدارك الحواسّ الخمس:٣٤

(٦٨) ألف باء: ٥٥/١

(٦٩) شروح سقط الزّند: ١٠/١" تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف حسين نصّار"

(٧٠) اللزوميات: لأبي العلاء المعرّي: ١٩/١

(٧١) السابق: ٤٩/١، السّقب: ولد النّاقة، والرأل: فرخ النّعامة.

المصادر والمراجع

- أخبار أبي تمّام: الصّولي، تحقيق خليل عساكر، محمد عبده عزّام، نظير الإسلام الهندي، عالم الكتب، بيروت:١٩٨٥م
- أخبارأبي نواس: أبو هفان، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة مصر، القاهرة١٣٧٣هـ/١٩٥٣م
- الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني، طبعة دار الكتب المصرية
- الأفضليات: ابن الصيرفيّ، تحقيق وليد قصّاب، وعبد العزيز المانع، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق:١٤٠٣هـ/١٩٨٢م
- ألف باء: البلويّ، عالم الكتب، بيروت "د.ت"
- أمالي المرتضى: الشّريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر:١٣٧٣هـ/١٩٥٤م
- بهجة المَجالس وأنس المُجالِس:ابن عبد البرّ القرطبيّ، تحقيق محمد مرسي الخولي، الدّار المصريّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة: ١٣٨٢-/١٩٦٢م
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السّيّد صقر، البابي الحلبي، القاهرة:١٣٧٣هـ /١٩٥٤م
- تلخيص كتاب الشعر لأرسطو طاليس: ابن رشد، تحقيق تشارلس بترورث وأحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:١٩٨٧م
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: مسكويه، تحقيق قسطنطين زريق م، دار الحياة، بيروت:١٩٦٦م
- جمع الجواهر: الحصري القيرواني، تحقيق محمد علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة:١٣٧٢هـ/١٩٥٣م
- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، تحقيق محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرّياض: ١٤٠١هـ ١٩٨١م
- ديوان أبي العتاهية" جمع ابن عبد البرّ" تحقيق شكري فيصل، جامعة دمشق:٤٨٣١هـ/٥٦٩١م
- ديوان المعاني : أبو هلال العسكري، تحقيق كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة: ١٣٥٢هـ
- الذخيرة: ابن بسّام، تحقيق إحسان عباس، الدّارالعربية للكتاب، ليبيا - تونس:٨٩٣١ هـ - ٨٧٩١م

مقالات

- رسائل الجاحظ: ا تحقيق عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٣٩٩/١٩٧٩
- زهر الآداب: الحصري القيروانيّ، تحقيق علي محمد البجّاوي، عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة:ط ثانية.
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس :أبو العباس التيفاشي" هذّبه ابن منظور "تحقيق احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠
- شرح القصائد السّبع الطّوال: ابن الأنباريّ، تحقيق عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر.
- شرح مقامات الحريري، الشريبشي، دار الكتب العلمية، بيروت:١٣٦٩هـ - ١٩٧٩م
- شروح سقط الزند ، التبريزي ، تحقيق عدد من الأساتذة، بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عبسى البابي الحلبيّ، القاهرة:١٣٨٥هـ/١٩٦٥م
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض، تحقيق عبده علي كوشك، نشرة جائزة دبي الدّوليّة للقرآن، دبي: ١٤٣٤هـ/٢١٠٣م
- طبقات الشعراء: ابن المعتز، تحقيق عبد السّتّار فرّاج، دار المعارف، مصر:١٣٧٥هـ ١٩٦٥م
- العمدة، ابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت:١٩٧٢م
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة:١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م
- الكامل ، المبرد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر، القاهرة "د.ت" وطبعة تحقيق محمد الدّالي، مؤسسة الرّسالة، بيروت.
- اللزوميات: أبو العلاء المعريّ، تحقيق مجموعة من الباحثين، بإشراف حسين نصّار، الهيئة المصريّة العامّة، القاهرة: ١٩٩٢م
- مجموعة المعاني: مؤلف مجهول من القرن الخامس، تحقيق عبد المعين الملوحيّ،دار طلاس، دمشق: ١٩٨٨م
- المحاسن والمساوئ : البيهقي، دار صادر، بيروت : ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٧م
- المزهر : السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، وعلي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي – مصر (د. ت) م
- المقدّمة: ابن خلدون ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي ، القاهرة :١٩٦٠
- المنصف: ابن وكيع التّنّسيّ، تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار قتيبة، دمشق:١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- الموشح: المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة:١٣٨٥هـ ١٩٦٥م
- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفّر العلوي، تحقيق نهى عارف، مجمع اللغة العربية، دمشق:١٣٩٦هـ ١٩٧٦م
- يتيمة الدّهر: الثعالبي، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت:١٣٩٢هـ ١٩٧٣م

المؤرخ شاكر صابر الضابط، ومنهجًه في كتابة التأريخ

الأستاذ الدكتور سمير عبد الرسول العبيدي
الجامعة المستنصرية
العراق

تمهيد: المؤرخ والمعرفة التاريخية.

يُعد التاريخ من أهم العلوم، وأكثرها فائدة للبشرية بعد علوم الدين؛ لكنه من أكثر العلوم عرضة للتحريف والتشويه، وطمس الحقائق، فليس كُل ما يُكتب ينطلق من نظرة موضوعية للأحداث وقد لا يمثل الحقائق التاريخية بصورة صادقة، فالمؤرخون في كل زمان ومكان يختلفون في منهجهم في التدوين التاريخي، وفي رؤيتهم للأحداث، وتحليلها، وتفسيرها، وبيان العوامل المحركة لها بل وفي نتائجها، فمنهم من ينساق في كتاباته للظروف الآنية القائمة وعمليات التحول من دون أن ينظر لحركة التاريخ نظرة شمولية، ومنهم من يكتب التاريخ تقرباً إلى الحكام وإرضائهم أو خوفاً منهم، ومنهم من ينساق في إرضاء الجماهير وتسلطها واندفاعاتها العاطفية في بعض الأحيان، أو أنه يكتب على وفق نظرة مسبقة تنطلق من العقيدة الدينية أو النظرية و الولاء والانحياز الذي ينتمي إليه، والقلة منهم من يكون رائده الموضوعية، وخدمة الحقيقة بتجرد بعيداً عن الولاءات الحزبية، والعشائرية، والمذهبية، هولاء هم أكثر المؤرخين عرضة للنقد [1] .

لا يختلف الباحثون على أن للتاريخ فوائد جمة يمكن توظيفها بهدف فهم الحاضر والانطلاق نحو المستقبل، ولكن في الوقت نفسه إن للتاريخ مساوئ في حالة عدم توظيفه بشكل سليم مدروس، إذ يقول المؤرخ د.قسطنطين زريق "١٣٢٦-١٤٢١هـ/ ١٩٠٩-٢٠٠٠م" بهذا السياق "يكون دور التاريخ سلبي عندما يستخدم في إثارة الأحقاد والفتن سواء أكان ذلك بين فئات الشعب الواحد أم بين شعوب متعددة"، فمن دون شك يمثل الحاضر محور التاريخ، ولكي تنهض الأمة وتفهم مستقبلها عليها أن تُعد العدة، بعد رفع مناهج علمية في دراسة التاريخ وتدريسه، كما إن فكرة التطور في المستقبل تقع على عاتق المؤرخ الذي يكتشف أسس ذلك التطور بعد عملية الربط بين الأسباب والمسببات، ومن ثم كشف العلاقة المنطقية التي تربط الأحداث التاريخية بما قبلها، وما بعدها والوصول إلى مغزى التاريخ من خلال ذلك [2].

ومهما يكن من أمر طرق انتقال أشكال المعرفة وأساليب اقتباسها وتطوير موضوعاتها بين الشعوب من جهة، وعبر الأجيال البشرية من جهة أخرى، فإن ما يعين وحدتها المتأصلة واستمرارية نموها المطرد هو ما يمكن أن نسميه فطرة التعلم لدى الإنسان، أو ذاك الاستعداد الذهني الإنساني للانتقال بالإدراك من مستوى المعرفة الحسية البسيطة إلى مستوى التحليل والتركيب والتجريد، وعبر أدوات وطرائق عملية عقلية دأب الباحثون في فلسفة المعرفة وطرائقها على تسميتها أسلوب التفكير العلمي، وهو الأسلوب الذي يتضمن قواعد محددة تجري على مستوى الخطوات الإجرائية: كالاستدلال والاستقراء في المنهجين التجريبي والجدلي.

وإذا ما ميزنا بين المادية التاريخية كحقل تطبيقي للفلسفة المادية في التاريخ وبين المنهج الجدلي الذي تنسب قوانينه إلى هيغل Hegel "١١٨٤-١٢٤٧هـ/١٧٧٠-١٨٣١م" على مستوى تطور الفكر، والى ماركس Marx "١٢٣٣-١٣٠٠هـ/١٨١٨-١٨٨٣م" على مستوى" المادية التاريخية"، كأسلوب من أساليب التفكير العلمي الذي يعتمد البرهان العقلي الجدلي، لأمكن القول إن هذا المنهج الأخير كان قد تخلل عدداً من طرائق العلوم الفقهية والكلامية في مجال الحضارة العربية الإسلامية، فالإثبات ومقابل الإثبات وتركيب الإثباتين يوازي في المنهج الجدلي الحديث: الأطروحة والطباق والنتيجة أو التركيب [٣] .

لا يمكن للمؤرخ المعاصر، عند دراسته حقبة من ماضيه، أن يكون نظرة ذاتية مستقلة وموضوعية، إذا لم يعرف عقل: "شاهد" تلك الحقبة، ومسجلها، إلا وهو "المؤرخ" نفسه، لذا فقد تمت دراسة تاريخ" "التاريخ" ليس بوصفه تاريخا لأحد العلوم الإنسانية حسب، وإنما لكونه المرآة الأكثر مصداقية في عكس أفكار الناس ومشاعرهم تجاه أحداث عصرهم وعلاقاته، وإن المؤرخ في عصر ما، هو ليس مجرد مسجل لأحداث منفصلة عن ذاته، وإنما هو أيضاً شاهد على ذلك العصر من داخله، لأنه جزء منه، فدراسة ذاته، بفكره وأحاسيسه، هو في الحقيقة السبيل للتوصل إلى روح العصر وطبيعته، وتحليل "انفعال" شاهد العصر هذا، أداة لفهم "الفعل" الماضي نفسه، فالتاريخ والمؤرخ (من هذه الناحية)، وجهان متكاملان "العملية فهم" واحدة [٤] .

لن يمضي وقت طويل حتى يتحول التاريخ إلى صناعة من الصناعات الأساسية في رسم حياة الأمم والشعوب، فاليوم نستطيع أن نتوقف عند عدد لا يحصى من الكتب التي لا تبحث في الماضي، بل في المستقبل وتطوراته وتحدد سمات السنوات القادمة، بل حتى العقود القادمة، وأصبح للدراسات المستقبلية أقسام ومعاهد جامعية وأكاديمية متخصصة، وبالتالي سوف لا يكون مستحيلاً أن توضع الأحداث التأريخية مسبقاً على وفق (سيناريوهات) مُعدة سلفاً، ثم يجري تنفيذها على الواقع، وهذا كله سيحدث تغييرات كبيرة على صعيد الدراسات التاريخية، أو المؤرخين الذين قد لا تقتصر مهمتهم على تدوين وتفسير أحداث الماضي، بل يصبح من واجبهم أيضاً صياغة أحداث المستقبل، عند ذلك لن يكون في وسع المؤرخ أو الباحث في التاريخ؛ لأن يبحث في أسباب الحدث ونتائجه، ولا حتى

تدوينه؛ لأن كل ذلك قد يتم وضعه وتصميمه وتنفيذه قبل وقوعه، وكان معلوماً قبل حدوثه، مع التنويه إلى أن ذلك يقتصر على التاريخ السياسي وأنظمة الحكم والحكام، أما التاريخ الاجتماعي فسيبقى يسير في خطاه التقليدية [٥] .

لقد أدت عوامل متنوعة، سياسية واجتماعية واقتصادية، إلى أن يشهد الوطن العربي، في العقود الأخيرة، اهتماماً متزايداً "بالتاريخ" قراءة، وتفسيراً، وكتابة، وهو اهتمام نتج من إحساس عام بضرورة إدراك جذور الظاهرة العامة في حياة الأمة إدراكاً سليماً، وسط عصر تميز بأعقد التحولات الاجتماعية وأشملها، فلم تعد التبريرات التأريخية السالفة بكافية. لأن تحظى بقناعة الطبقة المثقفة، ولم يعد هو يرضى بها دليلاً يسبر به غور جذوره وماضيه، وكان هذا الإحساس يتعاظم كلما فقد المثقف ثقته بموضوعية كثير من المسلمات والقناعات التي قدمتها هذه التبريرات، بإدراكه بأنها كتبت وفق مفاهيم هي نتاج عصر لم يعد عصره، ومن ثم فهي نسبية يعوزها الثبات المولد لقناعة جديدة، كما فاقم من ذلك، المؤرخون الأجانب، الذين استندوا في مؤلفاتهم لتجارب أممهم الخاصة، أو لخدمة أهداف سياسية معينة، أي؛ ضمن رؤى مختلفة، ذلك لم يكتبها مؤرخون محليون، فهي بالإجمال لا تمثله، ولا تصلح لأن يكتشف بها جذوره [٦] .

يُعد الفكر التاريخي في العراق عنصراً مهماً من عناصر الثقافة العربية الإسلامية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسس الحضارية والثقافية لتاريخ العراق والأمة العربية، فالازدهار الحضاري الذي شهده العراق خلال العصور العباسية الأولى أدى إلى نشوء مبررات أساسية مهمة لظهور أنواع عديدة من العلوم الإنسانية والصرفة، لأن الحاجات الفكرية والحضارية للمجتمع تتطلب ظهور وبروز تلك المعارف، وهو ما يسري إلى يوم الناس هذا.

أولاً: التأريخ المحلي للعراق(مؤرخو المدن والأقاليم).

تُعد دراسة الفكر التاريخي في العراق من الدراسات الإنسانية المهمة في تأريخ الفكر والحضارة، لأنها تكشف عن الأسس والركائز الأساسية التي أدت إلى نشوء مختلف أنواع حقول المعرفة الإنسانية، ومنها علم التاريخ ذاته، بخاصة وأن للتاريخ مكانة متميزة في تدوين السجل الحافل للحضارة العراقية، وتبيان دورها الإنساني في بناء حضارة الإنسان، ولذلك فلابد من دراسة وكتابة هذا الموضوع من قبل أبناء العراق بصفة خاصة؛ لأنهم أحق بدراسته من غيرهم، لأن من لا يحس و لا يعيش بوجدانه تأريخ العراق وحاضره تأتي دراساته وأحكامه بعيدة كل البعد عن واقع وحقيقة ذلك التاريخ، ولاسيما دراسات بعض المستشرقين من الذين اخضعوا الدراسات التاريخية إلى ما يؤمنون به تبعاً لنظرياتهم وفلسفاتهم [٧] .

مما لاشك فيه أن تقلص الاهتمام بالتواريخ العامة، جاء نتيجة للانقسامات التي حدثت في كيان الخلافة الواحدة، وبالتالي نتيجة قيام سلطنات وإمارات إقليمية في الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامي، غير إن هذا العامل يجب أن يردف بعوامل أخرى، وأهمها اثنان :

١.أن الاهتمام بمكان المولد والموطن، كان يدفع دائماً وبشكل عفوي إلى التعبير عن الانتماء والارتباط بالمكان، سواء أكان على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة، وهذه ظاهرة موجودة وبارزة في كل الحضارات التي شهدت تدويناً للتاريخ.

٢.أن المدن الرئيسية التي كانت مسرحاً للفتوح الأولى،وبالتالي لإنشاء مراكز سياسية وثقافية وعسكرية فيها، تحولت إلى مراكز فعل سياسي أو فعل ثقافي وأدبي تتمايز وتختلف في معانيها على أكثر من صعيد، وهذه من دواعي الاستذكار لدى عدد من السكان، فإذا أضفنا إلى كل هذه العوامل، استمرار أدب الأنساب في الكتابة التاريخية العربية تأكيداً لموقع سياسي أو اجتماعي، وضحت الأسباب المتعددة لازدهر التاريخ المحلي(تاريخ المدن والأقاليم) [٨] .

أهتم المؤرخون بتدوين تواريخ خاصة بمدنهم بدافع المنافسة والمفاخرة بين سكان المدن، ولاسيما علمائها، وكان المغزى من وراء ذلك هو إظهار تاريخ كل مدينة والتفاخر به، والتعرف على شيوخ بلد معين، أو شيوخ البلدان الأخرى، وكذلك لتسهيل عمل طلاب العلم، كي يميزوا بين الرواة ومواطنهم، وقد برز صنفان من التواريخ المحلية، الأول منها يهتم بتدوين تاريخ مدينة معينة، وتناول خططها وتاريخها السياسي من دون الاهتمام برجالها أو من وردها من العلماء والمفكرين، ونوع آخر يبين أثر المحدثين فيه، وظهور التحيز للمدينة، وغالباً ما يكتبه واحد من سكانها، حيث يذكر العلماء أما حسب حروف المعجم أو على الطبقات [٩] .

لقد حظيت بغداد بالاهتمام المتزايد، لكن ذلك لم يحجب جهود مؤرخين محليين آخرين للكتابة في تواريخ مدنهم المختلفة، يدفعهم إلى ذلك عشقهم لبيئاتهم والتحسس بخصائصها والرغبة في اظهر أهميتها الاجتماعية أو الدينية أو السياسية، كتعبير عن ظاهرة عامة، تمثلت في تعاظم دور المدينة العراقية واستعادة نشاطها متعدد الجوانب، بدءاً من القرن التاسع عشر، ففي تاريخ البصرة مثلاً كتب احمد نور الأنصاري"١٢١٨-١٣٠٢هـ/١٨٠٣-١٨٨٤م"، كتابه "النصرة في أخبار البصرة"، كما حظيت المدن الدينية باهتمام خاص، ويعد حسين بن أحمد البراقي النجفي "١٢٦١-١٣٣٢ه/ ١٨٤٥-١٩١٤م"، أشهر من ألف بهذا السياق،ولم تعدم مدن أخرى من تواريخ خاصة بها، فكتب أدي شير"١٢٨٤-١٣٣٣ه/ ١٨٦٧-١٩١٥م" تاريخ كركوك"، ووضع أحمد بك العباسي تأريخا للإمارة العباسية في العمادية [١٠] .

وإذا ما تجاوزنا العبارة المأثورة عن كروتشه Croce "١٢٨٢-١٣٧٢ هـ/ ١٨٦٦-١٩٥٢م" "التاريخ بأجمعه تاريخ معاصر"، فإن قراءة وكتابة تاريخ العراق المعاصر تُعد من المهمات الصعبة، بحكم طبيعة المجتمع العراقي وتعدد مكوناته الدينية والعرقية، ومحدودية ثقافته، فالمؤرخ هو ابن المجتمع، لا يستطيع أن يتجاوز على ما تعارف عليه أبناء هذا المجتمع، و"المتطفلون" الذين كتبوا في تاريخ العراق المعاصر كُثر، وكُل منهم له غاياته بعيداً عن الدقة والموضوعية، فهناك كتاب كثيرون يبدو أن اكبر همم هو التعبير عما تكنه صدورهم من آراء وتكون النتيجة عدم استفادتنا منها، وقد

قبل "للقلب دواعيه" غير أنه قد يُقال كذلك أن الأحوال تبلغ غاية في السوء إذا بقيت دواعي القلب في ناحية، ودواعـي العقل في الناحية الأخرى، فالتاريخ مدرسة لتحكيم العقل[١١].

ثانياً: شـاكر صابر الضابط (سيرته الشخصية).

أ.الحضور التركماني في العراق.

التركمان هم الاوغوز(الغز) الذين نزحوا من أسيا الوسطى وسموا بالتركمان عقب إسلامهم على رأي أكثر المؤرخين الذين تناولوا أصلهم ونسبهم، وقد انتشروا في البلدان الإسلامية، وتحكموا في مصير أكثر هذه الدول بما أسسوه من دول وإمارات محلية عديدة.

لم تنتقل قبائل التركمان من مواطنها الأصلية دفعة واحدة بل تعاقبت الهجرات على مر السنين وقد استوطنوا ما وراء النهر وخراسان واعتنقوا الدين الإسلامي ثم نزحوا إلى العراق والأناضول وبلدان الشرق الأوسط.

تطرق أكثر المؤرخين إلى تعاقب الهجرات التركية إلى العراق على الرغم من اختلاف الآراء التي وردت بهذا الصدد ومنهم من قال بأن لفظة "الترك والتركمان" تُطلق على الذين يقطنون الأراضي التي تفصل المنطقة الكردية عن المنطقة العربية في العراق وينتشرون على خط ممتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي أي من تلعفر في محافظة نينوى إلى مندلي في محافظة ديالى، كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية "أن التركمان شعب ناطق بالتركية يقطن أسيا الوسطى"، في حين يرجع تاريخ المرحلة الأولى لاستيطان التركمان للأراضي العراقية إلى سنة "٥٤هـ/٦٧٣م" حيث استقدم الوالي عبيد الله بن زيـاد "٣٢-٦٧هـ/ ٦٥٣-٦٨٦م" ألفين من الأتراك أسكنهم البصرة [١٢].

يُعد التركمان في العراق من المكونات المهمة والبارزة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر وقد أسهموا بفعالية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية حيث نجد كم مميز من الأعلام التركمان الذين تركوا بصمة واضحة في مجال السياسة والأدب والشعر والاجتماع والثقافة، وقبل الدخول في التفاصيل لابد من القول بان العراق كان نموذجا للتعايش السلمي بين القوميات والمذاهب والأديان والتي جميعها انصهرت في المنظومة الوطنية وقد أنجب التركمان الكثير من رجال الفكر والسياسة والثقافة الذين خدموا الوطن بإخلاص.

والتركمان بالتركية Turkman والجمع Turkmanler هم أحد الشعوب التركية الذين يعيشون في تركمانستان وشمال شرق وشمال غرب إيران وفي شمال القوقاز ويتكلمون اللغة التركمانية إحدى اللغات التركية التي هي بدورها فرع من اللغات الالطائية والتي تصنف على أنها جزء من الفرع الغربي (الاوغـوز) من عائلة اللغات التركية جنبا إلى جنب مع التركية الاذرية، وبالرغم من ذلك فان الشعب التركماني في العراق وسوريا ولبنان وباقي الدول العربية هم من (التركمان الغربيين)، وقد أدوا دوراً بارزاً وبرز منهم الكثير من القادة والأمراء كما أسهموا في رفد الثقافة والأدب التركي والعربي بالعديد من المساهمات الحضارية [١٣].

وفي عام "١٣٤٥هـ/١٩٢٦م" انعقد مؤتمر

للشعوب التركية في باكو تم خلاله إحلال الحروف اللاتينية محل العربية، فاستعملت في تركيا الحديثة بدءاً من عام "١٣٤٧هـ/١٩٢٨ م"، بينما شاع استعمالها في اللغة الأذربيجانية وأقاليم وسط آسيا التركمانية (بالأبجدية الروسية) منذ عام "١٣٤٦هـ/١٩٢٧م"، أما في العراق فمع طرد العثمانيين عقب هزيمتهم بالحرب العالمية الأولى، ثم تأسيس الحكم الوطني في"١٨ ذي الحجة ١٣٣٩/ ٢٣ آب ١٩٢١"، حافظ التركمان على لغتهم بل وحاولوا إثرائها عن طريق ربطها بالثقافة العربية، وما ذلك إلا اعتزاز منهم بلغة القرآن الكريم وبأواصر المودة والمواطنة التي يكنوها لوطنهم، وإذا القينا نظرة على أنماط كتابة اللغة التركية في العالم فإننا نجدها قد استبدلت بالحروف اللاتينية، إلا في العراق وبعض المناطق التي يتعذر فيها ذلك لظروف سياسية وفنية، ومثلما تختلف اللهجات التركية بين إقليم وإقليم فإننا نجد الاختلاف ذاته في اللهجة التركمانية في العراق، فهناك لهجة "تلعفر" وما جاورها من القرى ولهجة "التون كوبري" وما جاورها ولهجة" كركوك وداقوق" وما جاورها ولهجة "بيات " ولهجة "كفري وقره تبه" وما جاورها، ولهجة خانقين وقزلرباط وشهربان ومندلي وقره غان وغيرها، هذه هي اللهجات الرئيسية التي يتلاغى بها التركمان في العراق، وتُعد لهجة (كركوك) أنقاها وأقربها إلى اللهجتين الأذربيجانية والتركية الحديثة، لذلك اتخذت هذه اللهجة لغة للأدب والثقافة التركمانية في العراق [١٤].

ب.سيرته ونشاطاته الثقافية («١٢٢١-١٤١٠هـ/ ١٩١٢-١٩٩٠م»).

يذكر الباحث الموسوعي حميد المطبعي في (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين)، أنه مولود في مدينة العمارة عام "١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م" [١٥]، وهو رأي لم يذهب إليه احد سواه، في حين اختلف المؤرخون، حتى معاصريه في تحديد تاريخ ومحل ولادته، فمنهم من زعموا أنه من مواليد كركوك، وفريق آخر زعموا انه من قضاء كفري (كان يتبع كركوك ثم الحق بمحافظة ديالى)، وخير وثيقة تؤرخ نسب شاكر صابر الضابط تلك الوصية التي كتبها الشاعر الكبير خضر لطفي "١٢٩٧-١٣٧٨هـ/١٨٨٠-١٩٥٩م"، إلى النجل الأكبر للضابط، فيذكر" أن الجد الأكبر احمد السراج من قصبة قره مان في أناضول وجاء إلى العراق مشاركة في حملة السلطان مراد الرابع عام "١٠٤٨ه /١٦٣٨م" لفتح بغداد، وبعد أن من الله عليه بفتحه وقيامه بتشكيل خط عسكري وقائي ممتد من بغداد إلى اسطنبول استقر جدكم الأعلى (اون باشي احمد) بسبب وظيفته في كركوك وتزوج فيها، ..، ولما عاد جدكم صابر من الحرب العالمية الأولى (سفر برلك)، اعتمد على نفسه في إعالة عائلته وتوفير حياة كريمة لهم..، أما والدكم فهو ابن أخي، من نسل مسلم تركي، عرفته منذ صغره بصفاته الحسنة...".

إن من حَسن حظ المؤرخ أن يتيسر له مصادر موثوقة أو وثائق خطية عند كتابته عن سير الشخصيات، أو أن يكون من معاصريهم، وهو ما حدث للدكتور أورهان البياتي الذي عاصره

المؤرخ شاكر صابر الضابط، ومنهجه في كتابة التأريخ

لأكثر من عقدين من الزمن، فضلاً عن عثوره على وثيقة بخط يده يؤرخ فيها سيرته الذاتية، فيذكر" ولدت في مدينة كركوك سنة ١٩١٣ من أبوين تركمانيين، أكملت دراستي الابتدائية في كفري، والإعدادية في كركوك وبغداد، وتخرجت في١٩٣٨/١/١ من كلية العسكرية برتبة ملازم ثان، تقلدت مناصب مختلفة في صنف المخابرة حتى إحالتي إلى التقاعد سنة ١٩٥٩ برتبة عقيد وكنت اشغل منصب آمر كتيبة المخابرة (اللاسلكي)" [١٦] .

التحق إلى دار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج فيها عام "١٣٥١هـ / ١٩٣١م"، ليتم تعيينه معلماً في كركوك،التي عمل فيها للمدة "١٣٥١-١٣٥٥هـ/١٩٣١-١٩٣٥م"، حيث كانت الأمية تسود المجتمع العراقي بصورة عامة وكركوك بصورة خاصة، فسارع إلى تعليم أبناء جلدته القراءة والكتابة بصورة عامة، واللغة التركمانية بصورة خاصة، متخذاً من المساجد والجوامع، مراكز لمحو الأمية.

لكن ولحبه الشديد للحياة العسكرية، التحق إلى الكلية العسكرية عام "١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م"، بدعوة من الحكومة لشريحة المعلمين للانخراط إلى السلك العسكري، بغية أعداد ضباط، وآمرين لقيادة الوحدات العسكرية الفتية، بعد صدور قانون التجنيد الإلزامي عام "١٣٥٣هـ/ ١٩٣٣م"، وتخرج فيها عام "١٣٥٨هـ/ ١٩٣٨م"، ليترقى في رتبه العسكرية حتى إحالته إلى التقاعد برتبة عقيد عام "١٣٧٩هـ/١٩٥٩م"، متنقلاً خلالها في وحدات عسكرية عديدة، بصفة ضابط مخابرة حتى توليه منصب آمر كتيبة المخابرة اللاسلكية في وزارة الدفاع عند تقاعده [١٧] .

ضمن هذا السياق بذكر احد أصدقاؤه المقربين، وهو الأديب وحيد الدين بهاء الدين، عن شغف شاكر صابر الضابط بالحياة العسكرية، فيذكر" انا جزء لا يتجزأ من هذا الجيش، اذكره في كل ضربات قلبي حيث إن اسمي مقترن بوسام (الضابط) الذي حصلت عليه نتيجة خدماتي السابقة في صفوفه ثلاثين سنة" .

فضلاً عن إلى ذلك كان يتملكه الولع بالتاريخ والتراث، وفي الواقع إن انحيازه إلى هذا الجانب الثقافي الإنساني لا يكشف عن اثر الوراثة فيه، فوالده كان يتعاطى العمل الحر، لكن ملازمته للعالم الكركوكلي الملا صابر بن الملا محمد الحافظ الكبير"١٣١٠-١٣٨٠هـ/ ١٨٩٣-١٩٦١"[١٨]، واختلافه المستديم إلى مجلسه العلمي والاجتماعي بمنزله بالقلعة، زرعا في نفسه نزعة الانقياد إلى دنيا المعرفة تمهيدا لخوض تجربة التأليف والتصنيف، حتى أن الملا صابر كتب قبل رحيله في "٢٥ ذي الحجة ١٣٨٠/ ٩ حزيران ١٩٦١" وصية مصدقة" أن تؤول مؤلفاته الخطية ووثائقه وأوراقه الخاصة إلى الضابط ليضطلع بصيانتها وطبعها إذا نسب".

وفي بداياته أبدى اهتماماً واضحاً بالمعالم التراثية بمدينة كركوك وأطرافها كالجوامع والتكايا والبيوت التراثية وما بها من مزايا معمارية كالنقوش والخطوط، في الوقت الذي أعار تاريخ كركوك والتركمان، لغة وأدباً ومأثورات قسطاً من جهده، ويذكر الأديب وحيد الدين بهاء الدين "كثيراً ما شاهدته ومعه اوراقه في مبان أثرية وخرائب موغلة في القدم هي الشاهدة الناطقة على اصالة التراث وعلى تجسيده

لوحات التاريخ فيبذل من طاقته المادية ما يقدر عليه تذليلاً لصعوبة مهمته في هذا الذي يستشفه ويستنطقه ثم ينقله على القرطاس أو يصوره موثقاً معززاً بالدليل والرقم والرمز" [١٩] .

كما عشق القراءة وجمع الكتب منذ عام"١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م" وتمكن من تكوين مكتبة ضخمة تضم حوالي تسعة آلاف كتاب في مختلف فروع العلم والمعرفة، ثم أنشا مكتبة عامة في داره، تم افتتاحها من قبل وزير الثقافة والإعلام في"٤ ذي الحجة ١٤٠٨/ ١٨ تموز ١٩٨٨" وبحضور عدد كبير من الأدباء والكُتاب والباحثين باحتفال مهيب وألقي خلاله شاكر صابر الضابط كلمة بهذه المناسبة جاء فيها:-

"هذه المكتبة المتواضعة التي ترونها هي نتيجة مساعي وأتعاب شخص واحد ذي مورد محدود، منذ عام ١٩٤١ وأنا مولع بجمع الكتب راغباً في أن يوفقني الله لتأسيس مكتبة ينتفع منها الناس، فتحقق فعلاً تأسيس هذه المكتبة المتواضعة التي استغرقت في تنظيمها أكثر من ثلاث سنوات ونصف، وهي تحتوي(٥٠٠٠) كتاب عربي أو مترجم إلى اللغة العربية فضلاً عما يزيد عن(٢٠٠٠) كتاباً باللغات الأعجمية.

إن هذه المكتبة تجمع في أيضاً أسماء الكتب والكراسات التي أهملها الباحثون سابقاً لكونها لا يليق حفظها بحسب رأيهم، كما تجمع أمهات الكتب العربية التراثية القديمة والتاريخية، لقد صنفنا الكتب وجعلنا الصنف الأول- الكتب التاريخية، الصنف الثاني- كتب الجغرافية وتاريخ المدن، الصنف الثالث- كتب السياسة والآراء والفكر والثورات، الصنف الرابع- الأدب والمعاجم، الصنف الخامس- كتب التراث الشعبي والصحافة، الصنف السادس- تراجم الأشخاص، الصنف السابع- الكتب الدينية والعقائد، الصنف الثامن- العلوم المختلفة، الصنف التاسع- الكتب التي تخص الأكراد، الصنف العاشر-الكتب التي كتب عن اليهود، الصنف الحادي عشر- العلوم المختلفة.

في المكتبة سجل خاص لجميع المجلات المختلفة المتيسرة علما أن المكتبة تحوي مجلات(المورد)،(التراث الشعبي)، (آفاق عربية) كاملة، كما تحوي جميع الجرائد اليومية التي كانت تصدر في بغداد للفترة (١٤ تموز١٩٥٨- ١٤ رمضان ١٩٦٣)".

هذه المكتبة بما تضمنته من الكتب والمخطوطات النادرة، تبرعت بها أسرته في عام "١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م"، إلى نادي الإخاء التركماني ببغداد، والذي كان شاكر صابر الضابط احد مؤسسيه في "١١ذي القعدة ١٣٧٩/ ٧ آيار ١٩٦٠"، وهي محفوظة الآن ضمن مكتبة النادي، حيث تضمها قاعة "شاكر صابر ضابط" [٢٠] .

شكل تأسيس النادي تحولاً مهماً في الحياة الثقافية والسياسية لتركمان العراق، باتفاق جميع شرائح المجتمع التركماني على أداة موحدة للتمثيل، ممثلاً في النادي، الذي صدر القرار بتأسيسه في "١١ذي القعدة ١٣٧٩/ ٧ آيار ١٩٦٠"، وعقب إتمام التحضيرات اللازمة، عقدت هيئته العامة اجتماعها الأول في "٢٨ شوال ١٣٨٠/ ١٤ نيسان ١٩٦١"، حيث بدا مزاولة نشاطه في دار يقع بحي العيواضية

في بغداد، وكـان من أولـى اهتماماته إغناء الحركة الفكرية والثقافية وتوفير الكتب والمراجع للدراسات الفكرية.

إن أهم تحول جوهري في حركة النشاط المعرفي لتركمان العراق قد حدث بصدور مجلة "الإخاء" باللغتين العربية والتركية، والتي بدأت بالصدور في "ذي القعدة ١٣٨٠/ آيار ١٩٦١"، لتحتل موقع متميز بين المجلات الثقافية الرصينة في العراق، فكانت نخبة من ابرز المفكرين والشعراء ينشرون إبداعاتهم بين صفحاتها، كما ضمت دراسات مهمة عن التاريخ والاجتماع والفكر والنقد الأدبي.

لقد انتشر الأثر الكبير للنادي مع نجاحه بفتح فرعين له في مدينتي اربيل والموصل، كما شجع التعليم العالي بين الشباب التركماني، من مختلف المناطق في التخصصات العلمية والإنسانية، إذ أسس قسم داخلي لإيواء الطلبة ومساعدتهم على التأقلم مع الحياة الجامعية، تلك الخدمة التي استفاد منها الكثيرون ممن تقلدوا وظائف عليا في السلم الوظيفي في العراق [٢١] .

كما شارك في تأسيس جمعية الصداقة العراقية التركية لتعميق الأواصر الأخوية والعلاقات الثقافية بين البلدين ومن خلالها التعريف بالثقافة التركمانية إلى الشعوب الناطقة بالتركية، وقام بزيارات عدة إلى تركيا وأذربيجان، وتركمانستان، ألقى خلالها محاضرات عن الثقافة والفولكلور التركماني، نالت استحسان الأدباء والباحثين في الدول المذكورة.

كذلك قام بتأسيس جمعية ثقافية في بغداد باسم (جمعية نشر الثقافة والمعرفة) في" محرم ١٣٨٨/ نيسان ١٩٦٨"، وضمت الهيئة المؤسسة، نخبة من الأكاديميين والأدباء منهم (د.صفاء خلوصي، سالم عبود الالوسي، د.سامي سعيد الأحمد)، وكان الهدف من تأسيسها كما جاء في المادة الرابعة من النظام الداخلي» نشر الثقافة والعلم بين أبناء الشعب العراقي، وتطبيق مناهج الحكومة في مؤسساتها التدريبية باللغة العربية، وتعليم اللغات الشرقية والغربية، وتأسيس دار للطبع والتأليف والترجمة، مساعدة الفقراء والمحتاجين من الطلبة، وتأسيس الأقسام الداخلية...".

إلا أن هذه الجمعية أغلقت عقب انقلاب "٢١ رجب ١٣٨٨ هـ/ ١٧ تموز ١٩٦٨"، مع سواها من الجمعيات الأهلية الأخرى من دون تحقيق أي من أهدافها.

وبعد صدور قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٨٩ في "١٦ ذي القعدة ١٣٨٩/ ٢٤ كانون الثاني ١٩٧٠"، الذي اعترف بالحقوق الثقافية للعراقيين التركمان، في حين أتاحت مادته الرابعة للأدباء التركمان من تأسيس اتحادهم والسماح لهم بنشر نتاجاتهم، تقدم مع عدد رفاقه بطلب إلى وزارة الداخلية، لتأسيس هذا الاتحاد، لكن تم رفضه، فاضطر إلى تأسيس مكتبة أهلية تجارية باسم (دار الأقلام التركمانية)، في شارع الرشيد ببغداد عام "١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م"، لتكون بديلة للاتحاد وجعلها ملتقى للأدباء والباحثين والشعراء تقام فيها جلسات أدبية وتراثية وفولكلورية يحضرها كبار الأدبـاء كعبد الحميد العلوجي، لطفي الخوري، حسين أمين، عبد الحميد الرشودي، عبدالله الجبوري، وغيرهم.

كما قدم طلباً إلى وزارة الداخلية لتأسيس جمعية ثقافية باسم(جمعية الثقافة التركمانية) في عام "١٣٩٢ه/١٩٧٣م"، إلا أن محاولاته باءت بالفشل [٢٢] .

لقد أبدي شاكر صابر الضابط رغبة أكيدة في التواصل مع العلماء والمؤرخين ومخالطتهم والاحتفاء بهم توسيعاً لنطاق عمله وإثراء لمعرفته وأملاً في الاستعانة بهم والأخذ منهم، من أمثال مصطفى جواد، عبد الرزاق الحسني، عباس العزاوي، كوركيس عواد، مصطفى النجار،حسين الداقوقي، عطا ترزي باشي، حسين أمين، ومن إليهم من العراقيين، ومن أمثال حسين مجيب المصري، زكي وليدي، احمد اتش، وغير هؤلاء وأولئك من مؤرخي أذربيجان وتركيا [٢٣] .

ضمن هذا السياق يذكر المؤرخ المعروف الدكتور إبراهيم خليل العلاف- جامعة الموصل، أنه منذ أن كان طالبا في الدراسات التاريخية العليا في مطلع السبعينات، تعرف على شاكر صابر الضابط، وكان برفقة المؤرخ عبد الرزاق الحسني في أثناء حضورهما المؤتمر الدولي للتاريخ الذي انعقد ببغداد في "صفر ١٣٩٣/ آذار ١٩٧٣"، فاغتنم وبعض زملائه وهم الأستاذ الدكتور عماد عبد الصاحب الجواهري- جامعة القادسية، والأستاذ الدكتور علي شاكر المولى- جامعة كركوك، الفرصة والتقطوا صورة مع الأستاذين الحسني والضابط لازال يحتفظ بها، وقد نشرها مرة في جريدة الحدباء الموصلية عندما كان يكتب عمودا بعنوان (التأريخ في صورة) [٢٤] .

ثالثاً:نتاجه المعرفي«١٢٧٤-١٤٠٨ه/١٩٥٥-١٩٨٨م» .

ظهر عدد من المؤرخين العراقيين التركمان في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، نذكر منهم المؤرخ رسول الكركوكلي "١١٨٨-١٢٤٣هـ/١٧٧٥-١٨٢٧م"، ويعد احد أهم مؤرخي القرن الثامن عشر، هاجر من كركوك إلى بغداد عام "١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م"، وعين كاتبا في المصرفخانة (دار الصرف)، أمره الوالي داود باشا "١٢٣٢-١٢٤٧هـ/١٨١٧-١٨٣١م"، بتصنيف كتاب في التاريخ، فألف كتاب (دوحة الوزراء) بلغة مزيج من اللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية موسى كاظم نورس "١٣١٩-١٤٠٢هـ/ ١٩٠٢-١٩٨٢م"، وسماه (دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء).

كذلك يرد اسم الدكتور مصطفى جواد "١٣٢١-١٣٨٩هـ/١٩٠٤-١٩٦٩م"، وهو مؤرخ ولغوي ولد في الخالص وأكمل دراسته في بغداد والقاهرة، ثم سافر إلى فرنسا للدراسة بجامعة السوربون، حيث عمل مدرسا في مختلف المراحل الدراسية آخرها في دار المعلمين العالية، كما كان عضوا في المجمع العلمي في دمشق وبغداد، ويعد احد علماء اللغة العربية البارزين، أما مؤلفاته في مجال التاريخ فكتاب (الحوادث الجامعة) الذي صدر عام "١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م"، وكتاب (سيدات البلاط العباسي) الذي صدر عام "١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م"، وكتاب (رحلة أبي طالب خان) عام"١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م"، و(دليل الجمهورية العراقية لعام ١٩٦٠)

و(دليل خارطة بغداد) مع الدكتور احمد سوسة "١٣١٨-١٤٠٣هـ/١٨٩٧-١٩٨٢م" وغيرها.

ولابد من ذكر الأكاديمي المعروف الدكتور ياسين عبد الكريم "١٣٣٢-١٤٠٨هـ/١٩١٤-١٩٨٨م"، من مواليد تلعفر، التحق بدار المعلمين العالية عام"١٣٥٨هـ/ ١٩٣٨ م" ليكمل دراسته عام"١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م"، ثم عين مدرسا على الملاك الثانوي في مدارس كركوك، وفي العام «١٣٧٠هـ/١٩٥١م"، التحق بجامعة مينيسوتا لدراسة التاريخ الأوربي الحديث، وحصل على درجة الماجستير والدكتوراه بدرجة امتياز، عاد إلى العراق عام"١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م"، ثم عين مدرسا في متوسطة المثنى بالموصل، انتقل إلى بغداد عام"١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م"، فشارك في تأسيس قسم التاريخ في جامعة بغداد كما ساهم في وضع المناهج والمقررات الدراسية، وهو احد مؤسسي (المركز الوطني للوثائق في بغداد)، وشغل منصب المدير العام للمدة "١٣٨٣-١٣٩٠هـ/١٩٦٤-١٩٧١م".

كان يتقن اللغات الإنكليزية والعربية والتركية والألمانية والكردية، أحيل إلى التقاعد في"٢٦ جمادي الأولى ١٤٠٨/ ١٥ كانون الثاني ١٩٨٨"، رحل في"١٠ ذي القعدة ١٤٠٨/ ٢٤ حزيران ١٩٨٨"، من مؤلفاته (الدول الكبرى بين الحربين العالميتين) و (تاريخ أوربا)، لديه مخطوطات لم تُطبع [٢٥] .

تناول شاكر صابر الضابط في مؤلفاته ومصنفاته سواء المطبوعة أو المخطوطة وباللغتين العربية والتركمانية، أبواباً علمية تضم أغراضاً متعددة، فكان له حضوره في ساحة التاريخ واللغة والتراث الشعبي طوراً وفي باحة الأدب والصحافة والترجمة طوراً آخر، كان طبيعياً أن تُطبع له كتب وتذاع له آثار وفصول عبر ثلاثة وثلاثين عام، لتأخذ موقعها المناسب في الخزانة المعاصرة، إذ تكتسب أهميتها من مضامينها المتنوعة والمتميزة [٢٦] .

وهو ضليع في ميدان الدراسات التاريخية، مع اطلاع واسع على الوثائق لإجادته التامة العربية والتركمانية، وله آثار عديدة بتلك اللغتين تناول فيها بالبحث العميق والتمحيص الدقيق مواضيع تُعد بكراً، وصولاً إلى حقائق بالغة الأهمية ومصنفات ودراسات لا يتسنى الاطلاع عليها والوصول أليها إلا من قبل جهابذة الدارسين ممن عركتهم تجارب البحث والدراسة من اضرابه الذين ديدنهم البحث الدقيق على وفق منهج البحث العلمي التاريخي، في حين ركز جهوده على تاريخ كركوك وما حولها وعلى تاريخ التركمان في العراق منذ عهد السومريين،وله كتب مخطوطة عن بيوتات كركوك والجوامع فيها "حبذا لو امتدت يد الباحثين لانتشالها من بين الرفوف العالية تحت ركام الإهمال والنسيان"[٢٧] .

نال عضوية عدد من الاتحادات والجمعيات، فانتمى إلى "جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين" ليشاطرها بعض مناسباتها ومواسمها فشارك فعلياً في التجمع السياسي والثقافي الذي انعقد خلال حرب حزيران ١٩٦٧ بقاعة الشعب ببغداد، كما شارك في مؤتمر الأدباء العرب السابع ومهرجان الشعر التاسع عام"١٣٨٨ه/ ١٩٦٩م:"، وفي الحلقة الدراسية الخاصة بالتراث الشعبي عام"١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م"، بالإضافة إلى

مشاركاته في مؤتمرات ثقافية وفولكلورية في باكو واذربيجان عام"١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م"، ثم بعد هذا وقبل هذا ساهم في مؤتمر المعلمين التركمان المنعقد بكركوك في "صفر ١٣٨٠/ آب ١٩٦٠".

انتسب إلى "جمعية الصداقة العراقية-التركية"، إذ ألف من قبل كتاب عن تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا، في حين ضمت الجمعية أصدقاء ومعارف من الشخصيات العراقية مثل طالب مشتاق، د.مصطفى جواد، عزيز سامي، د.صفاء خلوصي، محمد صالح محمود، وغيرهم كثير.

لأنه يترجم على قدر من اللغة العربية إلى اللغة التركمانية وبالعكس، فقد ارتأى أن ينضم إلى "جمعية المترجمين العراقيين" لعله يسهم ببعض ما يستطيع إليه سبيلا، ثم لا ننسى أنه كان عضواً في "اتحاد المؤرخين العرب"، إذ أبان فيه عن مساعي علمية ومبادرات ايجابية جعلت الأمانة العامة للاتحاد تقلده "وسام المؤرخ العربي" تثميناً لدوره المتميز في اغتناء التاريخ العربي وذلك بتاريخ "٨ صفر ١٤٠٨/ ٢ تشرين الثاني ١٩٨٧"، وهو يوم المؤرخ العربي، فكان بذلك أول مؤرخ عراقي تركماني ينال ذلك التكريم العلمي [٢٨] .

مثلت المدة "١٣٧٤-١٣٨٨هـ/ ١٩٥٥-١٩٦٩م"، ذروة نشاط شاكر صابر الضابط، إذ نشر خلالها خمسة عشر مؤلفاً باللغتين العربية والتركمانية، من بين جميع مؤلفاته الستة عشر، فأما مؤلفاته باللغة العربية، فهي:

١.تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا،"١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥".

٢.موجز تاريخ التركمان في العراق، ج١: بغداد "١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م".

٣. الكيل والميزان والمقياس في المدن العراقية في القرن التاسع عشر، بغداد "١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤".

٤.العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، بغداد "١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م".

٥.الرموز والإشارات والعلامات في المطبوعات العربية، بغداد "١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ".

٦.موجز تاريخ الصحافة في كركوك، بغداد "١٣٨٩هـ/١٩٦٩م".

أما مؤلفاته باللغة التركمانية، فهي :

١.عراق توركمانلري آغرنده آتالر سُوزي، بغداد "١٣٨٠هـ/ ١٩٦١ م" .

٢.كركوكده اجتماعي حيات، بغداد "١٣٨١هـ/١٩٦٢م ".

٣.بيات عشيرتي حقنده تاريخي اراشد يرما، بغداد»١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ م».

٤.عباسي اوردو سنده تورك قوموتانلري، بغداد "١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ م".

٥.بزده كي أخلاق واخلاق اكلامي دهردي، بغداد "١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م".

٦.ضابطك كوزكوسي، بغداد "١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م".

٧. ضابطك كوزياشلري، بغداد "١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م".

٨.ضابطك مكتبي، بغداد "١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م".

٩. باشا اوغلونك فقره لري، بغداد "١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م" [٢٩].

ترجم للمؤرخ والسياسي التركي شمس الدين كُنالطاي"١٣٠٠-١٣٨١هـ/١٨٨٣-١٩٦١م"، كتاب (التاريخ والمؤرخون في الإسلام)، الذي راجعه الدكتور مصطفى جواد، ونشر في حلقتين في مجلة الإخاء (العددان ١٩٣-١٩٤، بغداد ١٩٨٨)، والتي تصدر عن نادي الإخاء التركماني [٣٠].

فالكتاب الأول أصدره عام"١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م"، بعنوان" تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا، مطبعة دار المعرفة، بغداد"، مُهديا إياه إلى" الذين فكروا في توطيد أواصر الإخوة بين الشعبين العراقي والتركي"، حيث استهل الكتاب بمقدمة ضافية للدكتور مصطفى جواد، وما إن اقبل العام "١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م" حتى نشر كتابه الثاني» موجز تاريخ التركمان في العراق،الجزء الأول» وباللغتين العربية والتركمانية، فكان له صدى واسع في جميع المحافل، كما أوجز د..مصطفى جواد في مقدمته المدبجة محتويات الكتاب بقوله "هذا بحث تاريخي طريف ممتع توفر على إخراجه بهذا السير الحسن، وفي هذا السفر اللطيف،الأستاذ والباحث شاكر صابر الضابط المعروف بصدقه بالتاريخ وصدق لهجته فيه واستخلاص العبر منه.."، ثم ظهر كتابه الرابع "العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران" عام "١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م"، ضمن دراسة تمتد منذ العهد العثماني حتى الحاضر، مع نبذتين للمؤرخ عبد الرزاق الحسني الذي قال "أن الصديق الضابط اثبت بهذه الموسوعة انه مؤرخ ثبت.."، كذلك كتب الباحث الموسوعي كوركيس عواد " إن المتصفح لهذا السفر الحافل يرى أن الأستاذ المؤلف قد توافر على موضوعه وراجع مختلف المصادر العربية والتركية وغيرها مما له صلة بهذا الموضوع وخرج من ذلك كله، بهذا الكتاب الذي يُعد من أجل ما كُتب في بابه.."، ثم استمر بالبحث في ذات الموضوع بآخر مؤلفاته "تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وإيران،١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م"، الذي كتب الدكتور حسين أمين بمقدمته "قد انبرى لهذا الموضوع الصعب صديقنا السيد شاكر صابر الضابط فقدم هذه الدراسة المستفيضة والمسندة بالحجج والوثائق واعتقد أنه خير من يقدر على إيفاء الموضوع حقه لكونه رجلاً عسكريا عاش بعض أحداث هذه العلاقات وانه سبق وان كتب موضوعاً له صلة في العلاقات العراقية الإيرانية، وأني على ثقة أن الكتاب سيكون حليفه النجاح والتوفيق.."، أما الدكتور سامي سعيد الاحمد، فيقول بتقييمه العلمي في المقدمة "إن دراسة الأستاذ الضابط هذه ستسد فراغاً نحن بأمس الحاجة إلى سده الآن وسوف ينتفع به الكل بمختلف المستويات لما حواه من شمولية واطلاع على مصادر ليس من السهل الحصول عليها من قبل الغالبية..".

وما ينبغي التوقف عنده بعض الشيء، هو بحث الضابط الموجز عن "تاريخ الصحافة في كركوك" الصادر ضمن أبحاث العيد المئوي للصحافة في العراق"١٢٨٦-١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩/١٨٦٩"، والذي دون فيه المؤلف تاريخ الصحافة بمدينته الأم، ثم أن له فصلين

مطبوعين في كراستين عنوان الأول «الكيل والميزان والمقياس في المدن العراقية في القرن التاسع عشر"،الصادر ببغداد عام "١٣٨٣ه/ ١٩٦٤م"،في حين أن عنوان الثاني " الرموز والإشارات والعلامات في المطبوعات العربية"، الصادر ببغداد عام "١٣٨٨هـ/١٩٦٨م"، على أن هذه المؤلفات وعلى الرغم من ريادتها التاريخية لا تعدو مجرد كونها دراسات موجزة ضمن كُتيبات أو فصول، لا ترتقي إلى مستوى الكتب، كما يدخل بهذا السياق مؤلفاته باللغة التركمانية، لكن من المنصف أن ننوه ولو بعض الشيء بما حوته كتيباته الثلاثة" ضابطك كوزكوسي؛ ضابطك كوزياشلري؛ ضابطك مكتبي" التي صدرت في عام "١٣٨٨هـ/١٩٦٨م"، فهي من الأدب الذاتي والاجتماعي "المستمد وقعه وصدقه من تلك الأغوار المشبوبة بالإيمان والحنين والمعمد بهواجس الوطنية والقومية ثم التطلع إلى الأمثل".

مع هذا أن أسباباً تحض على اعتبار كتابه» كركوكده اجتماعي حيات"، الذي أخرجته مطبعة الزمان في بغداد عام "١٣٨١هـ/ ١٩٦٢ م"، ويقع في ١٧٧ صفحة، من أفضل أثاره، فهو أول كتاب عن المجتمع والتراث الشعبي في كركوك، كما امتاز بخصوصية وواقعية حاول المؤلف أن يعرضهما بوضوح، وفي ضوء ما اطلع عليه من وثائق،وما توقف عنده كنتيجة طبيعية لدراسة الأحوال البيئية والاجتماعية والتربوية ومؤثراتها، لكن وعلى الرغم من سعيه أن باتي كتابه وافياً في إطاره العام سرداً ومقارنةً «غير أنه لم يستطع أن يقول كل شيء، ولست ادري إن كان ذلك على سبيل التركيز والإيجاز ولو في حدود أم أن أشياء فاتته سهواً وهو في عجلة من شأنه» [٣١] .

إلى جانب دراساته التاريخية الرصينة التي تتصف بالأصالة والإبداع، يُعد واضع أسس الاهتمام بالدراسات الميدانية والعلمية في موضوع الموروثات الشعبية في العراق[٣٢]، فأسس مجلة (التراث الشعبي)، التي صدرت في "١٣ رجب ١٣٨٣/ ١ أيلول ١٩٦٣"، باللغات العربية، التركمانية، الفارسية، الانكليزية، الفرنسية، الألمانية، وتولى مسؤولية امتيازها، ورئاسة تحريرها د.إبراهيم داقوقلي "١٣٥٢-١٤٢٩هـ/ ١٩٣٤-٢٠٠٨م"، وإدارة تحريرها عبد الحميد العلوجي، وسكرتارية تحريرها لطفي الخوري، لكن تخلى عن امتيازها في سنتها الثانية، ليتولاه إبراهيم داقوقلي، بعد أن تحولت إلى الصدور باللغة العربية فقط.

كما أصدر جريدة أسبوعية، أدبية، فنية، تراثية، باللغتين العربية والتركمانية، باسم جريدة (العراق)، صدر عددها الأول في "٣٠ محرم ١٣٨٦/ ٢١ آيار ١٩٦٦"، وتوقفت بعد صدور (٦٦)عدداً منها، في "١٨ شعبان ١٣٨٧هـ/ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٧م"، فضلاً عن عضويته في هيئة تحرير مجلة الإخاء لمدة وجيزة[٣٣] .

والأمانة التاريخية تفرض علينا أن نوثق، أن شاكر صابر الضابط ترك بعده كتباً مخطوطة وهي على ما يبدو غير قليلة منها باللغة العربية "موجز تاريخ التركمان، جزء ثان" و" العراق والاستعمار في مرآة التاريخ" و"ونسب صلاح الدين الأيوبي"، ومنها باللغة التركمانية .

رحل المؤرخ شاكر صابر الضابط رحمه الله

صبيحة يوم الأربعاء الموافق "٤ رجب ١٤١٠ / ٣١ كانون الثاني ١٩٩٠"، عن عمر ناهز ٧٧ عام، وبناء على وصيته، تم دفنه في مقبرة (بويوك تكية) المعروفة "بالتكية الطالبانية"، بجانب القلعة، إلى جوار قبر والده، في مسقط رأسه مدينة كركوك [٣٤] .

يذكر الدكتور إبراهيم خليل العلاف "كان منهجه في كتابة التاريخ يقترب كثيراً من منهج المؤرخ عباس العزاوي، فهو، كما معروف، ليس من المؤرخين الأكاديميين بل من المؤرخين الهواة، وقد شكلت مؤلفاته وكتاباته التي اتسمت بالدقة والعلمية والوضوح والموضوعية مادة خام لكثير من المؤرخين الأكاديميين وطلبة الدراسات العليا الذين استفادوا منها استفادة كبيرة" [٣٥] .

تم الاحتفاء بالمؤرخ شاكر صابر الضابط عقب رحيله، فبمناسبة إيداع مكتبته الخاصة في نادي الإخاء التركماني، أقام النادي ندوة بتاريخ "٢٨ رجب ١٤٣١/ ١٠ تموز ٢٠١٠"، تحدث فيها رئيس النادي د. محمد عمر قازانجي عن سيرة المؤرخ شاكر صابر الضابط ونشاطاته الثقافية ونتاجه الفكري التاريخي ومحتويات المكتبة النادرة [٣٦].

الخاتمة

يُعد علم التاريخ بمراحله المختلفة من أهم العلوم، سواء أكانت الإنسانية منها أم الصرفة، وسبب ذلك أن هناك حاجة إلى العودة للبدايات من اجل التوصل لنتائج مرحلية، أو لتفسيرها، لذا تكون مهمة عالم التاريخ أو المؤرخ (كما يسميه البعض)، عسيرة في ضوء تعدد المصادر واختلاف الروايات.

تُعد دراسة الفكر التاريخي في العراق من الدراسات الإنسانية المهمة في تاريخ الفكر والحضارة، لأنها تكشف عن الأسس والركائز الأساسية التي أدت إلى نشوء مختلف أنواع حقول المعرفة الإنسانية، بخاصة وأن للتاريخ مكانة متميزة في تدوين السجل الحافل للحضارة العراقية، ولذلك فلابد من دراسة وكتابة هذا الموضوع من قبل أبناء العراق بصفة خاصة لأنهم أحق بدراسته من غيرهم.

ضمن هذا السياق يبرز نمط من التاريخ المحلي(تاريخ المدن والأقاليم)، إذ أهتم المؤرخون بتدوين تواريخ خاصة بمدنهم،وكان المغزى من وراء ذلك هو إظهار تاريخ كل مدينة والتفاخر به، والتعرف على شيوخ بلد معين، أو شيوخ البلدان الأخرى، وكذلك لتسهيل عمل طلاب العلم، كي يميزوا بين الرواة ومواطنهم، وقد برز صنفان من التواريخ المحلية، الأول منها يهتم بتدوين تاريخ مدينة معينة، وتناول خططها وتاريخها السياسي من دون الاهتمام برجالها أو من وردها من العلماء والمفكرين، ونوع آخر يبين أثر المحدثين فيه، وظهور التحيز للمدينة، وغالباً ما يكتبه واحد من سكانها.

ينتمي المؤرخ شاكر صابر الضابط "١٣٣١-١٤١٠هـ/ ١٩١٣-١٩٩٠م".إلى هذا النمط من المؤرخين، فبحكم ولادته ونشأته، ثم انتماؤه القومي، الأمر الذي أتاح له إجادة تامة للغتين العربية والتركمانية، رافق ذلك كله اهتمام شخصي بالموروث الشعبي في مدينته كركوك، وبالتالي بالتاريخ الخاص بها، أو ذاك الذي له صلة غير مباشرة، فخصص الشطر الأكبر من جهده البحثي إلى هذا المحتوى التاريخي النادر،

فكان رائداً في مضماره، وبالتالي احتلت مؤلفاته وباللغتين، أهمية خاصة لدى الباحثين في هذا الحقل العلمي التاريخي، بحكم شغفه واطلاعه الواسع على الوثائق و المصادر الأصيلة الخاصة به، فجاءت مؤلفاته زاخرة بالمحتوى العلمي المميز، بخاصة وإنها تميزت بالشمولية، فلم يترك أي جانب من دون الإلمام به، بدءاً من المجتمع إلى السياسة، إلى الفولكلور الشعبي العراقي-التركماني، بكافة فروعه ومراحله الزمنية، فقدم بذلك خدمات جليلة إلى الباحثين وطلبة الدراسات العليا، وغيرهم من المهتمين بالموضوع..

لم يقتصر نشاطه على ميدان معين، بل امتد ليشمل ميادين أخرى، كالترجمة، ثم انه سعى إلى إن يكون له دور في ميدان الصحافة، فاصدر مجلة التراث الشعبي في «١٣ رجب ١٣٨٣/ ١ أيلول ١٩٦٣»، ثم جريدة العراق في «٣٠ محرم ١٣٨٦/ ٢١ آيار ١٩٦٦»، وعلى الرغم من أن كلتا التجربتين لم تكتملا، لكنهما امتازتا بخصوصية تاريخية ملفتة للنظر، سواء من حيث احتوائهما على بحوث أصيلة وبعدة لغات، ثم السعي للاستفادة من ارتباطاته الشخصية والعلمية الوثيقة مع نخبة من علماء ومثقفي العراق، في تلك المرحلة التاريخية، فسعى لاستقطابهم من اجل العمل معه، سواء أكان في مجال الكتابة الصحفية، وكتابة المقدمات الأدبية المميزة لمؤلفاته الرصينة، أو العمل معه في الجمعيات الثقافية التي أسسها أو سعى لذلك.

أبدى شاكر صابر الضابط اهتماماً كبيراً ومنذ العام «١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م»، بجمع المصادر والكتب لمكتبته الشخصية، فكانت خير معين له في دراساته التاريخية، بما احتوته من المراجع المهمة، لذا حرص على الحفاظ عليها، فجعلها خلال حياته وقفاً، ثم أتاحها للطلبة والمهتمين، فحافظ بذلك عليها من التشتت والضياع، وعقب رحيله بعقدين، قررت أسرته التبرع بمحتوياتها إلى مكتبة نـادي الإخـاء التركماني، وهو ما يستحق التنويه به.

الهوامش

(١) الذاتية والموضوعية في دراسة تاريخ العراق المعاصر،ندوة قسم الدراسات التاريخية- بيت الحكمة،بغداد، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٥ .

(٢) رميض، صباح مهدي، أبحاث تاريخية عراقية وعربية معاصرة(دراسة في ضوء المنهج الإشكالي في التأريخ)، المطبعة المركزية، جامعة ديالى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م، ص ١٣ .

(٣) كوثراني، وجيه، تأريخ التأريخ (اتجاهات، مدارس، مناهج)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،ط١،١٤٣٦،٣هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٨- ١٩ .

(٤) رؤوف، عماد عبد السلام، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الدار العربية، بغداد،ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م،ص ٦ .للتفاصيل عن إشكالية التاريخ الحديث والمعاصر ينظر: رميض،صباح مهدي، المصدر السابق، ص ١٦-١٩ .

(٥) الحسناوي، ظاهر محمد صكر، دراسات في منهجية الفكر التاريخي، دار ومكتبة عدنان،، بغداد، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤ م، ص ٤٧.

(٦) رؤوف،عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص ٥ .

(٧) المشهداني، محمد جاسم، التدوين التأريخي عند العرب (مدرسة بغداد التأريخية انموذجاً)، دار الكتب العلمية، بغداد،، ط٢، ٤٣٤١هـ/ ٣١٠٢م، ص ٥٠١ .

(٨) كوثراني، وجيه، المصدر السابق، ص ٦٣ .

(٩) المشهداني، محمد جاسم،المصدر السابق، ص ١٣٧ .

(١٠) رؤوف، عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص٦١-٦٢ .

(١١) الذاتية والموضوعية في دراسة تاريخ العراق المعاصر، المصدر السابق، ص ١٢. للتفاصيل ينظر :الحسناوي، ظاهر محمد صكر، المصدر السابق، ص ٤٨-٥٢ .

(١٢) الهرمزي، أرشد، التركمان والوطن العربي،، مؤسسة وقف كركوك، استانبول، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩-١٠ . للتفاصيل ينظر: ساعتجي، صبحي، الكيان التركماني في العراق، ترجمة حبيب الهرمزي، استانبول، ط١،١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٢١-٢٢ .

(٣١) السويداني، حامد محمد طه ، دور المؤرخين التركمان في كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الحوار المتمدن، بغداد، العدد ٠٢١٧، ٤٢ جمادي الأولى ٥٣٤١ه/ ٨٢ كانون الأول ١٢٠٢ م. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٧٤٢١٨٧

(١٤) الداقوقي، إبراهيم، التركمان في العراق (تاريخهم-آدابهم- فنونهم)، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٧- ١٨؛ للتفاصيل ينظر: بصري، مير، أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث، دار الوراق للنشر، لندن، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١٥) المطبعي،حميد، موسوعة أعلام وعلماء العراق، ط١، مؤسسة الزمان الدولية للصحافة والنشر والمعلومات،، بغداد، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١، ص٣٤٦ .

(١٦) البياتي، أورهان، صفحات مطوية من حياة المؤرخ شاكر صابر ضابط، الإخاء، مجلة ثقافية وأدبية عامة، نادي الإخاء التركماني، بغداد،، العدد ٣١٢-٣١٣-٣١٤، تشرين الأول- تشرين الثاني، كانون الأول/١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٢-١٣ . للتفاصيل ينظر: ساعتجي، صبحي، كركوك وهويتها العمرانية مركز أتاتورك للثقافة والنشر، استانبول، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ١٣-٦٥ .

(١٧) كركوكلي، صباح عبدالله، أعلام الصحافة التركمانية (١٩٠٠-١٩٥٨)، إصدارات نادي الإخاء التركماني، بغداد،،(٣١)، كركوك، شركة فضولي للطباعة والنشر ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ص ٩١ .

(١٨) بهاء الدين، وحيد الدين، وجوه تركمانية في رحاب الثقافة والصحافة، وزارة الثقافة، مشروع بغداد عاصمة للثقافة العربية،ط٢، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م، ص٤٨- ٥٠.

(١٩) للتفاصيل ينظر: حسن، صبحي الشيخ، الملا صابر الملا محمد الكبير(حياته وكتبه ومصنفاته) مجلة الإخاء، نادي الإخاء التركماني، بغداد، السنة ٦٠، العدد ٣٦٦، خريف ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص ٢٠-٢٩ .

(٢٠) البياتي، أورهان، المصدر السابق، ص ١٣-١٤ .

(٢١) الهرمزي، ارشد، المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩ . بالرغم من كونه عضو في الهيئة المؤسسة للنادي، ثم في الهيئة الإدارية المؤقتة للنادي، لكنه لم يشترك في عضوية الهيئات الإدارية للنادي؛ كذلك ضمت الهيئة المؤسسة نخبة من المثقفين، منهم مردان علي ١٣٤١-١٤٣١ه/١٩٢٣-٢٠١٠م، وياسين عبد الكريم١٣٣٢-١٤٠٨ه/١٩١٤-١٩٨٨م، وغيرهم. للتفاصيل ينظر: الهرمزي، حبيب، مذكرات صحفي تركماني، مؤسسة وقف كركوك للنشر، استانبول، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ص ١٥٩-١٧١ .

(٢٢) البياتي، أورهان، المصدر السابق، ص ١٦-١٧ .

(٢٣) بهاء الدين، وحيد الدين، المصدر السابق، ص ٤٩ .

(٢٤) العلاف، إبراهيم، المؤرخ شاكر صابر الضابط ١٩١٣ -١٩٩٠والاسس الأولى لاهتمام المدرسة التاريخية العراقية بتاريخ التركمان، مدونة الدكتور

إبراهيم العلاف،١٧ محرم ١٤٣١هـ/ https:// wwwallafblogspotcom.blogspot.com٣ كانون الثاني ٢٠١٣م/

(٥٢) المصدر السابق، ص٣٢.٢٥ . السويداني، حامد محمد طه .

(٢٦) بهاء الدين، وحيد الدين، المصدر السابق، ص ٥٣ .

(٢٧) الضابط، شاكر صابر، بحث تأريخي حول عشيرة البيات، ترجمة نجات كوثر اوغلو، مراجعة وتقديم مولود طه قاياجي، كركوك، ط٤، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص٥-٦

(٢٨) بهاء الدين، وحيد الدين، المصدر السابق، ص ٥١ .

(٢٩) عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرنيين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩ م، المجلد الثاني، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٦٩م، ص ٧٩-٨٠ .

(٣٠) العلاف، إبراهيم، المصدر السابق،ص٤٣.

(٣١) بهاء الدين، وحيد الدين المصدر السابق، ص ٥٣-٥٦ . للتفاصيل ينظر: قرقماز، اوغوز، شاكر صابر ضابط في كتبه ومصنفاته، مجلة الإخاء، العدد ٣١٢-٣١٣-٣١٤، تشرين الأول- تشرين الثاني، كانون الأول ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥ م.

(٣٢) الضابط، شاكر صابر، المصدر السابق، ص ٦. للتفاصيل عن الأدب الشعبي التركماني ينظر: الداقوقي،إبراهيم، المصدر السابق، ص ١٦٢-٣٥ .

(٣٣) كركوكلي، صباح عبدالله، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٣٤) بهاء الدين، وحيد الدين، المصدر السابق، ص ٥٦

(٣٥) العلاف، إبراهيم، المصدر السابق، ص٤٣.

(٣٦) اللجنة الثقافية لنادي الإخاء التركماني، المركز العام / بغداد. http://kardeslikocagi.org/pages?id=٤

قائمة المصادر

أ.الكتب.

(١) الحسناوي، ظاهر محمد صكر، دراسات في منهجية الفكر التاريخي، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤ م.

(٢) الداقوقي،إبراهيم، التركمان في العراق (تاريخهم- آدابهم- فنونهم)، ط١الدار العربية للموسوعات،، بيروت،١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م .

(٣) الذاتية والموضوعية في دراسة تاريخ العراق المعاصر،ندوة قسم الدراسات التاريخية- بيت الحكمة،بغداد، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٤) الضابط، شاكر صابر، بحث تأريخي حول عشيرة البيات، ترجمة اوغلو، نجات كوثر، مراجعة وتقديم قاياجي، مولود طه، كركوك، ط١٤٣٦،٤ه/ ٢٠١٥م .

(٥) المشهداني، محمد جاسم، التدوين التأريخي عند العرب (مدرسة بغداد التأريخية انموذجاً)، دار الكتب العلمية، مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، بغداد، ط١٤٣٤،٢هـ/ ٢٠١٣ م.

(٦) المطبعي، حميد، موسوعة أعلام وعلماء العراق،، بغداد، مؤسسة الزمان الدولية للصحافة والنشر والمعلومات، ط١، ج١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٧) الهرمزي، أرشد، التركمان والوطن العربي، مؤسسة وقف كركوك،استانبول، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

(٨) الهرمزي، حبيب، مذكرات صحفي تركماني، مؤسسة وقف كركوك، استانبول، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

(٩) بصري، مير، أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث، دار الوراق للنشر، لندن، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١٠) بهاء الدين، وحيد الدين، وجوه تركمانية في رحاب الثقافة والصحافة، وزارة الثقافة، مشروع بغداد عاصمة للثقافة العربية، ط١٤٣٤،٢هـ/ ٢٠١٣ م.

(١١) رميض،صباح مهدي، أبحاث تاريخية عراقية وعربية معاصرة(دراسة في ضوء المنهج الإشكالي في التأريخ)، المطبعة المركزية،جامعة ديالى،،١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

(١٢) رؤوف،عماد عبد السلام، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، الدار العربية، بغداد، ط١،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(١٣) ساعتجي،صبحي، الكيان التركماني في العراق، ترجمة حبيب الهرمزي، استانبول، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١٤) عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين في القرنيين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠-١٩٦٩ م، المجلد الثاني، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٦٩م.

(١٥) ١٥ . كركوكلي، صباح عبدالله، أعلام الصحافة التركمانية (١٩٠٠-١٩٥٨)، ط١، إصدارات نادي الإخاء التركماني، شركة فضولي للطباعة والنشر،بغداد، (٣١)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م .

(١٦) كركوكلي،صباح عبدالله، كركوك وهويتها العمرانية، مركز أتاتورك للثقافة والنشر، استانبول،،ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

(١٧) كوثراني، وجيه، تأريخ التأريخ(اتجاهات، مدارس، مناهج)، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط٣، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م .

ب. المجلات

(١) الإخاء، مجلة ثقافية وأدبية عامة، بغداد، نادي الإخاء التركماني، العدد ٣١٢-٣١٣-٣١٤، تشرين الأول- تشرين الثاني، كانون الأول ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م،(ملف خاص عن المؤرخ شاكر صابر ضابط).

(٢) الإخاء، مجلة ثقافية وأدبية عامة، بغداد، نادي الإخاء التركماني،السنة ٦٠، العدد ٣٦٦، خريف ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

ج. المواقع الالكترونية.

(١) العلاف، إبراهيم، المؤرخ شاكر صابر الضابط ١٩١٣ -١٩٩٠والاسس الأولى لاهتمام المدرسة التاريخية العراقية بتاريخ التركمان، مدونة إبراهيم العلاف،١٧محرم ١٤٣١هـ/٣كانون الثاني ٢٠١٠م. https://wwwallafblogspotcom.blogspot.com

(٢) اللجنة الثقافية لنادي الإخاء التركماني، المركز العام / بغداد./http://kardeslikocagi.org pages?id=٤

(٣) حامد محمد طه السويداني، دور المؤرخين التركمان في كتابة تاريخ العراق الحديث والمعاصر، الحوار المتمدن، العدد ٧١٢٠،٢٤ جمادي الأولى ١٤٤٣هـ/ ٢٨ كانون الأول ٢٠٢١ م . . https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٧٤٢١٨٧

الإبل في الأندلس

أ.د. عبد السلام الجعماطي
المغرب

توطئة:

مثّلت الأندلس - بحكم موقعها الجغرافي - قطراً منعزلا عن باقي ديار العروبة والإسلام، وقد عبّر المؤرخون العرب عن هذه العُزلة الجغرافية، إلى حَدّ أنّ القزوينيّ أفصح عن تعجبه من وجود دولة الإسلام بها، بقوله: إنّ "من عجائب الدنيا... المملكة الإسلامية بالأندلس، مع إحاطة الفرنج من جميع الجوانب، والبحر بينها وبين المدد من المسلمين"؛ حيث تعتبر الأندلس شبه جزيرة، تكاد تكون منقطعة عن البرّ إلا من جهة جبال البرانس (Les Périnées)، وهي الجهة التي تتاخم دار الحرب، وتحادي من معظم أطرافها حدود الممالك النصرانية المناوئة للمسلمين بشبه الجزيرة الإيبيرية خلال معظم تاريخها الممتد من الفتح إلى سقوط مملكة غرناطة. وبالنظر إلى هذه الخصوصية الجغرافية، فقد ظلّت الأندلس بمعزل عن وجود مجموعة من الكائنات والحيوانات البرّية والأليفة، إلا ما جَلَبَ إليها العربُ المسلمون من باقي الأقطار، من قبيل ما يُقال عن الزرافة، والفيل، والأسد، والإبل؛ مع العلم أنّ بعض الدارسين قد شكّكوا في وجود الجَمَل بالأندلس، أو قلّلوا من أعدادها المستنتجة بها، إلى حدّ جعلها في هذا الأمر شبيهة بالنخيل في الأندلس، وأنّه ربما قد اقتصر نِتاج الإبل على حالات نادرة، نظرا لعدم موافقة البيئة الأندلسية لهذا الحيوان الصحراوي. بيد أننا نحاول في هذه الدراسة -عبر عرض وتحليل مجموعة من المعطيات والإشارات التي تتضمنها المصادر التاريخية المباشرة والدفينة للحضارة الأندلسية -أن نستعرض هذه الخصوصية التاريخية الفريدة للأندلس، والتي نؤكد من خلالها حقيقة وجود هذا الحيوان الصحراوي في بيئة جغرافية ومناخية معتدلة ومطيرة، في أقصى جنوب غرب القارة الأوروبية، وذلك عبر استنطاق نصوص غميسة وقفنا عليها حول تاريخ الإبل بالأندلس.

التأليف في الإبل بالأندلس:

اشتُهِر أدباءُ العرب وعلماؤُهم بوضع تصانيف في فضل بعض أنواعها؛ ففي مضمار التأليف في دوابّ الركوب والحمل، وفي " الآثار الثابتة"

في الإبل، كثيرة هي التصانيف التي وضعها علماء الإسلام في هذا الباب منذ المائة الثانية للهجرة، كتآليف أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (١١٩-٢١٠هـ) في الأنعام عامّة؛ مثل "كتاب المعزى والإبل والشاة"، أو التصانيف المقصورة على الإبل وشياتها، وأوقات نتاجها، مثل كتاب "الإبل" لكل من النضر بن شميل (ت: ٢٠٤هـ) وأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (ت: ٢٠٦هـ)، وعبد الملك بن قريب الأصمعي اللغوي (ت: ٢١٦هـ)؛ كما نقف في "فهرست" ابن النديم، على "كتاب في الإبل" لأبي عثمان عمرو الجاحظ (ت: ٢٥٠هـ)، ويعتبر "كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها" في خمسة أجزاء، للأديب اللغوي الشهير أبي علي إسماعيل القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ) نزيل الأندلس أقدم تأليف وضعه علماء الأندلس في هذا الباب؛ كما ترجم إسحاق بن علي بن سليمان عن الفرس تأليفا «في علاج سائر الدوابّ والخيل والبغال والبقر والغنم والإبل ومعرفة ثمنها وسومها»، واشتملت المعاجمُ المؤلّفة في التراث الاصطلاحي الإسلامي، أسماء جامعة للإبل وباقي أنواع الدواب، مثل "الحافر"، "والظهر" وهي "دواب السفر التي تحمل عليها الأثقال من الإبل وغيرها"، أو الأسماء المقصورة عليها كالبعير؛ ومن جهتها، أوجبت كتب الشرع الاهتمام بصحة الإبل ومظهرها، وعدم إلحاق أي ضرر بها، ومن هذا القبيل ما حَذّرت منه السنة النبوية السمحة من محاذير في ذلك، كالنهي عن خِصائها.

والجدير بالذكر، أنّ المصادر التاريخية الأندلسية تشير إلى استعمال عبارة "القافلة" بالأندلس منذ القرن الخامس الهجري، بنفس المدلول الشائع للكلمة؛ مع أنه ينبغي التأكيد على أنّ هذا الاصطلاح لم يكن بالضرورة مقترنا بالإبل، حسب ما يستنتج من سياق الحديث عنها في إحدى الدراسات الحديثة. وأطلقت عبارة "الركب" و"الركاب" على من يسافرون بواسطة الدواب عموما ومن ضمنها الجمل، بيد أنها اقتصرت بالمشرق على الإبل، نظرا إلى غلبتها على الاستعمال في الركوب والحمل.

أمّا في مضمار الشعر، فقد شكّلت الإبل موضوعاً للوصف في دواوين الشعراء الأندلسيين، كقول الشاعر عبد الرحمن بن أحمد الحوّات الطليطلي (ت: ٤٤٨هـ) المعاصر للخلافة الأموية ودول الطوائف بالأندلس:

لَمَّا غَدوا بالغِيدِ فوقَ جِمالهم

طَفِقتُ أُنادِي لا أُطِيقُ بهم هَمْسا

ومن شعر لأبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم يصف الجمل العظيم الضخم المسمى في لسان العرب القنعاس، في قوله:

عَلَى كُلِّ قِعْنَاسٍ كَأنّه لِغامِهِ

وقَدْ سَئِمَ الإرْقالَ قُطْنُ مُنَدِّفِ

وكقول الأعمى التطيلي (ت: ٥٢٥هـ) الذي عاش في كنف المرابطين بالأندلس:

كأنْصافِ البُرى وتَدِقُّ عنها

شَواهاً دِقّةً تَسَعُ الخِلالاَ

وكشعر ابن أرفع رأس الجَيّانيّ (ت: ٥٩٣هـ) الذي عاصر خلافة الموحدين، يصف وُرودَ قطعان الإبل لموارد المياه، بقوله:

إذا وَرَدَ الهِيمُ الخِماصُ عَشِيَّةً بها،

صَـــدرتْ عنـها بِـطـانـاً رُواتُـهـا

وكقول الوزير الحكيم أبي بكر محمد بن الجراوي من أعيان كُتّاب غرناطة في مدّة الملثَّمين، يَصف ضخامة إبل بلده ونعومة أجسامها:

كَـمْ فـي فَيَافِيهِم مِـنْ غَـادَةٍ فُنُقٍ

يَـخْـدِي بِها كلُّ مَـوّار السُّرى فُنُقِ

وقول ابن السيد البطليوسي (ت: ٥٢١هـ) يمدح ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج في شعر يعدّد فيه أصناف الإبل وشياتها:

وَاَقْـرِ ضَـيْـفَ الـهُـمُـومِ كـلَّ أَمُـونٍ

عَـنْـتَـرِيـسٍ أَوْ بـــازِلٍ شِـــرْوَاضِ

بل وصل حُبُّ الإبل بعرب الأندلس إلى مبلغ إطلاق أسماء سنية عليها، ونظم الأشعار في حسنها وجودتها في السلم والحرب.

وعموما، فقد انتشرت بين العرب في شرق دار الإسلام ومغربها على حد سواء، معرفة جيدة بوظيفة كل نوع من دوابّ الركوب والحمل؛ إذ اعتبر حافظ الأندلس أبو عمر بن عبد البرّ النمري (٣٦٨-٤٦٣هـ) أنّ "الإبل للتحمل"، أمّا التُّدْمِيري (ت: ٤٠٣هـ) فقد عدّ "الإبل للسفر والرحل".

وتداولت كتب الفلاحة معارف وتجارب بشأن استخدام أصنافها؛ وفي هذا الصدد، اعتبر أبو زكريا يحيى ابن العوّام الإشبيلي (ت: ٥٥٣هـ) - وهو عالم فلاحة أندلسي ذائع الصيت - أنّ الإبلَ كانت من أكثر الحيوانات استخداماً في الأنشطة الفلاحية بالأندلس وأكثرها نفعاً "في أشغال البادية". ويفصح من خلال هذا التصنيف عن دراية عملية كبيرة بالواقع الأندلسي في المقام الأول؛ ثم إنّ هذا النصّ يدلّ على وجود الإبل بالأندلس في القرنين الخامس والسادس للهجرة المحمدية، إلى حدّ أنها أضحت معه شائعة الاستخدام في الأعمال الفلاحية، مثل الزراعة والسقي بالناعورة وحمل المحاصيل الزراعية والحطب.

اختلاف الدارسين بشأن وجود الإبل بالأندلس:

مع أنّ بعض الأجناس من الدوابّ - وعلى رأسها الإبل - ظلت مسألة بداية وجودها بالأندلس موضع خلاف بين المؤلفين القدامى؛ كالفقيه عبد الملك ابن حبيب السلمي الإلبيري (ت: ٢٣٨هـ)، الذي ذكر أنّ الإبل معدومة بالأندلس، وكذلك الحال بالنسبة إلى عدد من الدارسين المحدثين الذين تضاربت آراؤهم حول وجودها بهذا القطر الإسلامي النائي، ومدى أهمية هذا الوجود، فإنّ معظمهم يُرجعون الفضلَ للعرب في إدخال الإبل إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، ضمن مجموعة من المناطق التي عرفت هذه الدواب منذ القرن الثامن الميلادي، كما يعود إليهم فضل انتقاء السلالات وتهجينها. بينما يذهب البعض منهم إلى اعتبار الإبل من الحيوانات التي ظل تعدادها قليلا بالأندلس إلى حين عبور المرابطين إليها عام ٤٧٩هـ، حيث اعتبر إسماعيل سامعي أن الإبل كانت كالنخيل قليلة في الأندلس، وهو رأي يجد ما يعضده من المصادر النصية، مثلما سنقف عليه لاحقا، كما أنه يجد بعض الوجاهة إذا ما أعملنا المقارنة عدديا بين قطعان الجمال

وبين باقي أصناف الدوابّ، خاصة البغال التي اشتُهرت بها الأندلس، تبعا لشهادة الجغرافيين العرب الذين زاروها منذ القرن الرابع الهجري؛ فالجغرافي ابن حوقل النصيبي الذي زار الأندلس في زمن الخلافة، لاحظ أنّ بغال قرطبة لم تكن تشبه السلالات المميزة لديه "في معادن البغال المذكورة، وأصقاعها المشهورة من أرمينية والران وباب الأبواب وتفليس وشروان، لأنها تبدن وتصنع وتنجب"؛ وعلى غراره ذكر عالم الكوزموغرافيا أبو الفضل القزويني أنّ قرطبة تجلب منها «بغال قيمة واحد منها تبلغ خمسمائة دينار لحسن شكلها وألوانها، وعلوّها وصحّة قوائمها؛ لكن قطعان الإبل ازدادت أعدادها وكثر استخدامها إبان أوقات السلم والحرب في بعض العهود الإسلامية بالأندلس، لاسيما خلال عصر المرابطين، وتطالعنا المصادر التاريخية الأندلسية في هذا الصدد أنّ عصر الخلافة الأموية بالأندلس (٣١٦-٤٢٢ه) قد شهد استخدامها في الحرب، حيث يقول ابن الخطيب إنّ الحاجب المنصور بن أبي عامر جلب آلافا من الإبل من المغرب لاستخدامها في حملاته الحربية، وكان يتركها بين كل صائفة وأخرى في سهوب مرسية، ولدينا قرائن عديدة تؤكد انتعاش تربية الإبل بالأندلس قبل عصر الخلافة، من قبيل ما جاء في أخبار الأمير عبد الله، عند انصرافه من ببشتر إلى "قرطبة بجميع عسكره وقدم تابوت أخيه المنذر قدامه على جمل"، كما تتضح أهمية تربية الإبل ونتاجها خلال عصر الخلافة، بالنظر إلى ما جاء في كتب الفلاحة والأنواء والأزمنة بالأندلس، وعلى رأسها كتاب "تقويم قرطبة" للمؤرخ الطبيب وعالم الفلاحة عريب بن سعد القرطبي (ت: ٣٦٩ه)، الذي نقف من خلال ما أورده من الاقتباسات، على أهميته كمصدر تاريخي يقيم الدليل القاطع على ازدهار تربية الإبل بالأندلس منذ هذا العصر، وخلال العصور اللاحقة، وخاصة في زمن المرابطين والموحدين.

جلب الإبل إلى الأندلس:

لقد استقبلت الأندلسُ إبان حكم الأمويين بها أعدادا مترادفة من الإبل انطلاقا من أقطار الغرب الإسلامي، وخاصة من عدوة المغرب الأقصى بالنظر إلى جوارها الجغرافي ووجود علائق سياسية واقتصادية وعرقية وشيجة بين العدوتين؛ فمنذ عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢ه)، استقطب حُكّام قصر الزهراء عددا من أمراء الأدارسة والمغراويين بالمغرب إلى طاعتهم، سواء بالسياسة والمهادنة تارة، أو بالحرب والشدة في أغلب الأحيان، ومن تبعات هذه الاتصالات بين الطرفين توافد أعداد متزايدة من دواب الركوب والحمل، ويبدو أنّ الإبل حظيت بقسم هامّ منها، حيث حصل كل من الخليفتين الناصر والمستنصر على هدايا من أمراء الأدارسة والبربر بعدوة المغرب، مشتملة على الإبل؛ وتخطّت بعض الأجناس المهداة إليهما قدر الدوابّ المتعارف عليها إلى حدّ الانتخاب في السلالات والاحتفال في الحلية، حتى أنها تفوقت في ذلك على دوابّ الرِّكاب السُّلطاني نفسها. كما قرنت الإبل المهداة أحيانا بالرُّعاة الخبراء في تدبيرها؛ ومن هذا القبيل، ما ذكره شيخ المؤرخين بالأندلس ابن حيّان القرطبي (ت: ٤٦٩ه) عن الأمير الإدريسي الحسن بن عيسى أنّه أهدى للناصر عام ٣١٧ه "ثلاث وعشرين

من كِرام الإبل، فيها جمل مبدن كامل الخلقة والحلية، من مطايا الملوك، عليه عمارية مكلّلة مصنفة بالفضة، كسوتها ديباج تستري مبطن". وعلى غرار الهدية السالفة، وردت في العام نفسه هدية الأمير محمد بن خزر على الناصر وتشتمل على "عشرة نجب مخصية عجيبة الخلق متخيرة في جنسها، بسروجها وأرسانها وأزمتها وأجلالها وأرجواناتها وقرابيسها، معلقا عليها درقات من نفائس درق اللمط، وعشرين ناقة حوامل عشاراً وغيرها، ومعها فحل لها جليل الخلقة رفيع البنية، معها راعيها عبد أسود ماهر برعي الإبل بصير بأدواتها". أمّا خلال عهد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ)، فقد تضاعفت أعداد الدوابّ المهداة إليه من قبل أمراء العدوة المغربية، حيث " وصلت إلى الزهراء الجِمال التي بعثها بنو خزر من العدوة وكانت مائة وثلاثين جملا" ، كما أهديت جملة من الإبل من بينها صفوة من الجمال المنتخبة إلى الحاجب المنصور، ففي عام ٣٨١هـ، بعث إليه زيري بن عطية بالهدية التي وجهها إلى الأندلس - على إثر تنصيبه أميرا بفاس - وكان ضمنها «خمسون جملا مهرية سوابق، وألف درقة من اللمط ودواب المسك والزرافة واللمط وألف جمل موقرة بالثمر الطيب، فَسُرَّ بها المنصور وكافأه عليها». والملاحظ أنّ الإبل بالأندلس اتخذت لنقل العدة والمؤونة في حملات الحاجب المنصور الصائفة والشاتية، حيث " كان له من الجمال المتصرفة في حمل الأثقال أربعة آلاف إلا مائة بمسارح كورة تُدْمِير" ؛ ولعل اعتماده على هذا الحيوان جاء نتيجةً لبعد الشقة بين قرطبة والمناطق الثغرية القاصية، لما عُرفَت به الإبل من قدرة على قطع مسافات طويلة، تفوق ما هو في مقدور الخيول القيام به. ولا يستغرب وجود هذا العدد الكبير نسبيا من الإبل بالأندلس، إذ تمكّن ابنه عبد الملك المظفر حين كان قائدا لجيش الخلافة في إحدى حروبه مع زيري بن عطية بالمغرب الأقصى، من الحصول على جملة منها من بين الغنائم التي حازها، "فأخذ من ذلك ما لا يوصف ولا يحصى عددا". بيد أنّ الحديث عن الإبل بوصفها دوابّ مخصّصة لركاب الخلفاء والحجّاب والوزراء لا نكاد نعثر عليه فيما وقفنا عليه من المصادر التاريخية، فيما عدا حالات نادرة استخدمت فيها الإبل في حمل رفات أحد الأئمة المروانيين، ويتعلق الأمر بالأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، عقب وفاته فجأة إبّان حصاره لابن حفصون بقلعة ببشتر (Bobastro).

إنّ تركيز المصادر الأندلسية بشكل دقيق على ترادف ورود أعداد الإبل على بلاد الأندلس خلال هذه الفترة بالذات، يدلّ على تصاعد قيمتها وازدياد الرغبة فيها، أكثر مما يعكس وفرتها ويُسر الحصول إليها؛ فقد أثنى المؤرخ ابن حيان القرطبي على إدريس بن إبراهيم أمير أرشقول، ليس لكونه خلع طاعة العبيديين فحسب، وإنما شفعها بما أهداه إلى خليفة المروانيين من هدايا لعل أبرزها "خيل وإبل".

وخلال مقتبل عصر المرابطين، انتشرت قطعان الإبل الصحراوية في بلاد الأندلس بشكل عميم، وشَكّلت وَسِيلة فَعّالة في معركة الزلاقة (١٢ رجب ٤٧٩هـ) ضد جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، حيث أمر يوسف بن تاشفين بعبور الجمال، بهدف استخدامِها في هذه المعركة

وفي غيرها من المواجهات مع المسيحيين، وحكى أبو يحيى اليسع بن حزم الغافقي (ت: ٥٧٥هـ) عن هذه المعركة – وهو مؤرخ معاصر للمرابطين كان قد أدرك أناساً شاركوا في معركة الزلاقة - قائلا: "فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين، عبر في آخرها وأمر بعبور الجمال، فعبر منها ما أغصّ الجزيرة، وارتفع رُغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة رَأَوا قَطُّ جملاً، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها، ولا سمعت أصواتها، وكانت تذعر منها وتقلق، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأيٌ مصيب، كان يُحْدِقُ بها مُعسكره، وكان يُحْضِرُها الحرب، فكانت خيلُ الفرنج تَحْجُمُ عنها" أثناء القتال، فكانت من أبرز العوامل الإيجابية التي ساعدت المرابطين على تحقيق الظفر ضد الجيوش النصرانية بالأندلس.

نتاج الإبل بالأندلس:

تقدِّم كتب الأنواء الموضوعة بالأندلس خلال عصر الخلافة معطيات دقيقة عن ترتيب أوقات "نتاج الإبل وأعدل الأزمنة لها"؛ وهي من المصادر النصية المباشرة التي تمثل خيرَ دليل على تزايد العناية بهذا الصنف من الدوابّ؛ فنتاجها كان يبدأ في أواسط شهر يناير، ثمّ يكثر في العشر الثانية من فبراير. كما أنّ علماء الفلاحة الأندلسيين وضعوا تقويماً دقيقاً لأفضل الفصول والأزمنة الموافقة لنتاج الإبل بقطرهم الواقع بأقصى غرب دار الإسلام؛ فكانوا على معرفة جيدة بتفاضل الأنسال المستنتجة من حيث الضّخامة والقوّة، ومن هذا القبيل، قول عريب بن سعد إنّ "ما نتج بعد نوء الغفر من الإبل فهو شرُّ النِّتاج، لأنه يستقبل الحرَّ ويعجله الشتاء عن القوّة، ويُسمى ما نتج فيه هُبَعاً؛ والربع أكبر منه وأقوى وهو ما نتج في أوّل الربيع". كما اعتبر نِتاج أواخر نونبر "غير محمود لقلة اللبن والنبت".

لقد شكّلت زراعة الأعلاف قطاعا إنتاجيا أساسيا في اكتساب الدوابّ بالأندلس، خاصة خلال عصر الخلافة المروانية بها (٣١٦-٤٢٢هـ)، إلى حدّ أنّ بعض المؤرخين اعتبر العناية بالمراعي الموجّهة لهذا الغرض من مآثر المنصور؛ ففضلا عن "مسارح كورة تدمير" التي قصرها على الإبل، وجّه عظيم عنايته لزراعة أصناف الأعلاف المخصصة لدواب الركوب السلطانية بوجه عامّ، إذ "كان يزدرع لدواب السلطان من شعير القصيل لقضيم خيل الحملان وغيرها، مفتتح الزريعة من كل شتوة بالأحقال السلطانية في أعمّ السنين خمسمائة مُديّ من الشعير"؛ بينما أوردت بعض المصادر التاريخية الرواية نفسها مع تحديد كمية مضاعفة للبذور المخصّصة لهذا الغرض. وقد وجدت إلى جانب المراعي الطبيعية مهنة العلاّف الذي كان يشرف على توفير أوفق الكلأ والأعلاف للإبل.

ولم يقتصر اكتساب الإبل وتداولها بالأسواق على استخداماتها في السفر والحمل وباقي الأنشطة الاقتصادية الأخرى، بل تعدى الأمر ذلك إلى استهلاك لحومها وأعضائها الداخلية في الغذاء والدواء، فعلى سبيل المثال، ذكر بعض الدارسين أن أهل الأندلس كانوا يستخدمون لحوم الإبل في معالجة بعض الأمراض كالحمى الربيعية، وعرق النسا، والآم الأكتاف، كما كان حساء لحم الجمل يوصف لعلاج عتمة العين وتقوية البصر، أمّا دهن شحم الجمل فإنّه استُعمِل

كدواء لتخفيف ألم البواسير". وقد فضّل الأطباء الأندلسيون لحم الناقة على لحم الجمل، كما اعتبروا أنّ "الصغير خير من الكبير بكثير ... فالصغير جدا الراضع الذي لم يعرف العشب، فلا بأس به، وهو مثل الجدي الكبير الذي قد ابتدأ في أكل العشب". وعلى العموم، فقد ظل استهلاك لحوم الإبل بالأندلس محدودا من حيث الانتشار، إذ لم يعمّ ربوعها، كما أنّ الوجبات الغذائية المعدّة بواسطة لحومها لم تشتهر بكتب الطبيخ قدر اشتهار لحوم الضأن والماعز والبقر على الخصوص، لتفضيل الناس لها على غيرها من اللحوم، فضلا عن توفر أصناف أخرى من لحوم الطرائد والأسماك الآتية من صيد البرّ والبحر.

تجارة الإبل بالأندلس:

استقطبت التجارة بالأندلس بضائع من أقطار دار الإسلام الأخرى، خاصة من عدوة المغرب الأقصى، الذي كان أكبر مورِّد لها على مستوى تسويق الإبل، حيث احتضنت العديد من الحواضر الأندلسية أسواقا لتداولها، ومن الطبيعي أن تحتل قرطبة مكانة بارزة في هذه التجارة من خلال سوقها التي تردد صداها حتى في أخبار الأدباء؛ كما اشتهرت سوق الدواب بطليطلة التي ما زالت تعرف إحدى حاراتها بذات الاسم حتى يوم الناس هذا، ونفقت تجارتها بدافع الأرباح الطائلة التي جناها المنتجون والنخاسون على حدّ سواء. ونشطت إلى جانب هؤلاء بعض المهن المقترنة بالقطاع، مثل البياطرة والوكلاء والسماسرة. بيد أنّ المصادر تكشف عن انتشار ظاهرة تداول الإبل المسروقة والمعيبة بأسواق الأندلس، وبسبب هذا التدليس، كان الفقهاء وأهل الحسبة يوجهون تحذيراتهم باستمرار للنخّاسين حتى لا يبيعوا أية دابة لشخص مجهول، تفاديا للتحايل على الزبناء والتدليس في عقود بيوعهم، إلا أن يضمنه شخص معلوم يحظى بالثقة لديهم، أو يضمنه جماعة من الناس إن كان مجهولا، وشدّد فقهاء الأندلس، مثل محمد بن يبقى ابن زرب قاضي الجماعة بقرطبة أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٣هـ)، على منع بيع الدوابّ المحبّسة، ودفع أعذار النخاسين وحججهم، وهو تدبير ناجع اقتضته ضرورة الحال دون شك أكثر مما يمثله من حكم فقهي مجرد؛ إذ بلغت الجرأة وانعدام المروءة بالبعض إلى حدّ التطاول على دوابّ الأحباس بالبيع في الأسواق، وتداولها من يد إلى يد أخرى، رغم أنها كانت موسومة "بسمة الحبس"، أو كانت مسروقة ومصبوغة حتى تخفى على أصحابها إذا اقتفوا أثرها في أسواق الدوابّ بالأندلس.

ونستطيع القول إنّ الإبل بالأندلس كانت تستخدم بكثافة خلال معظم عهود الحكم الإسلامي بها، لأغراض الركوب والحمل، سواء في الأنشطة الاقتصادية التي يزاولها الفلاحون والتجار والحطّابون، على غرار ما ذكره القاضي عياض عن اتخاذها من قبل بعض الناس لحمل الحطب، أو في الحروب مثلما جرى عليه الأمر في عصر الدولة الأموية بها (٣١٦-٤٢٢هـ)، كما استمر اكتساب الإبل طيلة عصر الطوائف في بعض الإمارات مثل غرناطة، واتخذت خلال العصرين - على حد سواء – وسيلة للتشهير بالثوار والمناوئين للسلطان؛ كصنيع الحاجب المنصور بن أبي عامر بابنه عبد الله الذي ثار عليه واستجار بالنصارى، عقب تسليمهم

له عام ٣٨٥هـ، مقابل مسالمة أبيه لهم. وفي زمن الطوائف (٤٠٢-٥٠٣هـ)، سجلت المصادر التاريخية والأدبية خبر تشهير باديس بن حبوس صاحب مملكة غرناطة بالأديب أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني قبيل إعدامه، حيث حُلق رأسُه وأُركب على جمل، وأُردف خلفَه عبدٌ أسود ضخمٌ يُوالي صفعه بقوة. ومن المعلوم أنّ عادة التشهير بالثوار ورجال الدولة المنكوبين بهذه الكيفية لم تكن أمراً غريبا عن الدول الإسلامية، فهي عادة مشرقية بالأساس، اقتبسها عنهم الأندلسيون رغم تباعدهم الجغرافي، إذ كان العبّاسيون والفاطميون يتبعون هذا الأسلوب في التشهير بوزرائهم وقادتهم المنكوبين وبالثائرين على سلطانهم؛ على غرار ما حدث في عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) الذي اتخذ هذه الطريقة في نكبة عمرو بن الليث الصفّار، الثائر عليه في بلاد ما وراء النهر، حيث " أُدخِل عمرو بغداد على جمل ليشهروه بها ثم حبسه المعتضد في مطمورة" ، وفي عهد الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ) حين ثار عليه القرمطي بالشام، فقبض عليه وأدخل إلى الرقة راكبا جملا ذا سنامين، ومعه صاحباه المدثّر والمطوّق، ثم سار الخليفة إلى بغداد وأدخل القرمطي إليها راكبا فيلا، وأصحابه على جمل ، وبعد أن طاف بهم المدينة أمر بحبسهم، ثم أُخرِج أبو الشامة وأصحابه من السجن وشنع بهم، وصنع التشهير نفسه في عهد الخليفة المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ) بالقائد الحسين بن حمدان الذي أسر هو وابنه عبد الوهاب وجميع أهله وأكثر صحبه، وأركب هو وابنه على جمل وعليهما البرانس واللبود الطوال، وقمصان من شعر أحمر، وأدخل أسيرا إلى بغداد عام ٣٠٣هـ، وكصنيع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٤١١-٣٨٦هـ) بالثائر الوليد بن هشام من أعقاب أمراء المروانيين بالأندلس الذي كان قد خرج عليه ببرقة عام ٣٩٧هـ، وكفعل الخليفة المسترشد بالله (٥٢٩-٥١٢هـ) بوزيره أبي دلف ابن زهمون الكاتب، على إثر دخوله بغداد، مما يعطي الظاهرة امتدادا جغرافيا وزمنيا شاسعا على صعيد دار الإسلام وتاريخ الدول الإسلامية بالمشرق والمغرب، واقتران التشهير بالإبل قد تكون له مرجعيات ثقافية في التقاليد العروبية القديمة، إلى جانب اقترانه بحجم الجمل وبظهره المرتفع، وهما أمران مطلوبان في التشهير بالثوار والمنكوبين، خاصة أنّ مراعاة بروزهم وإشهارهم أمام عامّة الناس بمظهر الأسر والذل والهوان هو الشرط المطلوب تحقيقه في هذا الإجراء التأديبي المتخذ في حقهم.

أمراض الإبل ودور البياطرة في علاجها:

كان أصحاب الوثائق والسجلات بالأندلس يحرصون في عقود البيع والكراء المبرمة بين أرباب الدوابّ وبين المشترين والمكارين، على إشهار العيوب والأمراض الكامنة في الدواب المعروضة للبيع أو المخصصة للكراء من أجل الركوب والحملان، والتي لا يمكن رصدها بسهولة، وأن لا يكتموا عيباً ولا داءً ولا سِرّا من قبيل "الرطوبة التي تنزل من الدماغ في الدابة من نزلة تعرض لها من برد يصيبها"؛ و" الرهش والارتهاش" وهو "أن تضطرب رواهش الدابّة فيعقر بعضها بعضاً"، و"الزائد وهو ورم يصيب يد الدابة"؛ والعضوض أو الجموح، حيث نصت كتب الأحكام الأندلسية على حكم «من استأجر دابة بعينها أو بعيرا بعينه، فإذا هو عَضُوض أو

جَمُوح، أو لا يبصر بالليل، أو دُبِرَ تحته دبرة فاحشة تؤذيه ريحها"؛ أو من ابتاع دابة، فوجد بها عيبا كـ"الزائد، وهو ورم يصيب يد الدابة"؛ و"ضيق نفس"الدابة؛ و"السلاق" الذي يمنعها من العلف؛ وقد حصر البعض عيوبها في ثلاثمائة وعشرين علة، منها "الخناق"، و"الجنون"، و"الدبية"، و"الصداع"، و"السعال"، و"الماء الحادث في العين"، و"رخاوة الأذنين"؛ كما انقسمت العيوب إلى نوعين: دائمة ومؤقتة.

أمّا الفقيه أبو الوليد الباجي، فيحدد بعض العيوب المنصوص عليها لدى قضاة الأندلس ومحتسبيها، والموجبة لردّ الدواب، وهو يحصرها في "الانتشار"، وهو انتفاخ العصب؛ و"الشظا و"الشكة"، و"النفاضات"، و"الربض". كما تتناثر بالمصادر العربية أعطاب وعيوب مثل "الضمد"، وهو يبس الدم على الدابة من جرح أو غيره؛ و"الطرق"، الذي هو "ضعف في ركبتي البعير"؛ والاعوجاج في الساقين المسمى "الحنب"؛ و"الكوس"، وهو مشي الناقة على ثلاث؛ و"العضد"، الذي هو داء يأخذ البعير في عضده؛ و"الغبر"، وهو داء في باطن خف البعير؛ و"الفرش"، إذا كثر، وهو اتساع في رجل البعير؛ و"الضب"، وهو ورم في خفّ البعير كذلك؛ وقد تصيب الإبل حُمى تُسمى "الهيام"؛ أو يصيب الدوابّ عامّة داء في أرجلها يعرف بالمَلَح. ومما لا شك فيه أنّ دراية أهل الأندلس لم تكن لتقل في مستواها عن التجارب المتوارثة في باقي أقطار دار الإسلام بالمشرق والمغرب عن عيوب الدواب وأمراضها، بل إننا نقف على عدد جمّ من النصوص المصدرية في كتب الطب والبيطرة، والصيدلة والأغذية، والفلاحة والأعشاب، تزخر بالعلاجات وأساليب وقاية الدواب من الأمراض والمخاطر التي تحيق بالإبل أثناء استخدامها في النقل والحملان وأشغال الزراعة والري، اعتمادا على مصادر جمعت بين النظر والعمل في علاج الإبل بوجه خاص، إلى جانب الدواب الأخرى التي كانت تشترك معها في عدد من الأدواء.

إنّ بعض الوصفات والاستشارات الواردة بكتب الطب والبيطرة الأندلسية، قد أسهمت بدور فعّال في التصدي للأمراض التي كانت تصيب دوابّ الركوب والحمل، وضمنها الإبل؛ وتجمع كتب الفلاحة والأعشاب والبيطرة والأنواء والتقويم على انتقاء أنواع الأعلاف الخاصّة بكل صنف من الدوابّ، وتدبير اكتسابها واستنتاجها، مثل ما تتضمنه "يومية قرطبة" من معطيات علمية دقيقة موجهة لإرشاد الفلاّحين القائمين على زراعة الأعلاف وكيفية إنتاج الدواب وتناسلها؛ وهي حصيلة ما أثبتته بعض التجارب البيطرية المتواترة منذ هذا العصر، كما تبيّن نجاح تجريب عدد من المزروعات العلفية من خلال التصانيف الفلاحية التي اشتملت على عدة مناحي لطبيعة هذه الأعلاف، وأنواع التربة المناسبة لزراعتها وأوفق الأوقات لها، كما اقترحت جملة آراء وتوجيهات للكسّابين والرعاة والبياطرة وخدمة الدواب، وفي صدارتها البحث عن حلول ناجعة لمداواة الدوابّ من أورامها وأوجاعها، وانتقاء أعلافها وكيفية تسمينها، والتحذير من مضار بعض المحاصيل والأعلاف عليها، كقول الطبيب ابن زهر إنّ «الحنطة إذا أكلتها الدوابّ لم تسلم من مضرّتها". كما تقدم كتب الأنواء والتقويم فضلا عن ذلك مواسم استنتاج الدواب، وأوقات إنفاذ

الرسائل إلى الأملاك لاقتنائها، فضلا عن جملة معطيات متنوعة ومتكاملة عن هذه الجوانب من خلال استنطاق كتابي "الفلاحة" لكل من أبي الخير الإشبيلي وابن العوام؛ و"عمدة الطبيب" لابن عبدون، و"التيسير" لابن زهر، و"تقويم قرطبة» لعريب بن سعد، و"كتاب الأنـواء" لابن عاصم، وغيرها من المصادر العلمية التي أسدت معرفة نظرية وقدمت نتائج تجارب عملية موثوقة؛ فعلى سبيل المثال وجّه عبد الملك بن حبيب الإلبيري نصائح عملية للبياطرة وأصحاب الدوابّ تخصّ مرض "المغل"، في سياق ذكره لخواص الحرمل واستعمالاته، ومن بينها ما اتبع في علاج المرض، بل وحتى في التماس زيادة صحتها وسمنة بدنها، وعبارته: "إذا مغلت الدابّة فاسحقه ثم اخلطه بالماء ثم تحقنها به، فإنه يذهب المغل؛ وإن واليت به على الدابة تحقنها به كما وصفنا لك سمنت إن شاء الله"، ويرجع أهل اللغة هذا المرض إلى أكل الدابة للتراب مختلطا بالبقل أو العلف، فيأخذها "وجع في بطنها"، كما نصت كتب الفروسية والبيطرة على داء المغل والحصر، وقدّمت بعضها وصفات دقيقة للعلاج؛ حيث "تُؤخَذ عشرون تينة بيضاء علكة رطبة وعشرون تمرة وبـزر كرفس ورازيانج (Fenouil) وعود سوس وزوفا يابس (Hyssopus) وفراسيون (Marrubium)، من كل واحد عشرة دراهم يطبخ ذلك في ستة أرطال ماء حتى يصير إلى النصف ثم يصفى وتحقن به الدابّة بعد تفتيره، وتقاد بعد ذلك قودا خفيفا، فإن كانت قوية وعلامات الدم ظاهرة ودجت، وإن كانت ضعيفة لم يعرض له"، ومن المعلوم أنّ كتب العقاقير والأعشاب والأحجار والمعادن كانت توفر بدورها لأصحاب الدوابّ وصفات خاصة لعلاج الإبل، كما أنّ القير قد استخدم في طلاء وبر البعير أحيانا لعلاجه من الجرب أو لحماية جلده من بعض الأمـراض الطفيلية السطحية، وكان يُقال للأماكن المخصصة لطلاء الإبل "المطالي: بالفتح، كأنه جمع مطلى وهو الموضع الذي تطلى فيه الإبل بالقطران والنفط".

وراكمت خطة الحسبة من جهتها – بفضل مراقبة أسواق الدوابّ وحرفة النخّاسين - تجربة عملية في مجال الدراية بأدواء الإبل كما كان لهم حظ من المعرفة والإلمام بمبادئ البيطرة نتيجة خضوع عمل الأطباء البيطريين لخطة صاحب السوق وهو المحتسب في عرف الأندلسيين، كما وصفت مصنفات الأندلسيين في الفروسية ومراتبها وفـي علم البيطرة بعض أصناف الأمراض والجروح التي تصيب الدوابّ، وقدّمت علاجات طبية لها؛ كالدبر، الذي كان يعالج بضمّادة مغموسة في العسل الخالص، ويؤخذ دم الأخوين (Dragonnier de Socotra) وعـنـزروت (Astragalus sarcocolla) وعروقا وكمون أجـزاء سـواء، وعظام نخرة مثل الجميع، يسحق الكل وينخل ويـذر على الدبر، ويلزم عليها قطنة بالية، وإن كانت الدبر قد عولجت وتركت ثم انتقضت، فيؤخذ الزفت المجرود من السفن وراتينج (Gum- Resin) وكفر اليهود وزيت وشمع ودفو من كل واحد رطل ومن الأشـق (Dorema Ammoniacum) ست أواقي وكندر أربع أواقي وقنة سبع أواقي وجاوشير (Opopanax) أوقيتان يدق ما يجب ويذاب ما يذاب على النار ويخلط الجميع ويحرك بعود عريض ثم يستعمل وهو حار، وإن صبّ

زيد فيه شحم عتيق قد دق مع أشق وكفر"، ومن المعلوم أنّ عصور النهضة العلمية بالأندلس قد اتصفت على مستوى المنهج باقتران المعرفة النظرية للعلماء والأطباء والبياطرة والعشّابين بالتجربة الميدانية والمختبرية لجلّهم، وهو ما ساهم في تطور العلوم على صعيدي التصور والممارسة.

خلاصة:

تراوحت روايـات الإخباريين المتقدمين وآراء الدارسين المحدثين، بين تأكيد وجود الإبل بالأندلس منذ عهود مبكرة من تاريخها الإسلامي، وبشكل عميم خلال عصر الخلافة الأموية في قرطبة، وبين المقللين من هذا الوجود، بل من المنكرين لوفرة الجمل بها، مستندين في ذلك إلى طبيعة تضاريسها وظروفها المناخية. بيد أن التحليل التاريخي الدقيق للنصوص المصدرية الدفينة على الخصوص، والتي تتضمنها كتب الأخبار والحوليات والمدونات الفقهية والدواوين الشعرية والمنتخبات النثرية والتراجم والطبقات، كفيلة بتأكيد حقيقة تاريخية باتت من المسلمات، وهي أنّ الأندلس عمّتها قطعان الإبل على غرار بلدان دار الإسلام مشرقا ومغربا، وأنها شهدت تحسين سلالاتها، واستكثار نتاجها، وتنويع استخداماتها في مختلف الأنشطة الاقتصادية، من فلاحة وريّ وتغذية، وتجارة ونقل المسافرين، والاعتماد عليها في أوقات السلم والحرب على حد سواء.

قافلة من الإبل العربية

(محفوظات المكتبة الوطنية بباريس).

- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين ـ طنجة، وأستاذ محاضر زائر بماستر شمال المغرب المتوسطي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي بتطوان/المغرب.

(١) أبو الفضل زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق د. حماه الله ولد السالم، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص. ٤٣٣.

(٢) إسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، الطبعة الأولى، عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨، ص. ١٢٦.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي النمري، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، المجلد الأول من القسم الأول، تحقيق محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.، ق. ٢، ص. ٦٨.

(٤) أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، الطبعة الأولـى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩١٩هـ/١٩٩٨م، ص. ٣٣٠.

(٥) يعتبر النضر بن شميل أقدم من أشـارت كتب

التراجم إلى أنه تعرض للإبل في كتاب لغوي؛ راجع: حسين نصار، "كتب الإبل"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج. ٣٦، ج. ٣، يوليوز ١٩٦١ ـ محرم ١٣٨١هـ، ص. ٣٨٤؛ كما يعتبر ابن مرار الشيباني من بين أقدم من وضعوا كتابا مخصوصا في الإبل؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د. ت، مج. ١، ص. ٢٠١ـ ٢٠٢.

(٦) نسب إلى الأصمعي كتابان في الإبل، وقد نشرا من قبل المستعرب أوغست هفنر في مجموعته "الكنز اللغوي في اللسان العربي"؛ انظر: حسين نصار، كتب الإبل، ج. ٣، ص. ٣٨٥.

(٧) حيث يشير ابن النديم إلى تصنيف للجاحظ ألفه في الإبل، نسب بالخطأ إلى محمد بن عبد الملك الزيات؛ محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨، ص. ٢٠٩.

(٨) فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص. ٣١٦.

(٩) وفيات الأعيان، مج. ١، ص. ٢٢٦؛ مج. ٥، ص. ٢٣٩.

(١٠) الفهرست، ص. ٣٧٧.

(١١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق ويستنفلد، ط. ٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥-١٩٩٦، مج. ٢، ص. ٤٨٨.

(١٢) علي بن محمد ابن سعود الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، ط. ٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص. ٤٦٦.

(١٣) أبو عبيدة معمر ابن المثنى التيمي، كتاب الخيل وما ورد فيها، مخطوط الخزانة العامة والوثائق بالرباط، رقم: ١٣١٢ د، ورقة: ٤ ظ؛ ونص الحديث: ((قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خصاء الخيل والإبل والغنم)).

(١٤) أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري المالكي الطرطوشي، سراج الملوك، ط. ٢، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ، ص. ١٤٥-١٤٦.

(١٥) د. محمد الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، (أطروحة دكتوراه مرقونة)، جامعة محمد الخامس -أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الرباط -السنة الجامعية: ١٩٩٦-١٩٩٧، ص. ٣٠٠ وما بعدها.

(١٦) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط. ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٥-١٩٧٧م، مج. ١، ص. ٢٢٧-٢٢٨.

(١٧) نفس المصدر والصفحة.

(١٨) النقل والتنقل في المغرب، م. س، ص. ٣١٢.

(١٩) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج. ١: مطبعة حجازي؛ ج. ٢، القاهرة: المطبعة العامرة الشرفية، ١٣١٥هـ، ج. ١، ص. ٣٢٠.

(٢٠) كتاب الصلة، ج.١، ص.٣٢١؛

(٢١) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط. ٢، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ق. I، مج. ١، ص. ١٧٨.

(٢٢) نفسه، ص. ٧٦.

(٢٣) ابن أرفع رأس الجياني الأندلسي، شذور الذهب: ديوان ابن أرفع رأس الجياني، تحقيق الهواري غزالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص. ١٠٧.

(٢٤) الغادة الفنق هي الجسيمة الفتية المنعمة، ويخدي بمعنى وخدت الركاب، بمعنى سارت. والفنق واحدتها الفنيق من الإبل وهو الفحل؛ أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ابن عبد الله ابن خاقان القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، ط. ١، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص.

٧٣٦؛ والتعليق رقم: ٢.

(٢٥) الأمون هي الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم، والبازل هو البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة، وفطر نابه، والشرواض هو الجمل الرخو الضخم؛ نفسه، ص. ٧٢٤؛ والتعليق رقم: ٥.

(٢٦) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، كتاب الصلة، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط. ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤، ج.١، ص.٣٤٥؛ محمد بن عبد السلام بن حارث الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ط. ٢، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤، ص. ٥٤؛ ابن خاقان، قلائد العقيان، ص. ٤٤٤.

(٢٧) بهجة المجالس، ق. ٢، ص. ٦٩؛ الجاحظ، كتاب البغال، ص. ٢٢٠. وانظر صيغة أخرى في: أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبد الغني حسن، سلسلة ذخائر العرب (٦)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١، ص. ٣٥.

(٢٨) أبو العباس أحمد بن وليد بن محمد التدميري، كتاب السياسة فيما يحتاج إليه الملوك مع فضل الخلافة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ميكروفيلم رقم: ١٠٣٣ (ضمن مجموع)، ص. ٧٠-٧١.

(٢٩) أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد ابن العوام، الإشبيلي، كتاب الفلاحة، تحقيق وترجمة خوسي أنطونيو بانكيري، المكتبة الملكية، مدريد، ١٨٠٢ (أعيد طبعه من طرف وزارة الزراعة والصيد البحري والتغذية بإسبانيا، ١٩٨٨)، ص. ٤٧٧.

(٣٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي زمنين المريي الأندلسي، منتخب الأحكام، تحقيق د. محمد حماد، الطبعة الأولى، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة نوادر التراث، الرباط، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، مج. ٢، ص, ١٠٠١.

(٣١) عن آراء كل من محمد الحناوي، فانسون لاكارديير، وليفي بروفنسال، وهم يؤكدون على دور الفاتحين المسلمين في إدخال الإبل إلى الأندلس، ويختلفون في الفترة التي تم خلالها هذا الحدث؛ راجع: د. محمد الحناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، ط. ١، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص. ١٣٧.

(٣٢) موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول: من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ (٨-١١م)، ترجمة إسماعيل العربي، ط. ٣، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ص. ٢٤٩.

(٣٣) إسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨، ص. ١٢٦.

(٣٤) أبو القاسم محمد بن علي ابن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت، ص. ١٠٩-١١٠.

(٣٥) آثار البلاد وأخبار العباد، ص. ٥٥٢؛ معجم البلدان، مج. ٤، ص. ٣٢٤.

(٣٦) لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني اللوشي الغرناطي، تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦م، ص. ١٠٠.

(٣٧) ابن حيان، المقتبس، عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكم بن هشام: ٢٧٥-٣٠٠ هـ، تحقيق إسماعيل العربي، ط. ١، الدار البيضاء: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٠، ص. ١٦.

(٣٨) ابن حيان، المقتبس، الجزء: ٧: قطعة عبد الرحمن الناصر، تحقيق ب. شالميطا ف. كورينطي م. صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط ـ مدريد، ١٩٧٩، ص. ٢٦١، ٢٦٢-٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧-٢٦٨؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، قطعة الحكم المستنصر، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٣، ص. ١٥٠.

(٣٩) المقتبسV، ص. ٢٦٥.

(٤٠) نفسه، ص. ٢٦٧-٦٨.

(٤١) نفسه، ص. ١٤٨-١٥٠.

(٤٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، ١٩٨٣، ج. ٢، ص. ١٨٣-١٨٤.

(٤٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. ١٠٠.

(٤٤) مجموعة من المؤلفين، معلمة المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا: مطابع سلا، ١٩٨٩-٢٠٠٣، مج. IX، ص. ٣٠٨٩.

(٤٥) أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط. ٢، الرباط: المطبعة الملكية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص. ١٣٣.

(٤٦) المقتبس، ج.V، ص. ٢٦٢-٣.

(٤٧) أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الجياني، كتاب المغرب، في محاسن المغرب، تحقيق د. عبد السلام الجعماطي، الطبعة الأولى، الرباط: دار الأمان، ٢٠١٦، ص. ١٥٢-١٥٣؛ نقل عنه ابن خلكان هذه الرواية كاملة؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج. ٧، ص. ١١٦.

(٤٨) Le calendrier de Cordoue, publié par R. DOZY, nouvelle édition accompagnée d'une traduction française annotée par ch. PELLAT, E. J. BRILL, LEIDEN, ١٩٦١, p. ٣١.

(٤٩) نفسه، ص. ٤٣.

(٥٠) نفسه، ص. ٧٢ – ٧٣.

(٥١) نفسه، ص. ١٧١.

(٥٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص. ١٠٠.

(٥٣) نفسه، ص. ١٠٢.

(٥٤) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مجموعة من الباحثين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء – المحمدية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، مج. I، ص. ٥٨٤؛ حيث حدّد المقري كمية ما كان يزرعه المنصور كل سنة من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به في ألف مدي.

(٥٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، تحقيق فرانثيسكو كوديرا وزيدان، مدريد، ١٨٨٥ (طبعة مصورة عنها، بيروت، د. ت.)، ص. ٩.

(٥٦) محمد بشير العامري، مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص. ٣١٤.

(٥٧) أبو مروان عبد الملك بن زهر، كتاب الأغذية، تحقيق وترجمة إكسبيراثيون غارثيا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد، ١٩٩٢، ص. ٢٣.

(٥٨) قلائد العقيان، ص. ٤٤٤.

(٥٩) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧، مج. I، ص. ٦٣٦.

(٦٠) أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، كتاب في آداب الحسبة، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، باريس، المطبعة الدولية، ١٩٣١، ص. ٦٥.

(٦١) القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي، الأحكام، تقديم وتحقيق د. الصادق الحلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ص. ٢٠٥.

(٦٢) أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد عثمان المراكشي، سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ميكروفيلم رقم: ٣٩١٩، ص. ١٢٢-١٢٣.

(٦٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، ط. ١، سلسلة ذخائر العرب (رقم: ٥٨)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣، ج. ١، ص. ٢١٨.

(٦٤) عن الإبل خلال عصر الطوائف، انظر: ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٤، ق. ٢، ص. ٤٢٣.

(٦٥) أبو طالب المرواني، قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة، تحقيق بشّار عواد معروف، وصلاح محمد جرار، الطبعة الأولى، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص. ٤٠.

(٦٦) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن ثغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق جوينبول، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٥٥م، ج. ٣، ص. ١٢٦.

(٦٧) ثابت بن سنان، وابن العديم، تاريخ أخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم القرمطي، تحقيق سهيل زكار، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩١/١٩٧١، ص. ٢٥.

(٦٨) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تاريخ المقريزي الكبير الكبير المسمى المقفى الكبير، تحقيق محمد عثمان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠، ص. ٢٥٥؛ فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، الطبعة الأولى، بغداد: مطبعة الإيمان، ١٩٧٠، ج. ١، ص. ١١٨.

(٦٩) أبو العباس ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، بيروت: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ج. ١، ص. ٢٥٨.

(٧٠) محمد بن علي بن محمد بن عمراني، الإنباه في تاريخ الخلفاء، تحقيق تقي بينش، مشهد: منشورات دفتر نشر كتاب، ١٣٦٣هـ، ص. ١٧٧.

(٧١) السقطي، ص. ٦٦.

(٧٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط. ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، مج. ٤، ص. ١٨٦.

(٧٣) السقطي، ص. ٦٦.

(٧٤) سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد، ص. ٩٦.

(٧٥) ابن أبي زمنين الأندلسي، منتخب الأحكام، مج. ٢، ص. ٩٢٣.

(٧٦) السقطي، ص. ٦٦.

(٧٧) نفس المصدر والصفحة.

(٧٨) عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيزري، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العريني، بيروت: ١٩٨١، ص. ٨١-٨٢.

(٧٩) محمد بن أحمد بن بسّام المحتسب، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص. ٣٤٨.

(٨٠) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق الباتول بن علي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية: مطبعة فضالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص. ٣٨٣-٣٨٤.

(٨١) معجم البلدان، مج. ٣، ص. ٤٦٢.

(٨٢) نفسه، ٤، ص. ٣١.

(٨٣) نفسه، ٥، ص. ٦٦.

(٨٤) نفسه، ٤، ص. ٤٨٩.

(٨٥) نفسه، ص. ١٢٩.

(٨٦) نفسه، ص. ١٨٥.

(٨٧) نفسه، ص. ٢٥٠.

(٨٨) نفسه، ٣، ص. ٤٥١.

(٨٩) نفسه، ص. ٣٤٢.

(٩٠) نفسه، ٥، ص. ١٩٠.

(٩١) ابن زهر، كتاب الأغذية، ص. ١٠٩.

(٩٢) عبد الملكبن حبيب السلمي الإلبيري، مختصر في الطب، تقديم وترجمة وتحقيق كاميلو آلباريث دي موراليس وفيرناندو خيرون، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٢، ص. ٤٤؛ والمغل: مرض يصيب المعي الغليظ (القولون) لدى الدواب.

(٩٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط. I، بيروت: دار صادر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، مج. XI، ص. ٦٢٦.

(٩٤) سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد، ص. ٩٥.

(٩٥) معجم البلدان، مج. ٥، ص. ١٤٧.

(٩٦) سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد، ص. ١٠٥-١٠٦.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة

المصادر العربية:

(١) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، تحقيق د. حسين مؤنس، سلسلة ذخائر العرب (رقم: ٥٨)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣، ٢ج.

(٢) ابن الأبار، **المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، تحقيق فرانثيسكو كوديرا وزيدان، مدريد، ١٨٨٥ (طبعة مصورة عنها، بيروت، د. ت.)

(٣) ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، ط. ٢، الرباط: المطبعة الملكية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤) ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم المريي الأندلسي، **منتخب الأحكام**، تحقيق د. محمد حماد، الطبعة الأولى، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة نوادر التراث، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، ٢ مج.

(٥) ابن أرفع رأس الجياني الأندلسي، **شذور الذهب: ديوان ابن أرفع رأس الجياني**، تحقيق الهواري غزالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

(٦) ابن بسّام المحتسب، محمد بن أحمد، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٧) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، **كتاب الصلة**، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، ط. ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤، ٢ج.

(٨) ابن ثغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق جوينبول، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٥٥م، الجزء الثالث.

(٩) ابن حبيب، أبو مروان عبد الملك السلمي الإلبيري، **مختصر في الطب**، تقديم وترجمة وتحقيق كاميلو آلباريث دي موراليس وفيرناندو خيرون، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٢.

(١٠) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

(١١) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، **المقتبس، عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكم بن هشام: ٢٧٥-٣٠٠ هـ**، تحقيق إسماعيل العربي، ط. ١، الدار البيضاء، ١٩٩٠.

(١٢) ابن حيان، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس، قطعة الحكم المستنصر**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، ١٩٨٣.

(١٣) ابن حيان، **المقتبس، الجزء V: قطعة عبد الرحمن الناصر**، تحقيق ب. شالميطا ف. كورينطي

م. صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط ـ مدريد، ١٩٧٩.

(١٤) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ابن عبد الله القيسي الإشبيلي، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، ط. ١، الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(١٥) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط. ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٥-١٩٧٧م، ٤ مج.

(١٦) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦ـ

(١٧) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، د. ت.

(١٨) ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن عمر بن خليفة الأموي، **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، تحقيق محمد فؤاد منصور، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩١٩هـ/١٩٩٨م.

(١٩) ابن زهر، أبو مروان عبد الملك، **كتاب الأغذية**، تحقيق وترجمة إكسبيراثيون غارثيا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بمدريد، ١٩٩٢.

(٢٠) ابن سنان، ثابت، وابن العديم، **تاريخ أخبار القرامطة وترجمة الحسن الأعصم القرمطي**، تحقيق سهيل زكار، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩١/١٩٧١.

(٢١) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط. ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج. ٤.

(٢٢) ابن عبد البر النمري، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

(٢٣) ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، بيروت: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ج. ١.

(٢٤) ابن عمراني، محمد بن علي بن محمد، **الإنباه في تاريخ الخلفاء**، تحقيق تقي بينش، مشهد: منشورات دفتر نشر كتاب، ١٣٦٣هـ.

(٢٥) ابن العوّام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي، **كتاب الفلاحة**، تحقيق وترجمة خوسي أنطونيو بانكيري، المكتبة الملكية، مدريد، ١٨٠٢ (أعيد طبعه من طرف وزارة الزراعة والصيد البحري والتغذية بإسبانيا، ١٩٨٨).

(٢٦) ابن المثنى، أبو عبيدة معمر التيمي، **كتاب الخيل وما ورد فيها**، مخطوط الخزانة العامة والوثائق بالرباط، رقم: ١٣١٢ د.

(٢٧) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ط. I، بيروت: دار صادر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢٨) ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨.

(٢٩) ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأندلسي، **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، تحقيق محمد عبد الغني حسن، سلسلة ذخائر العرب (٦)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١.

(٣٠) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد عثمان، **سيرة أجواد الأنجاد في مراتب الجهاد**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ميكروفيلم رقم: ٣٩١٩.

(٣١) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، **فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام**، تحقيق الباتول بن علي، منشورات وزارة

الأوقاف والشؤون الإسلامية، المحمدية: مطبعة فضالة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣٢) التدميري، **كتاب في السياسة**، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم: ١٠٣٣.

(٣٣) الخزاعي، علي بن محمد ابن سعود، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق د. إحسان عباس، ط. ٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣٤) الخشني، محمد بن حارث، **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ط. ٢، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤.

(٣٥) الدميري، كمال الدين، **حياة الحيوان الكبرى**، ج. ١: مطبعة حجازي؛ ج. ٢، القاهرة: المطبعة العامرة الشرفية، ١٣١٥ه، ٢ ج.

(٣٦) السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، **كتاب في آداب الحسبة**، تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، باريس، المطبعة الدولية، ١٩٣١.

(٣٧) الشعبي، القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم، **الأحكام**، تقديم وتحقيق د. الصادق الحلوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢.

(٣٨) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط. ٢، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٨ مج.

(٣٩) الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، **كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق د. السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، بيروت: ١٩٨١.

(٤٠) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهري المالكي، **سراج الملوك**، ط. ٢، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

(٤١) الغافقي، أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم الجياني، **كتاب المغرب، في محاسن المغرب**، تحقيق د. عبد السلام الجعماطي، الطبعة الأولى، الرباط: دار الأمان، ٢٠١٦.

(٤٢) القزويني، أبو الفضل زكرياء بن محمد بن محمود، **آثار البلاد وأخبار العباد**، تحقيق د. حماه الله ولد السلام، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(٤٣) مؤلف مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل أسين، مدريد، ١٩٨٣، ٢ ج.

(٤٤) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٤، ق. ٢.

(٤٥) المرواني، أبو طالب، **قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة**، تحقيق بشّار عواد معروف، وصلاح محمد جرار، الطبعة الأولى، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٤٦) المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مجموعة من الباحثين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء – المحمدية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م (عن طبعة القاهرة، ١٩٣٩)، ٥ج.

(٤٧) المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧، ٨ مج.

(٤٨) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **تاريخ المقريزي الكبير المسمى المقفى الكبير**، تحقيق محمد عثمان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠.

(٤٩) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي، **معجم البلدان**، تحقيق ويستنفلد، ط. ٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥/١٩٩٦.

المراجع العربية والأجنبية:

(٥٠) الحناوي، د. محمد، **النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف**، ط. ١، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٣.

(٥١) السامر، فيصل، **الدولة الحمدانية في الموصل وحلب**، الطبعة الأولى، بغداد: مطبعة الإيمان، ١٩٧٠.

(٥٢) سامعي، د. إسماعيل، **تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي**، الطبعة الأولى، عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٨.

(٥٣) الطويل، محمد، **النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط**، (أطروحة دكتوراه مرقونة)، جامعة محمد الخامس - أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط - السنة الجامعية: ١٩٩٦-١٩٩٧.

(٥٤) العامري، محمد بشير، **مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي**، الطبعة الأولى، عمّان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٥٥) لومبار، موريس، **الإسلام في مجده الأول: من القرن ٢ إلى القرن ٥هـ (٨-١١م)**، ترجمة إسماعيل العربي، ط. ٣، الدار البيضاء، ١٩٩٠.

(٥٦) نصار، حسين، «كتب الإبل»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج. ٣٦، ج. ٣، يوليوز ١٩٦١ - محرم ١٣٨١هـ.

(٥٧) مجموعة من المؤلفين، **معلمة المغرب**، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، مطابع سلا، ١٩٨٩-٢٠٠٣، مج. ٩.

(58) Le calendrier de Cordoue, publié par R. DOZY, nouvelle édition accompagnée d'une traduction française annotée par ch. PELLAT, E. J. BRILL, LEIDEN, 1961.

جوابٌ عن سؤالِ مَن حَلَّ الطاعون بِبَلَدهم

تأليف

العلامة أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت: ١١٥٦هـ)

جوابٌ عن سؤالِ مَن حَلَّ الطاعون بِبَلَدهم
تأليف
العلامة أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت: ١١٥٦هـ)

تقديم وتحقيق

الدكتور علي قاسمي

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي جعل الفقه في الدين نعمة، وجعله طريقا موصلا لرضاه، وصراطا يتَّبِعه من أراد هُداه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد، فهذا «**جواب عن سؤال من حلَّ الطاعون ببلدهم**» أوْدَع فيه الفقيه أحمد بن مبارك خلاصة ما وقف عليه مما سطَّره الأفاضل، ورشَّحه بشيء كثير مما رقّ وراق من اجتهاداته، وقلَّده بجَمٍّ غفير مما لاق وفاق من نتائج قريحته مع تهذيب المعاني وتحرير المباني، فبرز شمسًا في سماء التحقيق رفيعَ الجناب عن أن يكون له في حسنه شقيق، فجاء بحمد الله حَسنَ المساق، بديعَ الاتساق، وبالغ في توضيحه وتهذيبه كل الإيضاح، وأفصح فيه عن أبحاث وتحقيقات كل الإفصاح.

إن السجلماسي أجاب فأوعى، واختصر فأوفى، وبيَّن فأغنى، ذلك أن خوض غمارِ الفقهِ يستلزم كفايات منطقية، ولغوية، وكلامية، وأصولية، وبيانية لا تسلم نواصيها إلا لثلة قليلة من ذوي القرائح الوقادة، والمواهب العبقرية، وفي عِقْدهم يَنْتظم السجلماسي، الذي جمع بين المعقول والمنقول، وشواهد ذلك في الجواب المحقق بارزة، وبراعته في كل فن من هذه الفنون واضحة.

هذا، وللناظر في هذا الجزء أن يحكم بما شاء بعد الاطلاع على ما ذكر فيه، ولا أظنه إلا أنه سيشهد بقوة حجة محرره، وحسن تصنيفه لهذه الجواب.

أولًا: ترجمة المؤلف[1]

١- اسمه ونسبه

هو أبو العباس، أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن مبارك بن علي بن يحيى، السِّجِلْماسي، الفيلالي، اللَّمَطي، البكري، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن طريق جده الرابع يحيى، الذي يصله بشيخه وابن خالته أحمد الحبيب السجلماسي (ت: ١١٦٥هـ)، الفاسيُّ الدارِ والقرار.

(١) ينظر ترجمته في: فهرسة إجازة لتلميذه أحمد المكّودي، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، ضمن مجموع، رقم: ١٠١ح، (ص: ٦- ١٣)؛ فهرسة تلميذه أحمد الورزازي، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، الكتاب السابع ضمن مجموع، رقم: ٤٥٨٢ د، (ص: ١٠٦)؛ فهرسة تلميذه إدريس العراقي (ص: ٤٦- ٤٧)؛ فهرسة تلميذه الزبادي، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ١٣٦٢ ك، (ص: ٢٨٤)؛ نشر المثاني (٤/ ٤٠- ٤٢)؛ التقاط الدرر (ص: ٣٩٣)؛ طبقات الحُضَيْكي (١٢٠/١)؛ الفتوحات الربانية للخلوفي (٢/١)؛ الروضة المقصودة (٢٩٠/١)...

٢- نشأته وطلبه للعلم وشيوخه

كانت ولادته في حدود سنة ١٠٩٠هـ[١] بسجلماسة، وبها قضى زُهاء عقدين من الزمن، حيث حفظ القرآن الكريم وضبطه بالقراءات السبع على يد ابن خالته أحمد الحبيب السجلماسي (ت: ١١٦٥هـ)، الذي قرأ عليه النحو أيضًا، وفي سنة ١١١٠هـ رحل إلى فاس للاغتراف من حياض أقطاب القرويين في المعقول والمنقول، منهم: أحمد بن الحاج (١٠٤٢– ١١٠٩هـ)[٢]، ومحمد بن عبد القادر الفاسي (١٠٤٢– ١١١٦هـ)[٣]، وأبو عبد الله القُسْمَطيني (ت: ١١١٦هـ)[٤]، وأحمد الجَرندي (ت: ١١٢٥هـ)[٥]، وعبد العزيز الدباغ (ت: ١١٣٢هـ)[٦]، والعربي بُرْدُلة (١٠٤٢– ١١٣٣هـ)[٧]، ومحمد المسناوي (١٠٧٢– ١١٣٦هـ)[٨]، والحسن بن رحّال المعْدَاني (ت: ١١٤٠هـ)[٩]، وعلي الحُرَيْشي (١٠٤٢-١١٤٣هـ)[١٠]...

٣- تلاميذه:

تخرج على يد ابن مبارك علماء أعلام في شتى العلوم والفنون، وظل عطاؤهم العلمي شاهدًا على رسوخ المدرسة اللمطية، والإشعاع القوي لحلقاتها التدريسية، منهم: ابن دري الشاوي (ت:

---

(١) ينظر: نشر المثاني (٤/ ٤٢).

(٢) ينظر: فهرسته، مخطوطة بالخزانة الملكية، رقم: ٦٧٧٨ (ص: ٤٩)؛ فهرسة ابن مبارك ضمن إجازته للمكودي (ص: ٧- ٨)؛ فهرسة الحسن بناني، ورقة ٣٩ (أ)؛ نشر المثاني (٨٣/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٢٧٣).....

(٣) ينظر: فهرسة محمد الورزازي (ص: ٤٣)؛ نشر المثاني (١١٥/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٢٩٢)؛ صفوة من انتشر (ص: ٢١٥)...

(٤) ينظر: فهرسة ابن مبارك (ص: ٧)؛ فهرسة العميري (ص: ٩٠)؛ فهرسة الزبادي (ص: ٢٨٤)؛ فهرسة محمد الورزازي (ص: ٤٦)؛ الصفوة (ص: ٢١٧)؛ نشر المثاني (١١٥/٣- ١١٦)؛ التقاط الدرر (ص: ٢٩٣)؛ الروضة المقصودة (٢٨٣/١)؛ سلوة الأنفاس (٣٥/٢- ٣٦)...

(٥) ينظر: فهرسة ابن مبارك (ص: ٨)؛ نشر المثاني (٢١٥/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٣٠٨)؛ حوليات النشر (ص: ٢١)؛ تاريخ الضعيف (ص: ٨٠)..

(٦) ينظر: نشر المثاني (٢٤٥/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٣١٥)؛ الروضة المقصودة (٢٩٣/١)؛ سلوة الأنفاس (٢٢٢/٢- ٢٢٨)...

(٧) ينظر: نشر المثاني (٢٤٧/٢)؛ التقاط الدرر (ص: ٣٢٠)؛ تاريخ الضعيف (ص: ٦٣، ٦٥)؛ الروضة المقصودة (١٧٤/١- ١٩٥- ٢٧٥)...

(٨) ينظر: فهرسته، مخ خ الملكية بالرباط تحت رقم: ٥٨١٢؛ فهرسة ابن مبارك (ص: ١٠)؛ فهرسة الزبادي (ص: ٢٨٤)؛ فهرسة العميري (ص: ٩٠)؛ نشر المثاني (٢٦٥/٢)؛ التقاط الدرر (ص:٣٢٧)؛ الإكليل والتاج للقادري (ص: ٢٩٣...

(٩) ينظر: نشر المثاني (٢٩٤/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٣٣٨)؛ الإكليل والتاج (ص: ١٧٣)؛ البدور الضاوية (٨٧٤/٣)؛ مؤرخو الشرفاء (ص: ٢١٢)؛ إتحاف أعلام الناس (٧/٣– ٨)...

(١٠) ينظر: فهرسة ابن مبارك (ص: ٨)؛ نشر المثاني (٣٦١/٣)؛ التقاط الدرر (ص: ٣٥٩)؛ فهرس الفهارس (١/ ٢٤١- ٣٤٢)؛ دليل ابن سودة (٣١٦/١)...

١١٥٠هـ[١]، ومحمد بن عزوز (ت: ١١٥١هـ)[٢]، وعبد المجيد الزبادي (ت: ١١٦٣هـ)[٣]، وأبو الرخاء اللمطي (ت: ١١٦٣هـ)[٤]، ومحمد بن أحمد الفاسي (ت: ١١٦٤هـ)[٥]، وأبو العباس أحمد المكودي (ت: ١١٦٩هـ)[٦]، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي (ت: ١١٧٥هـ)[٧]، وأحمد الورزازي (ت: ١١٧٩هـ)[٨]، وأبو مدين الفاسي (ت: ١١٨١هـ)[٩]، وإدريس العراقي (ت: ١١٨٤هـ)[١٠]، وزين العابدين العراقي (ت: ١١٩٤هـ)[١١]، ومحمد بن الحسن بناني (ت: ١١٩٤هـ)[١٢]، والتاودي بن سودة (١١١٨– ١٢٠٩هـ)[١٣]...

٤- مكانته ومجالسه العلمية:

تتفق المصادر المترجمة لابن مبارك على تصدره للتدريس بفاس بعدما سلمت له رئاسة العلوم في زمانه، فقد «تساقط الناس على صاحب الترجمة للانتفاع به من كل قطر من أقطار البسيطة ذات

---

(١) ينظر: إتحاف أعلام الناس (٥/ ٥٣٦)؛ معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين (٢/ ٢٣)؛ معجم المؤلفين (٩٩/٨).

(٢) ينظر: التقاط الدرر (ص: ٣٨٣)؛ نشر المثاني (٩/٤).

(٣) ينظر: فهرسته، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ١٣٦٢ ك؛ سلوك الطريق الوارية لأخيه محمد الزبادي (ص: ١٣٤- ١٥٠)؛ نشر المثاني (٧٨/٤- ٨٠)؛ التقاط الدرر (ص: ٤١٥، ٤٥٦)؛ مؤرخو الشرفاء (ص: ٢٢٣)...

(٤) ينظر: نشر المثاني (٧٧/٤)؛ التقاط الدرر (٤/٤)؛ سلوة الأنفاس (٦٥/٣- ٦٦)...

(٥) ينظر: التقاط الدرر (ص: ٤٢٣)؛ سلوة الأنفاس (١/ ٣٦٧- ٣٦٨)...

(٦) ينظر: فهرسة ابن مبارك (ص: ٦)؛ إجازة الراشدي للمعطاوي (ص: ٣٠٨)؛ فهرسة القادري (٧- ١٥)؛ دليل ابن سودة (٣١٧/٢)؛ فهرس الفهارس (١٨٤،٢٤١/١)؛ الفكر السامي (١٢٣/٤- ٢٩٠)؛ شجرة النور الزكية (٤٩٨/١)...

(٧) ينظر: نشر المثاني (١٤٣/٤)؛ التقاط الدرر (ص: ٤٤٣)؛ الروضة المقصودة (٢٩٤/١)؛ فهرسة محمد الورزازي (ص: ٢)؛ مؤرخو الشرفاء (ص: ٢٢٥)؛ دليل ابن سودة (٣٠٥/٢- ٣١٨)؛ شجرة النور الزكية (٥١١/١)...

(٨) ينظر: فهرسته، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٤٥٨٢، ورقة ٥٠ (أ)؛ فهرسة محمد الورزازي (ص: ٢٨)؛ إجازة ابن مبارك له: مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٤٥٨٢، (ص: ١٠٦)؛ طبقات الحضيكي (١١٣/١)...

(٩) ينظر: نشر المثاني (١٨١/٤)؛ شجرة النور الزكية (١/ ٥١٠)؛ الحياة الأدبية (ص: ٢٥٠)؛ تاريخ الشعر والشعراء بفاس (ص: ٨١).

(١٠) ينظر: فهرسته (ص: ٤٣- ٧٨)؛ نشر المثاني (١٩٣/٤)؛ سلوة الأنفاس (١٥٠/١- ١٥٢)؛ الجيش العرمرم (٢١٢/١)؛ فهرس الفهارس (٨١٨/٢-٨٢٠، ٨٢٣)؛ الحياة الأدبية (ص: ٢٩٥)...

(١١) ينظر: ثمرة أنسي (ص: ٢٣)؛ شجرة النور الزكية (٥١٤/١)؛ فهارس علماء المغرب (ص: ٦٧٧).

(١٢) ينظر: فهرسته، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٤٥٨٢ د، ورقة ٣٩ (أ)؛ ثمرة أنسي (ص: ٨٤)؛ معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة

العلويين (٢٩٠/٢)، وذكر أنه توفي ١١٩١هـ؛ سلوة الأنفاس (١٧٤/١- ١٧٧)...

(١٣) ينظر: فهرسته الصغرى والكبرى؛ الروضة المقصودة في جزأين كاملين؛ ثمرة أنسي (ص: ٨٩)؛ مؤرخو الشرفاء (ص: ٢٣٨- ٢٣٩)؛ التعريف بالتاودي بن سودة لابن الحاج؛ سلوة الأنفاس (١١٨/١- ١٢٠)...

الطول والعرض حتى كان مجلسه يقول: امتلأ الحوض»[1]. فهو «العالم الهمام، الطالع في سماء تحقيق العلوم طلوع بدر التمام، الساطع نوره بعد الغمام، قطب العلوم، ومدرك الغاية في تحقيق المفهوم»[2]. «يصرح لنفسه بالاجتهاد المطلق، ويرد على الأكابر من المتقدمين والمتأخرين، ويصرح بأنهم لو أدركوه لانتفعوا به»[3]. «ولعمري إنه لكذلك، وليس الخبر كالعيان»[4]. وبفضل هذه المنزلة «تخرج به من أشياخنا من كانوا قرة العيون في تحقيق جميع الفنون»[5]، وقد «كانت له عارضة في التدريس لم تكن لغيره حفظًا، وبحثًا، ومعارضة، واستنباطًا، ينفرد بآراء من أنظاره واضحة الدلالات على سنن أهل الاجتهاد»[6]. «وينفرد بأقوال يخرجها بفهمه، أو عن رأيه بما يظهر له»[7]، و«ينقل حتى لم يترك لأحد ما يقوله، ثم يحرر المنقول على طريق المعقول»[8].

٥- آثاره[9]:

خلف ابن مبارك تراثًا فكريًا غنيًا كان حصيلة حياة مليئة بالبحث والمثابرة، والمناظرة في صدور المجالس العلمية بفاس، ومكناسة، وسجلماسة، وغيرها، كما كان حصيلة اطلاع مستفيض على أبحاث الأوائل في شتى صنوف العلوم والفنون حتى قال عنه الأستاذ العابد الفاسي: «قلما يوجد كتاب في الخزانة لم يقرأه سيدي أحمد بن مبارك وعليه خطه وتعليقه حتى إنه لم يكد يفوته كتاب»[10].

وقد انطلق قطار التأليف بابن مبارك منذ عام ١١١٢هـ، وهو في الرابع والعشرين من عمره حين صنف رسالة تتصل بتعلق الصفات[11]، ثم سار هذا القطار بابن مبارك عبر محطات علمية مختلفة، نذكر منها:

---

(١) الروضة المقصودة (٢٩٢/١– ٢٩٣).

(٢) الدر المنتخب لابن الحاج (٥٣/٧).

(٣) النشر (٤٠/٤ –٤١).

(٤) الروضة المقصودة (٢٩٢/١).

(٥) نفسه (٢٩٣/١).

(٦) الروضة المقصودة (٢٩٢/١).

(٧) النشر (٤١/٤).

(٨) الروضة المقصودة (٢٩٢/١).

(٩) يراجع مقدمة تحقيق كتاب «تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول» للدكتور الحبيب العيادي (ص: ٧١- ٩٨).

(١٠) الإمام الشهاب القرافي حلقة وصل بين المشرق والمغرب، عبد السلام الوكيلي (٣٧٥/١).

(١١) طبعت بتحقيق نزار حمادي التونسي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، دون ذكر تاريخ الطبع.

- الأجوبة الفقهية[1].

- الأجوبة السبكية [2].

- إنارة الأفهام بسماع ما قيل في دلالة العام[3].

- تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول[4].

- كشف اللبس عن المسائل الخمس [5].

- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز[6].

وغيرها من الكتب والرسائل والتقاييد والأجوبة في الفقه، والأصول، والحديث، والكلام، والمنطق، واللغة، والتفسير، والبيان، والتاريخ[7].

٦- وفاته:

توفي رحمه الله يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة ١١٥٦هـ[8]، ودفن بجوار شيخه عبد العزيز الدباغ رحمه الله في مقبرة الشرفاء الدباغيين خارج باب الفتوح بفاس.

ثانيًا: التعريف بالمسألة المحققة:

١- صحة نسبة هذه المسألة:

التحقيق من نسبة المخطوط للمؤلف، ليس بالأمر الهين إذ تحتاج إلى إعمال المحقق فكره بطائفة

(١) جمعها ورتبها ودرسها وحققها عبد ربه علي قاسمي، ونال بها شهادة الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس، بميزة مشرف جدا مع توصية بالطبع بتاريخ ٢٣ نونبر ٢٠٢٠م.

(٢) منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ١١٦٨ ك، الكتاب الثاني ضمن مجموع، (ص: ١٨٠- ٣١٠).

(٣) حققته أمينة بطان لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سنة ١٩٩٥- ١٩٩٦م.

(٤) حققه الحبيب العيادي لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سنة ١٩٩٤- ١٩٩٥م. ونشر ضمن سلسلة منشورات كلية الآداب بالرباط، سنة ١٩٩٩م.

(٥) منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٢٥٥٤ د. وحُقق من طرف الباحث: بلامين عبد العلي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، ونوقش بتاريخ: ١٨ يوليوز ٢٠١٨م.

(٦) طبع الكتاب لأول مرة بمصر عام ١٢٧٨ هـ. وقد اختصره أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر التادلي (ت: ١٢٣٤هـ) تحت اسم "القول الوجيز في تهذيب الإبريز" بأمر من المولى سليمان (دليل ابن سودة: ٢٠٩/١).

(٧) ينظر بعضها في: الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية للدكتور محمد الأخضر (ص: ٢٣٨).

(٨) ينظر: التقاط الدرر (ص: ٣٩٣)؛ نشر المثاني (٤٢/٤).

من المحاولات التحقيقية، ومن الدلائل القوية والبراهين القطعية التي تؤكد نسبة الجواب لابن مبارك بدون شك أو تردد، ما يأتي:

- إن ابن مبارك ختم جوابه بقوله: «قاله وكتبه عبيد ربه تعالى أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي لطف الله به، آمين».

- لقد أثبت أغلب من ترجم للشيخ ابن مبارك أن من بين مؤلفاته التي كتبها أجوبته، ومن بين المترجمين الذين ذكروا هذا الأمر نخص منهم: تلميذه القادري[١]، ومحمد بن جعفر الكتاني[٢]، ومحمد مخلوف[٣]، ومحمد الأخضر[٤]، وغيرهم.

- ومما يدل أيضًا على نسبة المسألة له أن كتب الفهارس المخصصة لمخطوطات الخزانات تذكرها منسوبة له، مثل: فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية، وفهرس المحفوظات بالمكتبة العامة بتطوان.

٢- النسخ المخطوطة:

اعتمدت على ثلاث نسخ من هذا الجواب، وهي:

- **نسخة «أ»**، وهي نسخة خطية ضمن مجموع، مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط، قسم الدال، رقم: ١٨٥٤، وحجمها من القالب المتوسط، تقع في ٥ صفحات، في كل صفحة ٢٥ سطرًا ما عدا الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة.

كتبت بخط مغربي أصيل، ورؤوس مسائلها بلون مغاير، أوراقها في حالة جيدة وخالية من الخروم، ولا نجد على النسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وليس عليها تملكات، وعلى هامش كل الصفحات عبارة: «اللهم صل على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم، اللهم يا مجيب يا سريع العون والتوفيق»، وعلى هامش الصفحة الأخيرة عنوانين: «ما يُدفع به الطاعون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم»، «مما ينفع للوباء إدمان قراءة آية الكرسي».

- **نسخة «ي»**، وهي نسخة خطية ضمن مجموع، مصورة عن مخطوطة المكتبة الوطنية بالرباط، قسم الدال، رقم: ١٣٤٨، وحجمها من القالب المتوسط، تقع في ٧ صفحات، في كل صفحة ١٩ سطرًا ما عدا الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة.

---

(١) التقاط الدرر (ص: ٣٩٢).

(٢) سلوة الأنفاس (٢٠٣/٢).

(٣) شجرة النور الزكية (٣٥٢/١).

(٤) الحياة الأدبية (ص: ٢٣٨).

كتبت بخط مغربي أصيل إلا أنه دقيق جدًا تصعب قراءته على غير المتمرس، أوراقها في حالة جيدة وخالية من الخروم، ولا نجد على النسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وخالية من التعليقات، وليس عليها من التملكات سوى ختم على هامش الصفحة الثانية والسادسة.

وكُتب في آخر النسخة: وهو في تركة عبد ربه أحمد بن محمد النميشي كان الله له وغفر لوالديه وأشياخه.

- **نسخة «ت»**، وهي نسخة خطية ضمن مجموع، مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بتطوان، رقمها: ٥٥٥، وحجمها من القالب المتوسط، تقع في ٤ صفحات، في كل صفحة ٢٧ سطرًا ما عدا الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة.

كتبت بخطوط مختلفة، أوراقها ممزقة وفي حالة غير سليمة مع وجود خروم كثيرة.

ولا نجد على النسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وليس عليها تملكات ولا تعليقات.

وبعد مقابلة النسخ تبين لي أن «أ» أجود وأضبط من «ي» و«ت»، ولذلك جعلتها أصلا، وأثبت الفروق بينها وبين «ي» و«ت» في الهامش، إلا عندما يتبين لي أن ما في النسخة «أ» خطأ محض، وهنا أثبت الصواب من «ي» و«ت».

ثالثًا: منهج التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذا الجواب الخطوات الآتية:

ضبطت النص وصححته من خلال مقابلة النسخ الخطية.

- أثبت الفروق بين النسخ في الهامش.
- كتبت النص وفق قواعد الإملاء الحديثة، ونظَّمت فِقراته.
- وثقت النقول والأقوال الواردة في النص ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

قمت بتخريج الأحاديث وعزوتها إلى مصادرها.

- عرفت بالأعلام.
- وختاما فما كان في هذا العمل من صواب فذلك فضل الله وتوفيقه، وإن تكن الأخرى فأسأل الله عفوه وتجاوزه.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

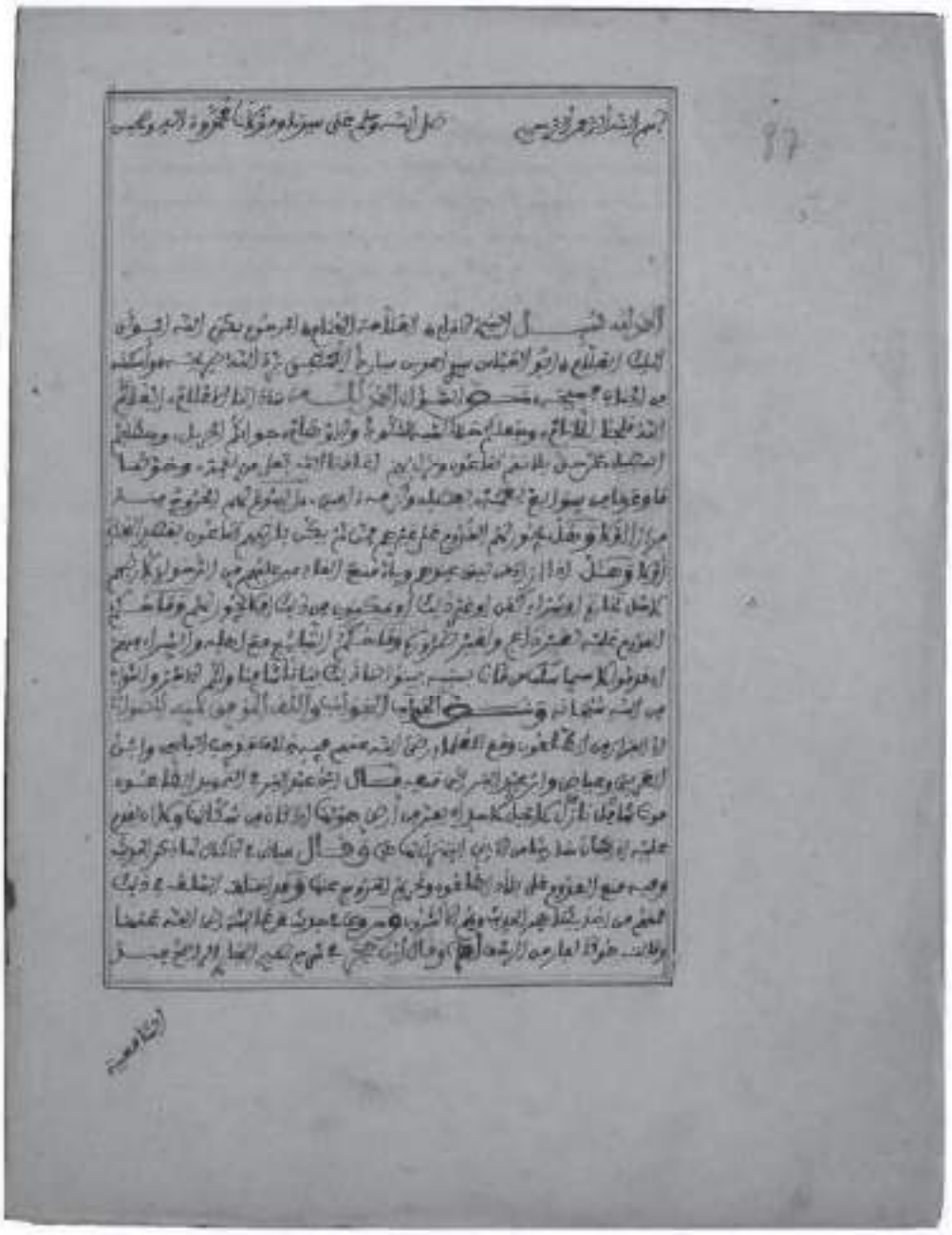

[الصفة الأولى من نسخة «أ» المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 1854د]

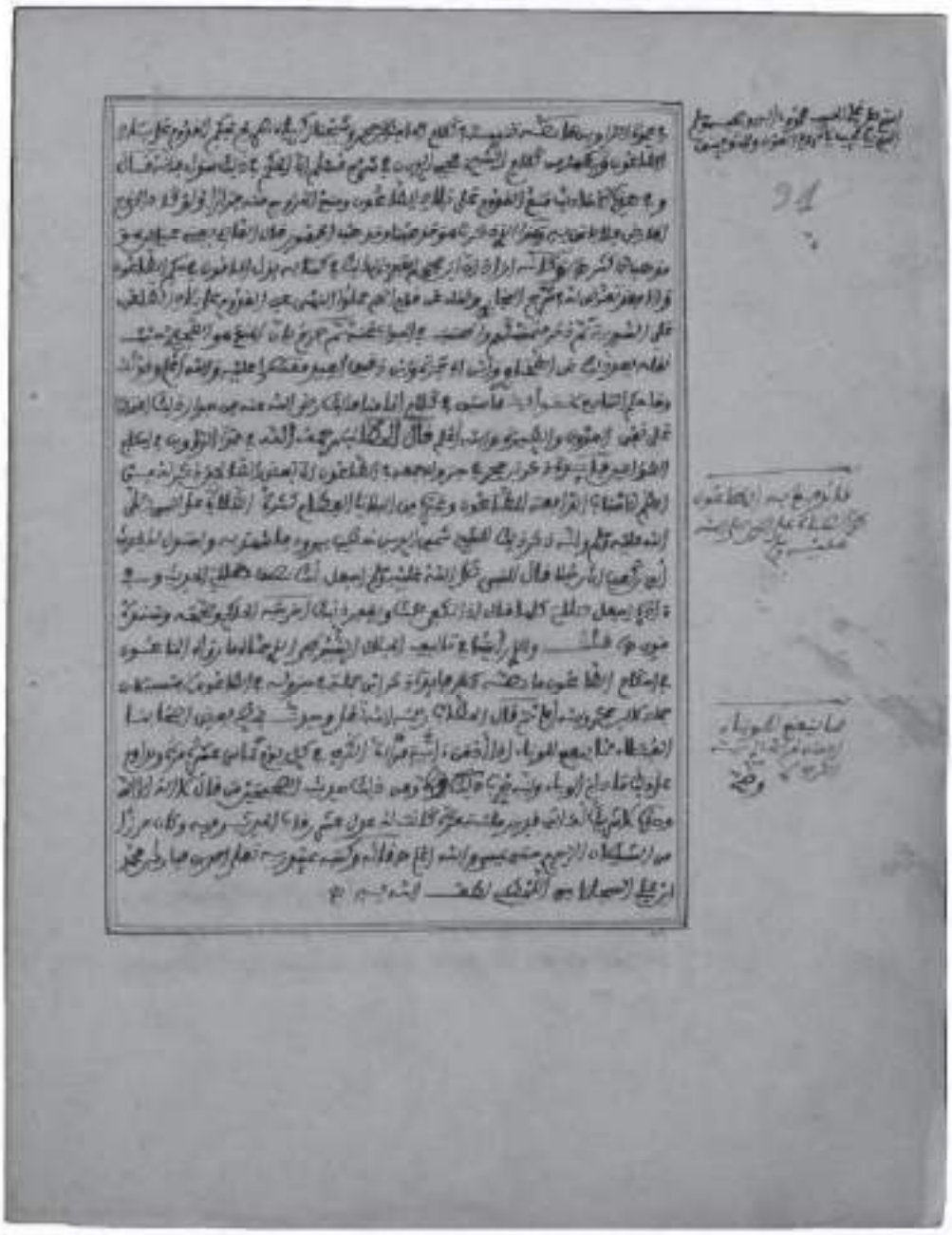

[الصفة الأخيرة من نسخة «أ» المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 1854د]

[الصفة الأولى من نسخة «ي» المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 1348د]

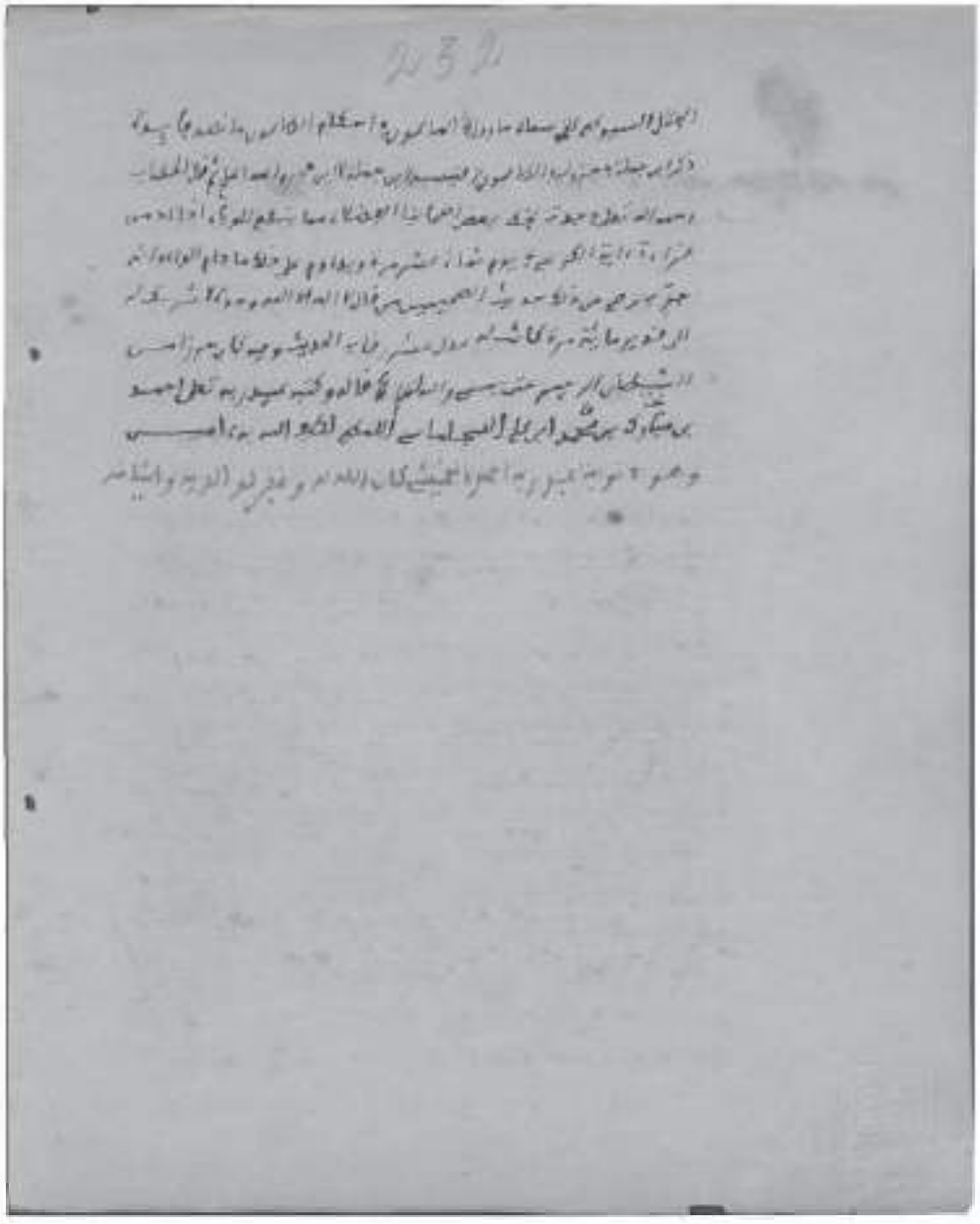

[الصفة الأخيرة من نسخة «ي» المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 1348د]

[النص المحقق]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله، سئل الشيخ الإمام، العلَّامة الهُمام، المرحوم بكَرم [الله][1] المولى الملك العلَّام، أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك اللمطي برَّد الله ضريحَه، وأسكنه من الجنان فسيحَه.

[نص السؤال]:

الحمد لله، ساداتنا الأعلام، أبقاكم الله ملجًا للأنام، وجعلكم جلاء لشُبه الشّكُوك والأوهام، جوابكم الجزيل، وخطابكم الفضيل عمن حلَّ بلادَهم طاعون ونزل بهم أعاذنا الله تعالى من نقمه، وخوَّلنا ما وعدنا من سوابغ نعمه بفضله وكرمه، آمين.

هل يَسوغ لهم الخروج منه فرارًا أم لا؟.

وهل يجوز لهم القدُوم على غيرهم ممن لم يكن بأرضهم طاعون بقصد التجارة أو لا؟.

وهل إذا أراد من ليس عندهم وباءٌ منعَ القادمين عليهم من الدخول لأرضهم لأجل تجارة، أو شراء كفن، أو غير ذلك، يُمَكَّنُون من ذلك أو لا يجوز لهم؟.

وما حكم القدوم عليهم[2] لغير داع ولغير ضرورة؟.

وما حكم التبايع مع أهله والشراء منهم إن قدموا، لا سيما سَلَبُ من مات بسببه؟.

فبيِّنوا لنا بيانًا شافيًا، ولكم الأجر والثواب من الله سبحانه.

[نص الجواب]:

[الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا][3].

الجواب، والله الموفق بمنه للصواب:

إن الفرار من الطاعون وقع للعلماء رضي الله عنهم فيه خلاف، فذهب الباجي[4]، وابن

---

(١) ساقط من (ت).

(٢) في (أ): عليه.

(٣) ساقط من (ي) و (أ).

(٤) القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي من باجة الأندلس. له مؤلفات كثيرة من بينها: إحكام الفصول في أحكام الأصول، والاستيفاء، والمنتقى، وغير ذلك، توفي سنة (٤٩٤هـ). له ترجمة في: تاريخ قضاة الأندلس (ص: ٩٥)، الديباج (ص: ١٢٠)، شجرة النور (ص: ١٢٠).

العربي[1]، وعياض[2]، وابن عبد البر[3] إلى منعه.

قال ابن عبد البر في «التمهيد»: الطاعون موت نازل شامل، لا يحل لأحد أن يفر من أرض هو بها إذا كان من سكانها، ولا أن يقدم عليه إذا كان خارجًا من الأرض التي نزل بها.[4] هـ.

وقال عياض في «الإكمال» لما ذكر الحديث: وفيه منعُ القدوم على بلاد الطاعون وتحريمُ الخروج عنها، وقد اختلف السلف في ذلك، فمنهم من أخذ بظاهر الحديث وهم الأكثر[5]، ومروي في حديث عائشة رضي الله عنها، وقالت هو: «**كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ**»[6]. هـ[7].

وقال [الحافظ][8] ابن حجر[9] في [شرح][10] صحيح البخاري: "الراجح عند الشافعية حرمة الفرار لظاهر النهي الثابت في الأحاديث الماضية، وهذا هو الذي يؤيده ثبوت الوعيد على ذلك، فأخرج [أحمد[11]][12]،

(١) الإمام العلامة الحافظ، القاضي أبو بكر بن العربي الاندلسي، الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، توفي سنة: ٥٤٣ هـ. له ترجمة في: سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠)، طبقات المفسرين للداودي (١٦٧/٢)، نفح الطيب للمقري (٢٥/٢)، قضاة الأندلس (ص: ١٠٥).

(٢) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان أعلم الناس بكلام العرب، وأنسابهم، وأيامهم. توفي سنة: ٥٤٤هـ. له ترجمة في: وفيات الأعيان (٤٨٣/٣)، طبقات الحفاظ (ص: ٤٧٠)، والديباج (٤٦/٢)، وشجرة النور (ص: ١٤٦).

(٣) الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، كان قاضيا ومؤرخًا، من تآليفه: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة (٤٦٣هـ)، واستكمل خمسًا وتسعين سنة وخمسة أيام. له ترجمة في: وفيات الأعيان (٣٣٨/٢)، الديباج (ص: ٣٥٧)، شجرة النور (ص: ١١٩).

(٤) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١١/٦).

(٥) في (ي) و (أ): الأكثرون.

(٦) لم يرو موقوفًا عن عائشة ولكن مرفوعًا فى مسند أحمدحديث (٢٥١١٨)، وإسناده حسن كما قال ابن حجر فى الفتح (١٥٣/١٠)، باب ما يذكر فى الطاعون.

(٧) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٣٢/٧).

(٨) ساقط من (أ) و (ي).

(٩) شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين المصري المولد، والمنشأ، والدار، والوفاة، من أشهر مؤلفاته: فتح الباري على شرح البخاري، ولد سنة:٧٧٣هـ، وتوفي سنة: ٨٥٢هـ. له ترجمة في: التبر المسبوك، (ص: ٢٣٠)، الضوء اللامع (٣٦/٢)، البدر الطالع (٨٧/١)، بدائع الزهور (٣٢/٢).

(١٠) ساقط من (أ) و (ي).

(١١) مسند أحمد، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث (٢٦١٨٢)، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد، وهو مكرر الحديث (٢٥١١٨).

(١٢) ساقط من (ت).

وابن خزيمة[1] من حديث عائشة بسند حسن: قلت يا رسول الله فما الطاعون؟ قال: «**غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْإِبِلِ، الْمُقِيمُ فِيهَا كَالشَّهِيدِ، وَالْفَارُّ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ**»[2]. وله شاهد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الفارُّ منَ الطاعونِ كالفارِّ منَ الزحفِ، وَالصَّابِرُ عَليهِ كَالصَّابِرِ على الزَّحْفِ**» أخرجه أحمد[3]، وابن خزيمة[4] [أيضًا][5]، وسنده صحيح للمتابعات".[6] هـ.

وقال الباجي في «المنتقى»: قوله: «فرارًا منه»[7]، خص بالمنع الخروج على هذا الوجه، فيجوز لمن أراد الخروج منه لغير ذلك من حاجة تنزل به إلى السفر عنه أو الانتقال عنه.[8] اهـ.

وقال الحطاب[9]: قوله: "السفر عنه"، متعلق بحاجة. قال الحطاب: "وهذا الذي قاله الباجي قاله غير واحد، وهو ظاهر"[10].

وذهب ابن رشد[11] في «البيان والتحصيل» إلى كراهة الفرار والقدوم[12]، وشهَّره القلشاني[13]،

---

(١) أخرجه في كتاب التوكل كما في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة لابن حجر العسقلاني (٧٨٩/١٧)، حديث (٢٣٢٣٤).

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٤/٢)، وقال: رجال أحمد ثقات.

(٣) مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، حديث (١٤٤٧٨).

(٤) أخرجه في التوكل كما في "الإتحاف" ٢٨٣/٣ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٥) ساقط من (أ) و (ت).

(٦) ينظر: فتح الباري (١٨٨/١٠).

(٧) يقصد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون.

(٨) ينظر: المنتقى شرح موطأ مالك، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م (٢٦٤/٩).

(٩) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني المغربي الأصل، المولود بمكة، له «مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل» (مطبوع)، وهو أكثر الشروح تحريرًا وإتقانًا، وله «تحرير الكلام في مسائل الالتزام» (مطبوع)، لم يسبق إلى مثله، وله «عمدة الراوين في أحكام الطواعين» (مخطوط)، توفي سنة: ٩٥٤هـ. له ترجمته في: نيل الابتهاج: (ص: ٣٣٧- ٣٣٨)، الفكر السامي (٢٧٠/٢)، وغيرهما.

(١٠) ينظر: عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين للحطاب، مخطوط، منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٢٨٥٥د، (ص: ٩٥).

(١١) الإمام العلامة، أبو الوليد ابن رشد القرطبي المالكي، المشهور بابن رشد الجد، قاضي الجماعة بقرطبة، صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة ٥٢٠هـ. له ترجمة في: الديباج (٢٤٨/٢)، ونفح الطيب للمقري (٧٠/٢)، والعبر (٤٧/٤)، وشجرة النور (ص: ١٢٩).

(١٢) ينظر: البيان والتحصيل (٢٧٦/١٧- ٢٧٧).

(١٣) أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد، القلشاني، التونسي، أخذ عن والده أبي عبد الله محمد بن عبد الله، وأبي مهدي عيسى الغبريني، وأدرك ابن عرفة، له شروح في المذهب معتبرة، وهي: شرح على المدونة، وشرح على الرسالة، وشرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي، المعروف بجامع

وإليه ذهب غيره من شراح «الرسالة» كالجزولي[1]، والشيخ يوسف بن عمر[2]، وابن ناجي[3]، والشيخ زروق[4]، وبه جزم ابن رشد وحكى الإجماع على أنه لا إثم ولا حرج في شيء من فراره ولا من عدمه.

قال الحطاب رحمه الله: وفي دعوى ابن رشد الإجماع على عدم التحريم نظر لما تقدم من كلام ابن عبد البر، وعياض [وغيرهما][5]، بل نقل الحافظ ابن حجر[6] [وشيخ الإسلام زكرياء[7]][8] عن ابن خزيمة أنه ترجح في «صحيحه» بأن الفرار من الطاعون [من الكبائر][9]، وأن الله تعالى يعاقب من وقع منه ذلك ما لم يَعْفُ عنه، واستدل بحديث عائشة [رضي الله عنها][10] في ذلك. هـ. يعني قوله

الأمهات، توفي بتونس سنة (٨٦٣هـ). له ترجمة في: رحلة القلصادي (ص: ١١٥)، الضوء اللامع (١٣٧/٢)، توشيح الديباج (ص: ٤١).

(١) الشيخ الصالح، الفقيه، العالم المحصل، علاّمة المذهب المالكي وحافظه، أبو زيد عبد الرحمن بن عفان بن نعمان الجُزولي السَملالي الفاسي، خلّف هذا العالم الجليل شروحًا على المدونة والرسالة حتى عُرف بشيخ المدونة، وقُيّدت عنه على الرسالة ثلاث تقاييد توجد بعض نسخها بالقرويين؛ انتقل إلى جوار ربه سنة ٧٤١هـ. من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس (٤٠١/٢-٤٠٢)، المعسول للمختار السوسي (٦١/١٧- ٦٢)، سوس العالمة له أيضًا (ص: ١٧٦)، وفيات الرسموكي (ص: ٢٢).

(٢) أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي، إمام القرويين ومفتيها، ذو ورع وزهد وتقشف، ومراقبة وكمال وفضل، له شرح على الرسالة، طبع في خمسة مجلدات بتحقيق محمد الطريباق اليدري وعبد الرحيم الحمدادي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م، توفي سنة: ٧٦١هـ. له ترجمة في: الفكر السامي: (٢/ ٢٤٢) جامع القرويين: (٢/ ٤٩٤)، موسوعة أعلام المغرب (٢/ ٦٦٩).

(٣) قاسم بن عيسى بن ناجي، التنوخي، القيرواني، أبو الفضل، الشيخ الفقيه الحافظ للمذهب، العارف بالأحكام والنوازل، الزاهد الورع القاضي العادل، له تصانيف حسان، وتآليف معوّل عليها في المذهب منها: شرح الرسالة، وشرحان على المدونة كبير شتوي في أربعة أسفار، وصغير صيفي في سفرين، وله كذلك شرح التفريع لابن الجلاب، ومعالم الإيمان، ومشارق أنوار القلوب. توفي سنة (٨٣٧هـ). له ترجمة في: شجرة النور (٣٥٢/١)، نيل الابتهاج (١٢/٢)، الفكر السامي (ص: ٥٨٨). ينظر: شرحه على الرسالة (٤١١/٢).

(٤) العالم الفقيه المحدث الصوفي المتضلع؛ أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، ولد رحمه الله سنة ٨٤٦هـ، وتوفي سنة ٨٩٩هـ. ومن آثاره: شرح رسالة أبي زيد القيرواني. له ترجمة في: الضوء اللامع (٢٢٢/١)، جذوة الاقتباس (ص:١٢٨)، درة الحجال (ص: ٣٢)، كفاية المحتاج (٥٦/١)، طبقات الحضيكي (٢٧/١-٣٦)، شجرة النور الزكية (ص: ٢٦٧). ينظر: شرحه على الرسالة (٤١١/٢).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) يقصد: ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. توفي ٩٧٣هـ. له ترجمة في: شذرات الذهب (٣٧٠/٨)، البدر الطالع (١٠٩/١). ينظر كلامه في كتابه: الفتاوى الفقهية الكبرى (٢٦/٤).

(٧) العالم الكبير شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، قاضي القضاة بمصر، والقائم على التدريس بمقام الإمام الشافعي والنظر على أوقافه، اجتهد الشيخ في طلب العلم مذ كان يافعًا، رغم فاقته وشدة حاجته، ولم يمنعه هذا من الجد والتحصيل والأخذ عن علماء عصره، توفي سنة ٩٢٦ه. له ترجمة في: الضوء اللامع (٢٣٤/٣)، الكواكب السائرة (١٩٨/١)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ١٧٢).

(٨) ساقط من (أ) و (ي).

(٩) ساقط من (ي).

(١٠) ساقط من (أ) و (ي).

صلى الله عليه وسلم «**الفارُّ منَ الطاعونِ كالفارِّ منَ الزحفِ**» رواه الإمام أحمد[١]، والطبراني[٢]، وابن عَدي[٣]، وغيرهم [وقد تقدم]، فهذا ينقض الإجماع[٤].

وأيضًا نقل الحافظ ابن حجر[٥]، وشيخ الإسلام زكرياء، والجلال السيوطي[٦] عن التاج السبكي[٧] أنه قال: مذهبنا وهو الذي عليه الأكثر أن النهي عن الفرار منه للتحريم[٨].

ثم قال الحطاب رحمه الله بعد كلام: أما من خرج فرارًا من قضاء الله معتقدًا أن ذلك يُنْجيه فلا يُختلف في تحريمه بل ذلك كُفْر، ومن خرج لشُغل عَرض له، أو للتداوي من عِلة نزلت به فلا يُختلف في جوازه، وإنما [محل][٩] الخلاف فيمن خرج وهو يعلم أن فراره لا يمنعه من قدر الله [تعالى][١٠]، ولكنه يرجو السلامة وإن كان ذلك لا يُنْجيه، ويبقى الكلام فيمن عَرضت له حاجة إلى الخروج وانضَمَّ إلى ذلك قصد الفرار، هل يدخل في النهي أم لا؟.[١١] هـ.

وقال ابن حجر في شرح [صحيح][١٢] البخاري: ولا شك أن الصور ثلاث: من خرج لقصد الفرار محضًا، فهذا يتناوله النهي لا محالة، ومن خرج لحاجة مُتَمَحِّضَةٍ لا لقصد الفرار أصلًا ويُتصور ذلك

---

(١) مسند أحمد، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث (٢٦١٨٣)، قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث جيد، وهو مكرر (٢٤٥٢٧) سندًا ومتنًا.

(٢) المعجم الأوسط، حديث (٥٥٢٧).

(٣) الكامل في الضعفاء (٢٠٠/٦).

(٤) ينظر مخطوطة: عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين للحطاب (ص: ١١٢).

(٥) يقصد: ابن حجر الهيتمي، ينظر كلامه في كتابه: الفتاوى الفقهية الكبرى (٢٦/٤).

(٦) أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين المصري، الفقيه الحافظ المحدث، ذو الباع الطويل في العلوم، بلغت تآليفه نحو ست مائة بين مطول في أسفار، ومختصر في ورقتين، ولد سنة:٨٤٩هـ، وتوفي سنة: ٩١١هـ. له ترجمة في: الضوء اللامع (٦٥/٤)، الشذرات (٥١/٨)...

(٧) أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي، من مصنفاته: «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب»، و«جمع الجوامع»، و«منع الموانع»، و«المنهاج» في الأصول، و«الأشباه والنظائر» في القواعد، توفي بالطاعون سنة (٧٧١هـ). له ترجمة في: الدرر الكامنة لابن حجر (٤٢٥/٢)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٠٤/٣)، شذرات الذهب لابن العماد (٢٢١/٦).

(٨) ينظر مخطوطة: عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين للحطاب (ص: ١١٢).

(٩) ساقط من (أ) و (ي).

(١٠) ساقط من (أ) و (ي).

(١١) ينظر مخطوطة: عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين للحطاب (ص: ١١٢- ١١٣).

(١٢) ساقط من (أ) و (ت).

فيمن تهيأ للرحيل من بلد كان بها إلى بلد إقامته مثلًا ولم يكن الطاعون [وقع][1]، فاتفق وقوعه في أثناء تجهيزه فهذا لم يقصد الفرار أصلًا فلا يدخل في النهي، والثالث من عَرضت له حاجة فأراد الخروج إليها وانضَمَّ إلى ذلك [أنه][2] قَصَد الراحة من الإقامة بالبلد التي وقع بها الطاعون، فهذا محلُّ النزاع. [3] هـ.

وقوله في الحديث السابق: «**الصَّابِرُ فيه كالصَّابرِ في الزَّحْفِ**»، قال ابن حجر: بشرط إن علم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن يُسَلِّم لله عز وجل ويَرْضَى بقضائه، وأن يبقى في مكانه ولا يخرج منه بقصد الفرار، فإذا اتصف الجالس بهذه القيود الثلاثة حصل له أجر الشهادة، ودخل تحته ثلاث صور: الأولى: من اتصف بذلك [فوقع به الطاعون][4]، ومات فهو شهيد. والثانية: من وقع به ولم يمت به فهو شهيد وإن مات بعد ذلك. والثالثة: من لم يقع به أصلًا ومات بغيره عاجلًا أو آجلًا فهو شهيد إذا حصلت فيه القيود الثلاثة، وخرج عنه من لم يتصف بالقيود المذكورة فليس بشهيد ولو مات بالطاعون، والله أعلم[5].

وقوله: وهل يجوز لهم القدوم على غيرهم ممن ليس بأرضهم طاعون بقصد التجارة أم لا؟.

جوابه: أنه جائز، وقد سبق في كلام الباجي، وابن حجر، والحطاب وغيرهم.

وقوله: وهل إذا أراد من ليس عندهم وباء منع القادمين عليهم من الدخول لأرضهم لأجل تجارة، أو شراء كفن، أو غير ذلك، يمكنون من ذلك ويجوز لهم أم لا؟.

جوابه: أنه ثبت في الحديث الصحيح «**لا عَدْوَى ولا طَيَرَةَ**»[6]، وثبت في الحديث الصحيح «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ**»[7]، و«**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»[8]. فاختلف العلماء رضي الله عنهم

---

(١) ساقط من (ت).

(٢) ساقط من (ت).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠/١٨٨).

(٤) ساقط من (أ) و (ي).

(٥) فتح الباري (١٠/١٩٣- ١٩٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، حديث (٥٤٤٠)، وأخرجه مسلم في: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، حديث (٢٢٢٠).

(٧) جزء من حديث «لا عدوى ولا طيرة... »، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الجذام، حديث (٥٧٠٧).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر، حديث (٥٧٧٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، حديث (٢٢٢١).

في هذه الأحاديث، فذهبت طائفة إلى رد حديث: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ**» لشذوذه وأن عائشة أنكرته، وبأن أبا هريرة رضي الله عنه رَاوِيه شك فيه، وبأن الأخبار الواردة في نَفْي العدوى كثيرة جدًا، ورَدَت من حديث عائشة [رضي الله عنها][1]، وابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وجابر وغيرهم[2].

وذهبت طائفة أخرى إلى العكس فردَّت حديث: «لا عدوى»، وصححوا [حديث][3] «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ» وما في معناه، ولا حجة لهذه الطائفة، فإن أحاديث العدوى ثابتة عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم[4].

وذهبت طائفة ثالثة إلى الجمع بين الحديثين بمسالك كثيرة، المسلك السادس منها: العمل بنفْي العدوى أصلًا، وحمل الأمر بمجانبة المجذوم على حسن العادة، وبسد الذريعة لئلَّا يحدثَ للمخالط شيءٌ من ذلك ويَظُنه بسبب المخالطة فيُثْبِتُ العدوى التي نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عُبيدٍ وتبعه جماعة وأظنه في ذلك ابن خزيمة في كتاب «التوكل»[5]، فإنه أورد فيه «**لا عَدْوَى**» عن عدة من الصحابة إلى أن قال: إنما أمرهم صلى الله عليه وسلم بالفرار من المجذوم كما نهاهم أن يُورِدَ الْمُمْرِضُ على الْمُصِحِّ شفقةً عليهم، وخشيةَ أن يصيبَ بعض من يخالطهُ المجذومُ الجذامُ، والصَّحيحَ من الماشيةِ الجَرِبُ فيسبِقُ إلى قلب بعض المسلمين أن ذلك من العدوى فَيُثْبِتُ العدوى التي نفاها [النبي][6] صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بتجنب ذلك شفقة منه ورحمة لِيَسْلَمُوا من التصديق بإثبات العدوى، وبين لهم أنه لا يُعْدِي شيءٌ شيئًا. هـ ملخصًا[7].

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ينظر: فتح الباري (١٠/١٦٠) بتصرف.

(٣) ساقط من (ت).

(٤) فتح الباري (١٠/١٦٠) بتصرف.

(٥) مفقود، وهو جزء مفرد من الصحيح، وكتاب من كتبه.

(٦) ساقط من (أ).

(٧) ينظر: فتح الباري (١٠/١٥٩- ١٦٠- ١٦١) بتصرف.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله [تعالى][1] في «فتح الباري» وهذا الذي ذكره احتمالًا سبقه إليه مالك، فقال: ما سمعت فيه بِكَرَاهِيَةٍ وما أدري ما جاء من ذلك إلا مخافةَ أن يقعَ في نفس المؤمن شيء. [2] هـ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الطبري: إنه الصواب. وقال الطحاوي في «مشكل الآثار»: إنه الذي يجب، واقتصر عليه وأطنب فيه [إلى][3] الغاية، وبه جزم القرطبي في «المفهم»، وابن أبي جمرة[4].

وإذا كان هو مذهب إمامنا مالك رضي الله عنه وجبَ علينا اتباعه، وتعيَّن العمل به، وحينئذ فلا يُمنعون من القدوم لتجارة ولا غيرها.

ووقع للحطاب رحمه الله [تعالى][5] في «عمدة الراوين في أحكام الطواعين» كلام في هذه المسألة خرج فيه إلى نقل [كلام][6] الشافعية فانظره في قوله: "مسألة: قال الحافظ ابن حجر: ذكر جمْع من الأطباء فيما يحذَره الصحيح [في زَمَن الطاعون من][7] مخالطة [من أصابه][8] ذلك. ثم ذكر عن تاج الدين السبكي أنه [إن][9] شهد بذلك طبيبان عارفان مسلمان عدلان أن ذلك يضر فالامتناع من المخالطة جائز[10]. ثم قال ابن حجر: قلت: لا تقبل شهادة من شهد بذلك، لأن الحس يُكَذِّبه، وهذه الطواعينُ يتكرر وجودها في الديار المصرية والشامية، ونجد من أصيب بذلك من يقوم عليه من أهله وخاصته، ومخالطتُهم له أشد من مخالطة الأجانب قطعًا، والكثيرُ منهم سالمٌ من ذلك، فمن شهد بأن ذلك سبب

(١) زيادة من (ت).

(٢) فتح الباري (١٠/١٦٢).

(٣) ساقط من (ت).

(٤) فتح الباري (١٠/١٦٢).

(٥) زيادة من (ت).

(٦) زيادة من (ت).

(٧) ساقط من النسخ المعتمدة.

(٨) زيادة من الأصل.

(٩) زيادة من (ت).

(١٠) ينظر: بذل الماعون في فضل الطاعون (ص: ٣٤١).

في أذى المخالط، فهو مكابر"[1] إلى [آخر][2] ما ذكره في تلك المسألة فانظره قبل الخاتمة من الباب الرابع.[3] وكأنه لم يقف على كلام ابن حجر في شرح البخاري الذي أشرنا [إليه، بل][4] إلى تلخيصه سابقا وما نقله فيه عن إمامنا مالك رضي الله عنه، [والله][5] أعلم.

وقوله: "وما حكم القدوم عليه؟".

جوابه: أنه سبق في نصوص المالكية كابن عبر البر، والباجي، وعياض، وابن العربي، وغيرهم أنه ممنوع، وسبق عن ابن رشد، وشراح «الرسالة» أنه مكروه، وأن الصحيح من جهة الحديث هو الأول كما سبق ذلك كلّه.

ووقع للحطاب [رحمه الله][6] في «عمدة الراوين» ما نصه: "تنبيه: في كلام الحافظ ابن حجر، وشيخنا زكرياء تصريح بحكم القدوم على بلاد الطاعون، ويظهر من كلام الشيخ مُحيي الدين في «شرح مسلم» أن الحكم في ذلك سواء، فإنه قال: وفي هذه الأحاديث منعُ القدوم على بلاد الطاعون ومنعُ الخروج منه فرارًا، ولو كان الخروج لعارض فلا بأس به، وهذا الذي ذكرت هو مذهبنا، ومذهب الجمهور. قال القاضي، يعني: عياضا: هو مذهب الأكثر".[7] هـ.

وكأنه أراد أن ابن حجر لم يتعرض لذلك في كتابه «بذل الماعون في حكم الطاعون»، وإلا فقد تعرض له في شرح «البخاري»، ونقل عن قوم أنهم حملوا النهي عن القدوم على بلاد الطاعون على السوية، ثم ذكر متمسكهم [في ذلك][8] فأطنب في الجواب عنه، ثم جزم بأن المنع هو الصحيحُ، حيث نقله بعد ذلك عن الطحاوي، وابن أبي جمرة، وابن دقيق العيد مقتصرًا عليه[9]، والله أعلم.

---

(١) المصدر نفسه (ص: ٣٤٢).

(٢) ساقط من (ت).

(٣) ينظر: عمدة الراوين في أحكام الطواعين (ص: ١٢٣) بتصرف.

(٤) ساقط من (ت).

(٥) ساقط من (ت).

(٦) ساقط من (ت).

(٧) ينظر: عمدة الراوين في أحكام الطواعين (ص: ١١٤)؛ وشرح النووي على صحيح مسلم (١٧٢/٧).

(٨) ساقط من (ت) و (ي).

(٩) ينظر: فتح الباري (١٩٧/١٠- ٢٠٠).

وقوله: "وما حكم التبايع إلخ؟".

جوابه: ما سبق في كلام إمامنا مالك رضي الله عنه من جواز ذلك اعتمادًا على نفي العدوى والطيرة، والله أعلم.

قال الحطاب رحمه الله في «عمدة الراوين في أحكام الطواعين»: "فائدة: [ذكر][1] ابن حجر في «جزء له جمعه في الطاعون»[2] أن بعض الصالحين ذكر له [أن][3] من أعظم الأسباب الدافعة للطاعون وغيره من البلايا العظام كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ذكر ذلك للشيخ شمس الدين ابن خطيب يبرود[4] فاستصوبه، واستدل له بحديث أُبي بن كعب أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أجعل لك نصف صلاتي، الحديث وفي آخره: أجعل [لك][5] صلاتي كلَّها، قال: «**إذن تُكْفَى هَمَّك ويُغفرُ ذنبُكَ**» أخرجه الحاكم وصححه[6]، وسنده قوي.[7] هـ.

قلت: والذي رأيته في تأليف الجلال السيوطي الذي سماه: «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون» ما نصه: "فائدة: ذكر ابن حَجَلة[8] في «جزء له في الطاعون»[9] الخ".[10] فنسبه لابن حَجَلة لا ابن

(١) ساقط من (ي).

(٢) سماه: بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض (د.ت)، (ص: ٣٣٣).

(٣) الإضافة من الأصل.

(٤) شمس الدين، أبو عبد الله، الشهير بابن خطيب يبرود، ولد سنة ٧٠١هـ. سمع من أبي العباس الحجار، وأخذ الفقه عن العلامة برهان الدين بن الفركاح، ومحيي الدين بن جهبل، والأصول عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني وبرع فيه، وفي العربية، وكانت له معرفة بالأدب، أفتى ودرس في أماكن ببلاد مصر، والشام، وولي القضاء والخطابة بالمدينة النبوية، وحدث بالإجازة عن القاضي سليمان وغيره، وتفقه به جماعة، وكان من أعيان الشافعية، مات بدمشق سنة ٧٧٧هـ. له ترجمة في: شذرات الذهب (٢٥٣/٦)، الدرر الكامنة (٤١١/٣).

(٥) ساقط من (أ).

(٦) المستدرك على الصحيحين (٤٢١/٢- ٥١٣) (٤/ ٣٠٨).

(٧) ينظر: عمدة الراوين (ص: ١١٦). بذل الماعون في فضل الطاعون (ص: ٣٣٣).

(٨) هو: الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة، التلمساني، المعروف بابن أبي حَجَلة، أبي العباس، توفي سنة (٧٧٦هـ). ينظر: هدية العارفين (١١٣/١)، وإيضاح المكنون (٧٨/٢).

(٩) سماه: «الطب المسنون في دفع الطاعون».

(١٠) ينظر: ما رواه الواعون في أخبار الطاعون لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، شرح وتحقيق ودراسة محمد علي البار، دار القلم، دمشق (د.ت)، (ص: ١٦٩).

حجر[1]، والله أعلم.

ثم قال الحطاب رحمه الله [تعالى][2]: "ورأيت بخط بعض أصحابنا الفضلاء مما ينفع للوباء إذا أدْمَن قراءةَ [آيةِ][3] الكرسي في [كل][4] يوم ثمانيَ عشرةَ مرة، ويداوم على ذلك ما دام الوباء، وأنه قد جُرِّب ذلك وصَحَّ". [قال الحطاب][5]: "ومن ذلك حديث الصحيحين: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له...، إلى قدير، مائة مرة كانت [له][6] عِدْلَ عَشْرِ رِقاب**» الحديث. وفيه: «**وكانت له حرزًا من الشيطان الرجيم حتى يمسي**»[7]، والله أعلم". اهـ[8].

قاله وكتبه عبيد ربه تعالى أحمد بن مبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي لطف الله به، آمين[9].

(١) قلت: كلاهما على صواب، فالحطاب نسب الفائدة لابن حجر لأنه نقلها بالواسطة من كتابه: بذل الماعون في فضل الطاعون، أما السيوطي فنسبها لابن حَجَلة لأنه نقلها مباشرة من كتابه: الطب المسنون في دفع الطاعون، أو لأنه لا يريد أن يصرح بالنقل بالواسطة، والله أعلم.

(٢) ساقط من (ت).

(٣) ساقط من (ت).

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (أ) و (ي).

(٦) ساقط من (ت).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، حديث (٦٠٤٠)، ومسلم في: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث (٢٦٩١). ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»

(٨) ينظر: عمدة الراوين (ص: ١١٦- ١١٧).

(٩) في نسخة (ي): وهو في تركة عبد ربه أحمد بن محمد النميشي كان الله له وغفر لوالديه وأشياخه.

أهم المصادر والمراجع

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة، القاهرة، ط: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- بذل الماعون في فضل الطاعون، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، (د.ت).
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تأليف أبي الوليد ابن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تحرير مسألة القبول على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول، لأحمد بن مبارك (ت: ١١٥٦هـ)، حققه الدكتور الحبيب العيادي، ونشر ضمن سلسلة منشورات كلية الآداب بالرباط، رقم: (٤١)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: الأولى ١٩٩٩م.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، لمحمد بن الطيب القادري (ت: ١١٨٧هـ)، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة من علماء المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، نشر على عدة سنوات من عام ١٣٨٧ حتى عام ١٤١٢ هـ.
- ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، لأبي الربيع سليمان الحوات الشفشاوني (ت: ١٢٣١هـ)، حققه وعلق عليه: الأستاذ عبد الحق الحيمر، وزارة الثقافة، المملكة المغربية، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية، شفشاون، مطبعة الحداد يوسف إخوان، سنة ١٩٩٦م.
- الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، لأبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله الحوات الحسني العلمي الشفشاوني (ت: ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، تحقيق: عبد العزيز تيلاني، الناشر: مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني- حمزة بن محمد الطيب الكتاني- محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- شرح ابن ناجي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للعلامة قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي الغروي (ت: ٨٣٧هـ)، مطبوع مع شرح زروق، دار الفكر، ط: ١٤٠٢هـ.
- شرح زروق على متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للعلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت: ٨٩٩هـ)، دار الفكر، ط: ١٤٠٢هـ.
- عمدة الراوين في أحكام الطواعين، للحطاب (ت: ٩٥٤هـ)، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ١٣٤٨د.
- الفتاوى الحديثية، لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي (ت: ٩٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ.
- فهرسة أبي القاسم العميري (ت: ١١٧٨هـ)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، تحت رقم: ١٣٦١ك.

- فهرسة إجازة لأحمد المكّودي (ت: ١١٦٩هـ)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، ضمن مجموع، رقم: ١٠١ح. وقد طبعت ضمن كتاب: أعلام الغرب الإسلامي، لأبي زكرياء محمد صغيري السجلماسي، مطبعة طوب بريس، الرباط، ط: الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- فهرسة أحمد الورزازي (ت: ١١٧٩هـ)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، الكتاب السابع ضمن مجموع، رقم: ٤٥٨٢د.
- الفهرسة الصغرى والكبرى، لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة (ت: ١٢٠٩هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد خيالي، دار ابن حزم، بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- فهرسة عبد المجيد الزبادي (ت: ١١٦٣هـ)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ١٣٦٢ك.
- فهرسة محمد بن الحسن بناني (ت: ١١٩٤هـ)، مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم: ٤٥٨٢د.
- ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، شرح وتحقيق ودراسة محمد علي البار، دار القلم، دمشق (د.ت)
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت: ٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وجماعة، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- المنتقى شرح موطأ مالك، لأبي الوليد الباجي (ت: ٤٩٤هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري (ت: ١١٨٧هـ)، تحقيق: محمد حجي- أحمد التوفيق، نشر وتوزيع: مكتبة الطالب، الرباط، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

رسالة الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ في العَلاقَاتِ المَجَازِيَّةِ

لمحمَّد بن عليٍّ الصَّبَّان الشَّافعيِّ الأزهريّ (ت: ١٢٠٦هـ)

رسالة الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّة في العَلاقَات المَجَازِيَّة لمحمَّد بن عليٍّ الصَّبَّان الشَّافعيّ الأزهريّ (ت: ١٢٠٦هـ)

دراسةً وتحقيقًا

د. مهنَّد عمر رنَّة

سوريا

المقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمدﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

المجازُ ركنٌ أساس في العربيَّة، يستمد معناه الاصطلاحي من معنى الكلمة اللغوي، فيكون باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له أصلا لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

إلاَّ أن دلالة المصطلح اختلفت عند المفسِّرين والبلاغيين، إذ تعني كلمة المجاز عند أبي عبيدة (ت: ٢١٠هـ) في كتابه مجاز القرآن: "الطريقة التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهي التفسير والتأويل وتوجيه الكلام"، بينما نجد المجاز يَرِدُ عند العلماء المتقدمين عَرَضًا في استطراداتهم، أو فصلاً في كتاب، كابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) وابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، ولم يكتمل نضجه إلاَّ على يد عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، الذي أصبح حديثه عن المجاز مسارًا لم يفارقه العلماء وإنما توسَّعوا فيه، كالزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) والرازي (ت: ٦٠٦هـ) والسكاكيُّ (ت: ٦٢٦هـ).

ويقسم المجاز على قسمين: لغويّ وعقلي، فاللغوي نوعان: أحدهما يقوم على المشابهة، يُسمّى "الاستعارة"، والآخر لا يقوم على المشابهة، وإنما يكون لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، وهو ما يُسمَّى "المجاز المرسَل"، وهو موضوع الرِّسالة.

وقد توسَّع العلماء في إيراد هذه العلاقات واختلفوا في عددها، ولعل سبب ذلك يرجع إلى تفصيل بعضهم الأنواع على الاستقلال، بينما أدخل بعضهم الآخر أكثر من علاقة في نوع واحد، وتتبدَّى أهمية هذه الرسالة في أنها تناولت موضوعًا قلَّ من أفرد له بحثًا مستقلاً في مؤلَّف واحد؛ أي شرح العلاقات المجازيَّة، وأن مؤلفها عالج قضايا علاقات المجاز بأسلوب يكشف عن كثير من الإشكاليات، مع ظهور شخصيته في مناقشة آراء العلماء وترجيح بعضها، وردِّ بعضها الآخر.

وقد قسَّمت البحث قسمين:

القسم الأول: جعلته للدراسة، ويضمُّ مباحث ثلاثة:

أولها: نبذة من سيرة المؤلف تحدّثتُ فيه عن:

مولده وطلبِه العلمَ، وآثاره، ووفاته.

والثاني: التعريف بالرسالة؛ تحدّثتُ فيه عن:

توثيق نسبتها إلى مؤلفها، ومحتواها، ومكانتها العلمية، ومصادرها وشواهدها، ومنهج المؤلف فيها.

وثالثها معالم التَّحقيق؛ تحدّثتُ فيه عن:

وصف نسخ الرِّسالة المعتمدة، ومنهج التحقيق.

القسم الثاني: التَّحقيق، ويضمُّ النصَّ المحقّق، وقد راعيت فيه الأصول والقواعد التي أرساها أهل صنعة التَّحقيق.

قسمُ الدّراسة

أولاً.. نبذة من سيرة المؤلف:

مولده وطلبُه العلمَ:

هو الشَّيخ العلاَّمة محمَّد بن علي الصبَّان الشَّافعيُّ الأزهريُّ[1]، وُلد في القاهرة في سنة لا تُعلم تحديدًا؛ إذ لم تنصَّ كُتُبُ التراجم على تاريخ ولادته، ونشأ فقيرًا مُتواكلاً مُستجديًا الخلق مع العفة، وبدأ مسيرة العلم بحفظ القرآن والمتون، واجتهد في طلبِه، وحضر أشياخ عصْرِه وجهابذته في مختلف المجالات، فقدَّر له أن يلتقي بعدد كبير من العلماء، أخذ عنهم وتدرَّج في العلم إلى أن بلغ درجة سامية، قال عنه الجبرتي: "واشتُهر بالتَّحقيق والتَّدقيق والمناظرة والجدل، وشاع ذكرُه وفضلُه بين العلماء بمصر والشام"[2]، وكان من أبرز شيوخه:

- الشيخ محمَّد بن أحمد بن يحيى العشماويُّ (ت: ١١٦٧هـ)[3]: أخذ عنه سنن أبي داود (ت: ٢٧٥هـ)، وسنن الترمذيِّ (ت: ٢٧٩هـ)، و"الشفا" للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ).
- الشيخ حسن بن علي المَدَابغيُّ (ت: ١١٧٠هـ)[4]: قرأ عليه صحيح البخاريِّ (ت: ٢٥٦هـ).
- الشيخ السيد محمَّد بن محمَّد البُليديُّ (ت: ١١٧٦هـ)[5]: قرأ عليه صحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، وتفسير البيضاويِّ (ت: ٧٩١هـ)، و"شرح العقائد النَّسفيَّة" للتَّفتازانيِّ (ت: ٧٩٢هـ)، وشرح علي بن يحيى السَّمرقنديِّ (ت: ٨٦٠هـ) على "رسالة الوضع" للإيجيِّ (ت: ٧٥٦هـ)، وتفسير الجلالين.
- الشيخ أحمد بن عبد الفتاح المَلَويُّ (ت: ١١٨١هـ)[6]: أخذ عنه شرح المكوديِّ (ت: ٨٠٧هـ)

---

(١) تُنظر ترجمته في: عجائب الآثار في التّراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (القاهرة: دار الكتب والوثائق الرسمية، ط١، ١٩٩٨) ٢: ٣٤٧-٣٥٤؛ حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار (دمشق، بيروت: مجمع اللغة العربية، دار صادر، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ٣: ١٣٨٤-١٣٩٣؛ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة وكالة المعارف الجليلة في إستنبول، ١٩٥١) ٢: ٣٤٩؛ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي عبد الكبير الكتاني، اعتناء: حسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٢: ٧٠٥؛ الأعلام، خير الدين الزركلي(بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢) ٦:٢٩٧.

(٢) عجائب الآثار، ١: ٣٤٨.

(٣) يُنظر: المصدر السابق، ١: ٤٩٢-٤٩٥.

(٤) يُنظر: الأعلام، ٢: ٢٠٥.

(٥) يُنظر: عجائب الآثار، ١: ٤٢٠.

(٦) يُنظر: المصدر السابق، ١: ٤٥٥-٤٥٧.

على "الألفيَّة"، وشرح الأزهريِّ (ت: ٩٠٥هـ) على "قواعد الإعراب"، وشرح الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللَّقانيِّ (ت: ١٠٧٨هـ) على منظومة "جوهرة التَّوحيد" لإبراهيم اللَّقانيِّ (ت: ١٠٤١هـ)، وشرحه الصَّغير على "السُّلَّم المُرَونَق في علم المنطق" للأخضريِّ (ت: ٩٤١هـ).

- الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الكريميّ الخالديّ الشَّافعيّ الجوهريّ (ت: ١١٨٢هـ)[١]: قرأ عليه شرحه على "أم البراهين" لمحمَّد بن يوسف السَّنوسيِّ (ت: ٨٩٥هـ).

- الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي (ت: ١١٨٨هـ)[٢]: أخذ عنه متن الجغميني (ت: ٧٤٥هـ) في علم الهيئة، و"المطوَّل" للتَّفتازانيِّ (ت: ٧٩٢هـ)، وشرح الشَّريف الحسينيِّ (ت: ٨٣٨هـ) على "هداية الحكمة" لأثير الدِّين الأبهريِّ (ت: ٦٦٠هـ)، و"شرح التَّصريح على التَّوضيح" للأزهري (ت: ٩٠٥هـ).

آثاره:

ما زال الصبان مجتهدًا في تحصيل العلم حتى تمهَّر في العلوم العقليَّة والنَّقليَّة، فربَّى التلاميذ، واشتهر، وشاع ذكره وفضله بين العلماء، حتى قيل عنه: "الإمام الذي لمعت في أفق الفضل بوارقه، وروَّى أفئدةَ الواردينَ عذبُ شراب عرفانه ورائقُه، لا يدرك بحر وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق، العالم النحرير واللوذعي الشهير"[٣].

صنَّف الصبان تآليف عدة في مختلف العلوم: في الحديث، والنحو، والبلاغة، والعروض، واللغة، والمنطق، ومن أشهر مصنفاته[٤]:

- "إسعاف الراغبين"، في السَّيرة النَّبويَّة.
- أرجوزة في علم العروض مع شرحها.
- إتحاف أهل الإسلام بما يتعلَّق بالمصطفى وأهل بيته الطَّاهرين.
- تقرير على مقدمة "جمع الجوامع".
- حاشية على "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك".
- حاشية على "شرح العصام للرسالة السَّمرقنديَّة".

---

(١) يُنظر: المصدر السابق، ١: ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) يُنظر: عجائب الآثار، ١: ٦١٦-٦٣٦.

(٣) المصدر السابق، ١: ٣٤٧.

(٤) يُنظر: عجائب الآثار، ٢: ٣٤٨؛ حلية البشر، ٣: ١٣٨٦؛ هدية العارفين، ٢: ٣٤٩؛ فهرس الفهارس، ٢: ٧٠٥؛ الأعلام، ٦:٢٩٧

- حاشية على "شرح المَلَويِّ على السُّلَّم في المنطق".
- حاشية على السَّعد في المعاني والبديع.
- رسالة في "مفعل".
- رسالة في الاستعارات.
- رسالة في علم البيان.
- رسالة في علم الهيئة.
- رسالتان في شرح البسملة.
- الكافية الشَّافية في علمي العروض والقافية، وشرحها.
- مثلثات في اللغة.
- منظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم.
- منظومة في علم الحديث.

وفاته:

أجمعت كتب التراجم على أنه توفي في القاهرة ليلة الثلاثاء، الأول من شهر جمادى الأولى، سنة ست بعد المئة الثانية عشرة (ت: ١٢٠٦هـ)، بعد وعكة بالسعال وقصبة بالرئة، وقيل إنه مات بداء السل، وصُلي عليه في الأزهر الشريف في مشهد حافل مهيب[١].

ثانيًا.. التَّعريف بالرِّسالة:

توثيق نسبتها إلى مؤلفها:

لم تُشر المصادر إلى نسبة هذه الرِّسالة إلى الصبَّان، لكن ليس ثمة ما يوجب الشكَّ في أن هذه الرسالة من تأليفه؛ لنسبتها إليه في فهرس مخطوطات المكتبة الأزهريَّة (٤٢٨/٤)، وظهور هذه النسبة على طرة النُّسختين المعتمدتين في التَّحقيق، كما يؤيِّد ذلك ما نصَّ عليه المؤلِّف في مقدمتها من ذكر اسمه بقوله: "وَبَعْد: فَيَقُولُ العَبْدُ الفَقِيْرُ إلى اللهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ الصَّبَّانُ الشَّافِعِيُّ الأزَهْرِيُّ".

(١) يُنظر: عجائب الآثار، ٢: ٣٥٤؛ حلية البشر، ٣: ١٣٩٣؛ هدية العارفين، ٢: ٣٤٩؛ فهرس الفهارس، ٢: ٧٠٥؛ الأعلام،٦:٢٩٧.

محتواها:

الرِّسالة منظومة في العلاقات المجازية مع شرحها، وقد أشار الصبَّان إلى ذلك في مقدمتها؛ قال: "هَذِهِ رِسَالَةٌ لَطِيفَةٌ، جَلِيْلَةٌ شَرِيْفَةٌ، يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا النَّبِيْهُ، وَيَقْضِي الحَاذِقُ بِأَنْ لَيْسَ لَهَا في بَابِهَا شَبِيْهٌ، تَتَضَمَّنُ تَحْقِيْقَ العَلَاقَاتِ، مَع ضَمِّ فَوَائِدَ ونُكَاتٍ، وَسَمَّيتُهَا الكَوَاكِبَ الدُّرِّيَّةَ في العَلَاقَاتِ المَجَازِيَّةِ".

وقد بنى رسالته على مقدِّمة وثلاثة أبواب وخاتمة:

أمَّا المقدمة فقد بيَّن فيها معنى العلاقة لغةً واصطلاحًا، وشرح شروطها.

وأمَّا الباب الأول فجعله لعلاقة الاستعارة، والباب الثَّاني لمنظومته في علاقات المجاز المرسل، ثم فصَّل في شرحها وبيانها، وخصَّص الباب الثالث للحديث عن مجاز الحذف والزيادة.

أمَّا الخاتمة فخصَّصها للحديث عن زيادة الكاف.

مكانتها العلميَّة:

تتجَّلى أهمية هذه الرِّسالة في أنها تناولت موضوعًا قلَّ من أفرد له بحثًا مستقلاً في مؤلَّف واحد؛ أي شرح العلاقات المجازية، فقد تناوله:

- الشيخ أحمد السَّجاعي (ت: ١١٧١هـ) في كتابه "الإعواز في بيان علاقات المجاز".
- الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري (ت: ١١٩٢هـ) في كتابه "الحذاقة في أنواع العلاقة".
- عبد الله بن مصطفى بن جرجيس الفيضي الموصلي (ت: ١٣٠٩هـ) في كتابه "المرقاة في شرح العلاقات".

ويزيد من مكانتها العلميَّة معالجة الصبَّان قضايا علاقات المجاز بأسلوب يكشف عن كثير من الإشكاليات، مع ظهور شخصيته في مناقشة آراء العلماء وترجيح بعضها، وردِّ بعضها الآخر، ويظهر ذلك في:

مناقشته علاقة المشاكلة؛ قال: "اخْتَلَفُوا في المُشَاكَلَةِ، أي ذِكرِ الشَّيءِ بِلَفظِ غَيرِهِ لِوقُوعِهِ في صُحبَتِهِ، كَقولِهِ تَعَالَى:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، وَقَولِهِ:﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾... الآيةُ؛ هَل هِي مِن الاستِعَارَةِ، أو مِن المَجَازِ المُرسَلِ، أو لاَ حَقِيقَةَ وَلَا مَجَازَ...؟ فَالتَّحقِيقُ أنَّها مَجَازٌ مُرسَلٌ عَلَاقَتُهَا المُجَاوَرَةُ في الذِّكرِ كَمَا تَقَدَّمَ".

وردِّه ما قاله بعضهم عن علاقة المشابهة في الشكل؛ قال: "وَالأُصُولِيُّونَ يُسَمُّونَ هَذَا مَجَازًا بِالشَّكْلِ، وَأمَّا البَيَانِيُّونَ فَيُسَمُّونَهُ أيْضًا اسْتِعَارَةً... فَمَا وَقَعَ في بَعْضِ الكُتُبِ مِنْ أنَّ المُشَابَهَةَ في الشَّكْلِ مِنْ عَلَاقَاتِ المَجَازِ المُرْسَلِ خَطَأٌ".

وعن علاقة النكرة في الإثبات؛ قال: "فَمَا وَقَعَ في بَعْضِ الكُتُبِ مِن عَدِّهَا عَلَاقَةً؛ لاَ يَخْفَى مَا فيهِ

على مَنْ عَرَفَ مَعْنَى العَلَاقَةِ، فَتَفَطَّنْ".

وعن الزيادة والنقصان؛ قال: "ضَابِطُ هَذَا المَجَازِ أن يُلَاحَظَ الحَذفُ، وَتُلَاحَظَ الزِّيَادَةُ، وَتُستَعمَلَ الأَلفَاظُ في مَوضُوعِها، وَقَد عَلِمْتَ مِن ذَلِك أنَّ تَعبِيرَهَم بِالعَلَاقَةِ بِالنِّسبَةِ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقصِ في نَحو قَولِهم: لَا أُقسِمُ؛ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الزِّيَادَةُ مَثَلاً تَسمُّحٌ، لأَنَّ العَلَاقَةَ التي هِي مُنَاسَبَةٌ بَينَ الأَصلِيِّ وَالفَرعِيِّ لاَ تَصدُقُ عَلَيهِ، فَإنَّ اللفظَ لَم يَخْرُج عَن مَوضُوعِهِ بِاستِعمَالِهِ في غَيرِهِ، فَافهَم، وَاللهُ أعْلَمُ".

مصادرها وشواهدها:

استقى الصبان مادَّته من مصادر مختلفة يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

- المصادر البلاغية: "مفتاح العلوم" للسّكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، و"الإيضاح في علوم البلاغة" و"التّلخيص في علم البلاغة" للقزوينيّ (ت: ٧٣٩هـ)، و"المطوَّل" للتّفتازانيّ، وحاشية البهوتيّ (ت: ١٠٨٨هـ) على شرح العصام الإسفراينيّ (ت: ٩٥١هـ) على "السّمرقنديّة".

- المصادر الأصولية: حاشية زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ) على شرح الإمام المحلي (ت: ٨٦٤هـ) على "جمع الجوامع" (ت: ٩٢٦هـ)، و"الآيات البينات على شرح جمع الجوامع" لابن قاسم العبادي (ت: ٩٩٤هـ).

- مصادر التفسير: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي.

- المصادر اللغوية: "الصحاح" للجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، و"أساس البلاغة" للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، و"القاموس المحيط" للفيروز أبادي (ت: ٨١٧هـ).

أما شواهده فقد استشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر، وقد بلغت شواهده القرآنية ٢٨ آية قرآنية، أما الحديث فقد استشهد به في موضعين، وكذا الشعر أورد من شاهدين.

منهج المؤلف فيها:

اتّسم منهج الصّبّان بالتّدقيق والتّحقيق والتّنبيه، وشرح ما يمكن أن يغمض من علاقات المجاز المرسل، أو من أقوال العلماء، ذاكرًا اختلافهم، ومبرزًا رأيه وشخصيته، ومنبِّهًا على مواطن النّكات في العلاقات، ولتحقيق ذلك لجأ إلى أكثر من طريقة في تناوله موضوعات الرِّسالة، منها:

أسلوب التَّوسّع والاستطراد:

نزع الصّبّان إلى التّوسع في عدد من المواضع في رسالته، كأن يُحتاج إلى فضل بيان وإيضاح؛ فينبه على بعض النّكات ويشرح ما قد يغمض من كلام العلماء، ومن ذلك قوله على الجامع بين الأسد والرجل الشجاع في علاقة الاستعارة: "فِي كَوْنِ الجَامِعِ بَيْنَ الأَسَدِ وَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ هُوَ الشَّجَاعَةَ؛ مُسَامَحَةٌ، إذ الشَّجَاعَةُ مَلَكَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ تَقْتَضِي الإقْدَامَ على المَخَاوِفِ، والمَلَكَاتُ خَاصَّةٌ بِالنَّوعِ الإنْسَانِيِّ، فَاللَائِقُ أنْ يُجْعَلَ الجَامِعُ هُوَ نَفْسَ الإقْدَامِ، وَاللهُ أعْلَمُ".

وقوله على علاقة الحاليّة: "مِثَالُهَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يَعْنِي جَنَةَ اللهِ، فَأَطْلَقَ الحَالَّ، وَهُو الرَّحْمَةُ؛ على المَحَلِّ، وَهُو الجَنَّةُ، لَكَنَّ كَوْنَهَا مَحَلاً لِلرَّحْمَةِ هُو بِوَاسِطَةِ آثَارِهَا، وَذَلِكَ إذا تَجَوَّزْنَا بِالرَّحْمَةِ سَوَاءٌ أَكَانَتْ بِمَعْنَى إرَادَةِ الإحْسَانِ، أو الإحْسَانِ لِأَثَرِهَا وَهُو المُنْعَمُ بِه، مِنْ إطْلَاقِ اللَازِمِ وَإرَادِةِ المَلْزُومِ، ثُمَّ تَجَوَّزْنَا بِالمُنْعَمِ بِه إلى مَحَلِّهِ وَهُو الجَنَّةُ مِنْ إطْلَاقِ الحَالِّ وَإرَادَةِ المَحَلِّ، فَيَكُونُ في الكَلَامِ مَجَازٌ على مَجَازٍ، فَافْهَمْ".

وكأن يُضطرّ إلى ذكر الخلاف في مسألة ما، من مثل ذكره اختلافهم في كثرة العلاقات لنوع واحد من المجاز: "اعْلَمْ أوَّلاً - أيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى - أنَّهُم اخْتَلَفُوا؛ هَلْ تُلَاحَظُ وَتُعْتَبَرُ علَاقَةُ المُرْسَلِ مِن جِهَةِ المَعْنَى الأصْلِيِّ، فَيُقَالُ في نَحْو: رَعْينَا غَيْثًا: العلَاقَةُ السَّبَبِيَّة، أو مِن جِهَةِ الفرعِيِّ، فَيُقَالُ: المُسَبَّبِيَّة، أو مِن جِهَتِهِمَا، فَيُقَالُ: السَّبَبِيَّة وَالمُسَبَّبِيَّة؟ وَالمَشْهُورُ هُوَ الأوَّلُ، فَإنَّهُم يُمْثِّلُونَ لِعلَاقَةِ السَّبِيَّةِ بِنَحْو: رَعِيْنَا غَيْثًا، وَللمُسبَّبِيَّةِ بِنَحْو: أمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا... إلخ، وَهُوَ الَّذِيْ نَمْشِي عَلِيْهِ".

- **أسلوب الفنقلة:**

هذا الأسلوب مُشتَهر في المُصنَّفات التي تتصل بالجدل والمناظرة على اختلافها، ويعسر تحديد بداية ظهوره في علوم الملة الإسلامية، ويُستعمل لتفصيل الحجة وإثباتها في أثناء الرد على اعتراض مُفترَض أو شُبهة متوقَّعة، ويكثر استخدامه في مختلف المصنفات على مرّ العصور، ولا سيما في صيغ السؤال والجواب، وردِّ المخالفات؛ إذ إنه يساعد في تسهيل استيعاب العلوم المختلفة وفهمها؛ لأنّ الحوار والمناقشة يجذبان انتباه السّامع أو القارئ إلى الموضوع المراد إلقاؤه أو تدريسه، وقد أفاد الصبان من هذا الأسلوب في عرض إشكاليات علاقات المجاز المرسل، ومن أمثلته:

قوله في مجاز الحذف: "فَإنْ قُلْتَ: هَلْ يَصِحُّ أنْ يَكُونَ تجوُّزُ: رَعَيْنَا غَيْثًا؛ مَجَازًا بِالحَذْفِ؟ قُلْتُ: نَعَم، يَصِحُّ بجعل أنَّ المَعْنَى: رَعَيْنَا مسَبَّبَ غَيْث، فَيَكُونُ هَذَا التَّقْدِيْرُ مَلْحُوظًا، وَالغَيْثُ مُسْتَعْمَلٌ فيمَا وُضِعَ لَهُ؛ لاَ تَجَوُّزَ فيه، نَعَم، صَرَّحُوا بِأنَّ المَجَازَ المُتَعَارَفَ أوْلَى مِنَ المَجَازِ بِالحَذْفِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَجْرِي في غَيْرِ أمْثِلَةِ السَّبَبِيَّةِ مِمَّا يَصْلُحُ أنْ يَكُونَ مِنْ مَجَازِ الحَذْفِ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِيْنَ".

وقوله في علاقة الكلية: "فَإنْ قُلْتَ: مَع جَعْلِ المُرَادِ بِالأَصَابِعِ الأَنَامِلَ لاَ يَنْفَكُّ الإشْكَالُ بِالمَرَّةِ؛ إذِ الأَنَامِلُ جمْعٌ مُضَافٌ، فَيَعُمُّ كُلَّ الأُنْمِلَةِ، وَذَلِكَ لاَ يُمْكِنُ أيْضًا؛ قُلْتُ: أُجِيْبَ بَأَنَّ أصَابِعَهُم وَأَنَامِلَهُم مِن بَابِ مُقَابَلَةِ الجَمْعِ بِالجَمْعِ، نَحْو: رَكِبَ القَوْمُ دَوَابَّهُم، وَالمَعْنَى: يَجْعَلُ كُلٌّ مُنْهُم إصْبَعَهُ - أيْ أُنْمُلَتَهُ - في أُذُنِهِ، فَتَفَطَّنْ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ".

ثالثًا.. معالم التَّحقيق:

وصفُ نُسَخِ الرِّسالة التي اعتمدتها في التَّحقيق:

ـ نسخة المكتبة الأزهريَّة في القاهرة، رقمها /١٧٢٠ زكي ٤٠٩٧٨ بلاغة/ وتقع في سبع ورقات ضمن مجموعة في مجلد بلغ عدد أوراقه /١٨٧/، تبدأ الرِّسالة بصفحة العنوان، وفيها: "الكواكب الدُّريَّة في العلاقات المجَازِيَّة، للشَّيخ محمد الصبَّان"، وتضمُّ كلُّ ورقة صفحتين؛ وكلُّ صفحة تقع في ثلاثة وعشرين سطرًا، وقد كُتبت عنواناتها ملونةً باللون الأحمر، وأشار ناسخها إلى أنَّ المؤلِّف أنهى "رَقْمَها يَومَ الثُّلاثاءِ المباركِ لثِمانِي ليالٍ بقينَ مِن محرَّمِ الحَرَامِ، سَنَةَ سِتٍ وَسِتِّينِ وَمِئَةٍ وَأَلفٍ (ت: ١١٦٦ه)"، وَكَانَ فرَاغُ الناسخ من كتابتها "لَيلَةَ الجُمُعَةِ غرَّة شَهرِ ذِي الحِجةِ مِن شُهُورِ سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَة وَألفٍ مِن الهِجرَةِ (ت: ١١٨٣هـ)"، وقد اتخذتها أصلاً ورمزتُ لها بالرمز (أ).

ـ نسخة المكتبة الأزهريَّة في القاهرة، رقمها /٢٣٧٦ / ٥٦٩٦٧ بلاغة / حسين/ وتقع في إحدى عشرة ورقة، تبدأ الرِّسالةُ بصفحة العنوان، وفيها: "هَذِهِ رِسَالَةٌ تسُمَّى الكَواكِبُ الدُّريَّةُ في العَلَاقَاتِ المجَازِيَّةِ، للإمَامِ العَالِمِ العَلَّامَةِ الحِبرِ البَحرِ الفَهَّامَةِ الملقَّبِ بِأبي العرفَانِ سَيدِي مُحمَّد الصبَّان، نَفَعَنَا اللهُ بِعُلُومِهِ وَالمُسلِمِينَ، آمِين، وَالحَمدُ للهِ ربِّ العَالمَين وَصَلَّى اللهُ على سَيدِنَا مُحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم مَا طَلَعَ بَدرٌ وَتَم"، وتضمُّ كلُّ ورقة صفحتين؛ وكلُّ صفحة تقع في تسعة عشر سطرًا، وقد كُتبت عنواناتها ملونةً باللون الأحمر، وأشار ناسخُها محمد بن أحمد بن حسنين البولاقي الشافعي إلى أنَّ المؤلِّف أنهى "رَقْمَها يَومَ الثُّلاثاءِ المباركِ لثِمانِي ليالٍ بقَينَ مِن محرَّمِ الحَرَامِ، سَنَةَ سِتٍ وَسِتِّينِ وَمِئَةٍ وَأَلفٍ (ت: ١١٦٦هـ)"،وكان فراغه من كتابتها "يوم السَّبتِ المُبَارَكِ لتسعةِ أيَامٍ خَلتْ مِن شهرِ رَبيعٍ الثَّاني سَنَةَ ألفٍ ومئتينِ وَأربعةٍ وثَمَانينَ مِن الهِجرةَ (ت: ١١٨٤هـ)"، وقد رمزتُ لها بالرمز (ب).

منهج التَّحقيق:

لمّا كانت الغاية من تحقيق أي مخطوط إخراجه إخراجًا علميًّا سليمًا، بذلتُ ما أمكنني من جهد في سبيل هذه الغاية، ولم يكن منهجي بدعًا على الأصول والقواعد التي أرساها أهل صنعة التَّحقيق، فاتّبعتُ الخطوات الآتية:

- بعد أن نسختُ المخطوط، عملتُ على ضبطه بعلامات الإعراب.
- قارنتُ النّسختين بعضها مع بعض، وأثبتُّ الاختلافات في الحواشي، على أنه لم يكن ثمة تباين ظاهر بينهما لقُرب تاريخ نسخهما.
- أثبتُّ أرقام صفحات النّسخة المعتمدة في درج كلام المؤلف.
- خرَّجتُ الشواهد ومواضع التمثيل من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والشعر.

- وثَّقتُ آراء العلماء وأقوالهم من مظانها الأصلية إن لم ينصَّ على أسمائهم، وإن نصَّ على أسمائهم تتبَّعتُها في مؤلفاتهم ما أمكن، وإن لم أعثر عليها ففي المؤلفات القريبة منها.

- علّقتُ في الحواشي على ما غمض من كلام الصبَّان، وحاولتُ ما أمكن شرح القضايا التي ناقشها.

- عرَّفتُ في إيجاز بالأعلام التي صرَّح الصبَّان بأسمائها، متقصّيًا في ذلك جمعًا من كُتُب التراجم.

الورقة الأولى من النسخة (أ)

الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

الورقة الأولى من النسخة (ب)

الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

قسمُ التَّحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ على آلآئِهِ، والسَّلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ أصْفِيَائِهِ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِيْهِ وَحِزْبِهِ، وَبَعْدُ:

فَيَقُولُ العَبْدُ الفَقِيْرُ إلى اللهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ الصَّبَّانُ الشَّافِعِيُّ الأزْهَرِيُّ، نَضَّرَ اللهُ غرَّةَ أحْوَالِهِ، وَخَضَّرَ أوْرَاقَ أغْصَانِ آلِهِ:

هَذِهِ رِسَالَةٌ لَطِيْفَةٌ، جَلِيْلَةٌ شَرِيْفَةٌ، يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا النَّبِيْهُ، وَيَقْضِي الحَاذِقُ بِأنْ لَيْسَ لَهَا في بَابِهَا شَبِيْهٌ، تَتَضَمَّنُ تَحْقِيْقَ العَلَاقَاتِ، مَع ضَمِّ فَوَائِدَ ونُكَاتٍ، وَسَمَّيتُهَا "الكَوَاكِبَ الدُّرِّيَّةَ في العَلَاقَاتِ المَجَازِيَّةِ"[1]، وَهو حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيْلُ، وَأسْأَلُهُ السَّتْرَ الجَمِيلَ.

---

(١) المجازُ ركنٌ أساسي في العربيَّة وليس عارضًا فيها، قال ابن رشيق: "العرب كثيرًا ما تستعمل المجاز وتعدّه من مفاخر كلامها، فإنّه دليل الفصاحة ورأس البلاغة وبها بانت لغتها عن سائر اللغات"، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ١: ٢٦٥.

والمعنى الاصطلاحيّ للمجاز مستمد من المعنى اللغويّ للكلمة؛ قال ابن منظور: "جُزْتُ الطَّرِيق وجَازَ المَوْضِعَ جَوْازًا: سار فيه وسلكه... وجَاوَزْتُ المَوْضعَ جوازًا بمعنى: جُزْتُهُ، والمَجاز والمَجازة: الموضع، والمَجاز والقطع يتضمّنان معنى الانتقال"، لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم،تحقيق: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت) مادة (جوز).

وقال الجرجانيّ في حدِّ (المجاز): "فكلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وُضعت له في وَضْع واضعها، لملاحظةٍ بين الثاني والأوّل، فهي مجاز"، أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة؛ جدة: مطبعة المدني؛ دار المدني، د.ط، د.ت)، ٣٥١.

فلمَّا كان استعمال اللفظ في غير معناه الأصليّ شبيهًا بالانتقال من موضع إلى آخر فلا جَرَمَ أن سُمِّي "مجازًا".

ويقسم المجاز على قسمين: لغويّ هو نوعان: أحدهما يقوم على المشابهة، يُسمّى "الاستعارة"، وقد أفرد له الصبان بابًا في رسالته، والآخر لا يقوم على المشابهة، وإنما يكون لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه، وهو ما يُسمّى "المجاز المرسَل"، وهو موضوع الرِّسالة، ومجاز عقليّ هو الذي يعتمد على (الإسناد)، وهو ما يحدث في الجمل.

ويُنظر: مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ٤٧١؛ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني (القاهرة: مطبعة المقتطف، د.ط، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ١: ٦٣.

مُقَدِّمَةٌ

قَالَ في "القَامُوسِ": "العَلاَقَةُ، بالفَتْحِ، ويُكْسَرُ: الحُبُّ اللازِمُ لِلقَلْبِ، أو بِالفَتْحِ: في المَحَبَّةِ وَنَحْوِهَا، وَبِالكَسْرِ: في السَّوْطِ وَنَحْوِه"[1]، وَاقْتَصَرَ في "الصِّحَاحِ" على الثَّانِي[2]، وَالذِي في "الأَسَاسِ" عَكْسُ الثَّانِي[3]، وَفِي الاصْطِلاَحِ: مُنَاسَبَةٌ بَيْنَ المَعْنَى الأَصْلِيِّ وَالفرْعيِّ[4].

وَتَلخَّصَ مِن كَلَامِ اللُّغويِّينَ بالتَّصيُّدِ مِنهُ:

أنَّه يَجُوزُ في لَفْظِ "العَلاَقَةِ" سَوَاء كَانَتْ في المَعَانِي، كالمَحَبَّةِ، وَكَالَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا، أو في المَحْسُوسَاتِ، كالسَّوْطِ؛ الفَتْحُ وَالكَسْرُ.

وَأنَّهُ:

على القَوْلِ الأوَّلِ في "القَامُوسِ" يَكُونُ بَيْنَ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ والاصطِلَاحِيِّ التَّبَايُنُ، فَيَكُونُ استَعْمَالُ العَلَاقَةِ في غَيرِ الحُبِّ على سَبِيْلِ المَجَازِ أو الحَقِيْقَةِ العُرْفِيَّةِ[5].

---

(١) القاموس المحيطوالقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط،محمد بن يعقوب الفيروز آباديّ (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٧٩، نسخة مصوَّرة عن الطَّبعة الثَّالثة للمطبعة الأميريَّة سنة ١١٣١ه) مادة (علق).

(٢) قال الجوهري: "والعِلاقةُ بالكسرِ: عِلاقَةُ القوس والسَّوط ونحوهما. والعَلاقَةُ بالفتح: عَلاقَةُ الخُصومةِ، وعَلاقَةُ الحبِّ". تاج اللغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل بن حماد الجوهري،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م) مادة (علق).

(٣) قال الزمخشري: "ويقال: نظرةٌ من ذي عَلَق، أي من ذي عَلاقة، وهي الهوى... وأعلقتُ المصحفَ: جعلت له عَلاقة يعلَّق بها، ولفلان في هذا الأمر عُلْقة وعَلاقة. وما نفعه بعلاقة سوط". أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري،تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٨م) مادة (علق).

(٤) قال الإيجيُّ في تعريف العلاقة: "وَهي اتصالُ مَا للمعنى المستعملِ فيه بالمعنى الموضوعِ لَه"، وعلَّق التَّفتازانيُّ على هذا التَّعريف بقوله: "قولُه (وهي اتصال ما) أي العلاقة تعلق ما للمعنى المجازيِّ بالمعنى الحقيقيِّ أعم من أن يكون اتصالاً وانضمامًا بين الذاتين".شرح مختصر المنتهى الأصولي، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي[عليه حاشية التفتازاني]،تحقيق: محمد إسماعيل (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٢٤ه/٢٠٠٤م) ١: ٥١٧.

(٥) قسَّم العلماءُ الحقيقةَ أقسامًا ثلاثة: لغويَّة، وشرعيَّة، وعرفيَّة، فاللغوية ما وضعها واضع اللغة ودلَّت على معانٍ مصطلَحٍ عليها في تلك المواضعة، والشَّرعيَّة اللفظة التي يستفاد من جهة الشَّرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلُّ عليه في أصل وضعها اللغويِّ، والعرفيَّة التي نقلت من مسمَّاها اللغويِّ إلى غيره بعرف الاستعمال، وقد يكون عامًّا أو خاصًّا.

قال الزَّركشي: "لأنَّ الحقيقة لا بدَّ لها من وضع، والوضع لا بدَّ له من واضع، فواضعها إن كان واضع اللغة فلغويَّة كالأسد للحيوان المفترس، أو الشَّرع فشرعيَّة كالصَّلاة للعبادة المخصوصة، أو العرف المتعين أو المطلق فعرفيَّة، فالعرفيَّة المطلقة كالدَّابة لذوات الأربع، والخاصّ كاصطلاح النّحاة والأصوليين. ووجه الحصر أنّ اللفظ إن كان موضوعًا في أصل اللغة لمعنى واستمر من غير طروء ناسخ عليه فهو الحقيقة اللغويَّة، وإن طرأ عليه ناسخ نقله إلى اصطلاح آخر، فإن كان النّاقل الشّرع فهي الشّرعيَّة، أو العرف فهي العرفيَّة، فثبت أنّ اللغويَّة أصل الكل". تشنيف المسامع بجمع الجوامع، محمد بن بهادر الزركشي،تحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع (القاهرة: مكتبة قرطبة، د. ط، د.ت) ١: ٤٣٨.

وَعلى الأخِيْرَيْنِ يَكُونُ الاصطِلَاحِيُّ دَاخِلاً في نَحْو المَحَبَّةِ؛ قَالَهُ البهوتِيُّ[1] وَغَيرُهُ.

وَإنَّمَا سُمِّيَتِ العلَاقَةُ "علَاقَةً" لأنَّ بِهَا يَتَعَلَّقُ [وَيَرْتَبِطُ][2] المَعْنَى الأَصلِيُّ بِالفرْعِيِّ[3]، فَيَنْتَقِلُ الذِّهْنُ بِهَا مِن الأَصلِيِّ لِلفرعِيِّ[4].

وَلَهَا شُرُوطٌ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا [السَّماعُ][5] في نَوعِ العلَاقَةِ[6]، فَلَيْسَ لَنَا أنْ نَتَجَوَّزَ بِنَوعٍ مِن العَلَاقَاتِ - كَالسَّبَبِيَّةِ - إلَّا إذَا سُمِعَ

ويُنظر: الطراز، ١: ٥١؛ الإيضاح في علوم البلاغة،محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م) ٢٠٤؛ المطوَّل، مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م) ٥٧٤.

(١) محمد بن أحمد بن علي البُهُوتِيّ القاهريّ، المشهور بالخَلْوَتِيّ، ولد في مِصر وبها نشأ، ولازم خاله العلامة منصور البهوتيّ (١٠٥١ه)، وجلس للإقراء بعده فانتفع به الحنابلة بخاصة، من مؤلفاته: حاشية الإقناع، وحاشية المنتهى، وحاشية على شرح الأُشْمُونِي للألفية، وحاشية على شرح عصام الدّين على السّمرقنديّة، توفي سنة (١٠٨٨ه).

تُنظر ترجمته في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي (القاهرة: المطبعة الوهيبة، د.ط، ١٢٨٤ه) ٣: ٣٩٠؛ معجم مصنفات الحنابلة، عبد الله الطّريفي، (الرياض: د.ن، ط١، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م) ٥: ٢٤٤.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) قال الآمديّ: "ونعني بالتَّعلُّق بين محلِّ الحقيقة والمجاز أن يكون محلُّ التَّجوُّز مُشابهًا لمحلِّ الحقيقة في شَكْلِهِ وصورته".الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي (الرياض: دار الصميعي، ط١، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م) ١: ٤٨.

(٤) قال الزَّركشيّ: "شَرَطَ قَومٌ في العلاقة أن تكون ذهنية؛ أي أن يكون المعنى المُتجوَّز يتبادر له الفهم عند سماع اللفظ... والصحيح خلافه؛ لأن أكثر المجازات المعتبرة عارية عن اللزوم الذهني".البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، عمر سليمان الأشقر (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤١٣ه/١٩٩٢م) ٢: ١٩٦.

(٥) قال التَّفتازانيّ: "لأنَّ العلاقة يجب أن تكون ممَّا اعتبرت العربُ نوعَها، ولا يشترط النَّقل عنهم في كل جزئي من الجزئيات؛ لأنَّ أئمة الأدب كانوا يتوقفون في الإطلاق المجازيِّ على أن ينقل من العرب نوع العلاقة، ولم يتوقفوا على أن يسمع آحادها وجزئياتها، مثلاً يجب أن يثبت أن العرب يطلقون اسم السَّبب على المسبَّب، ولا يجب أن يسمع إطلاق الغيث على النبات، وهذا معنى قولهم: المجاز موضوع بالوضع النوعيَّ لا بالوضع الشَّخصيِّ". المطوَّل، ٥٧٦.

وقال الزَّركشيّ: "وأمَّا العلاقة فلا بدَّ في التَّجوُّز من العلاقة بين المعنى الحقيقيِّ والمجازيِّ، ولا يكفي مجرد الاشتراك في أمر ما، وإلا لجاز إطلاق كل شيء على ما عداه، فجنس العلاقة شرط بالإجماع، وشخصها ليس بشرط بالإجماع، فإذا رأيناهم أطلقوا الشُّجاع على رجل لم يحتج إطلاقهم بالنِّسبة إلى آخر، ومحلُّ الخلاف إنَّما هو في الأنواع، أي إذا علمنا أنهم أطلقوا اسم اللازم على الملزوم يكفينا هذا في إطلاق كل لازم على ملزومه، أو لا بدَّ في كلِّ صورة من جزئيات إطلاق اللوازم على الملزومات من السَّماع عنهم في ذلك اللازم بعينه والملزوم بعينه". البحر المحيط، ٢: ١٩٢.

(٦) في (أ): "السمع".

مِن العَرَبِ صُوْرَةٌ مِنْهُ، وَقِيْل: يُشْتَرَطُ سَمَاعُ خُصُوصِ اللَّفْظِ أيضًا، فَلَا يُتَجَوَّزُ في كَلَمَةٍ إلَّا إذَا سُمِعَ مِن العَرَبِ التَّجْوِيزُ فيهَا؛ وَالأوَّلُ هُوَ الصَّحِيْحُ[1].

ثَانِيهَا - وَهُوَ خَاصٌّ بِعلَاقَةِ الاستِعَارَةِ الَّتي هِي المُشَابَهَةُ - ظُهُورُ الصِّفَةِ الَّتي وَقَعتْ فيهَا المُشَابَهَةُ، فَلا تَصِحُّ استِعَارَةُ الأَسَدِ للرَّجُلِ الأَبْخَرِ[2] بِخَلافِهَا للرَّجُلِ الشُّجَاعِ؛ لِظُهُورِ الشَّجَاعَةِ [فِي الأَسَدِ][3] دُونَ البَخَرِ[4].

ثَالِثُهَا مُلاَحَظَتُهَا حتَّى إذَا كَانَتْ علَاقَةٌ في الكَلِمَةِ لَكنْ لَم تُلاَحَظْ؛ فَإنَّه يَكُونُ غَلَطًا[5]، وَاللهُ أعْلَمُ.

---

(١) لا يشترط ابن الحاجب اعتبار العلاقة عند العرب، بل يكفي وجودها؛ لأنَّ أهل العربية لا يتوقفون على ذلك، بل يستعملون مجازات متجددة لم تُسمع من أهل اللغة ولا يُخطِّئون صاحبها، واختار الرازيّ أنه يشْتَرط؛ إذ قيَّد المجاز، والعلاقة بالوضع والاستعمال والاعتبار.

يُنظر:منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، ابن الحاجب عثمان بن عمرو(بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م) ٢٤؛المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت) ١: ٣٢٩.

وقال السُّبكيُّ: "يُعرف المجازُ بعدم اطِّراده، فإنك تقول: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾[يوسف ٨٢]، ولا تقول: واسأل البساط، وإن وُجد فيه المعنى المقتضي للتجوُّز في: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾، وهذا يشهد لمن يقول: المجاز يحتاج إلى النقل، وإلا فلِمَ لا يطَّرد والمعنى قائم، ولا عكس لهذه العلامات، فلا يكون الاطراد دليل الحقيقة؛ إذ قد يوجد مجاز مطَّرد؛ كالأسد للشجاع... ووضح أن عدم الاطراد إنما يكون دليلاً على المجاز إذا عُلم أنه مجاز". رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمد معوّض، أحمد عادل عبد الموجود (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٩م) ١: ٣٨٠.

(٢) قال الفيروز أبادي: "البَخْرُ: فِعْلُ البُخارِ، بَخَرَتِ القِدْرُ، كمَنَعَ، وبالتَّحريكِ: النَّتْنُ في الفَمِ وغيرِهِ، بَخِرَ، كفَرِحَ، فهو أبْخَرُ".القاموس المحيط، مادة (بخر).

(٣) في (ب): "للأسد".

(٤) قال الحسيني: "اعلم أن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت، ولا يجوز تعدّيها إلّا بتوقيف وإذن من جهة اللغة، وقد زعم فريق أنه يجوز تعدّيها عن أماكنها التي وردت فيها إلى غيرها، والحجّة على ما قلناه هو أن المجازات واردة على خلاف الأصل والاستعمال، فيجب قصرها على الأماكن التي وردت فيها من غير تعدية". الطراز، ١: ٨٦.

(٥) قال الجرجانيّ: "ثُمَّ اعلمْ بَعْدُ أنَّ في إطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن أصله شرطًا، وهو أنْ يقع نَقْلُه على وجهٍ لا يَعْرَى معه من ملاحظة الأصل، ومعنى الملاحظة أنَّ الاسم يقع لما تقول إنَّه مجاز فيه، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقةً فيه". أسرار البلاغة،٣٩٥.

بَابُ [عَلَاقَةِ الاسْتِعَارَةِ][1]

اعلَمْ أنَّ لَهَا عَلَاقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ المُشَابَهَةُ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ كَانَتْ في مَعْنَى أو شَكْلِ الأوَّلِ، كَالأسَدِ في الرَّجُلِ الشُّجَاعِ؛ فَإنَّ المُشَابَهَةَ هُنَا في مَعْنَى وَهُوَ الشَّجَاعَةُ، وَالثَّاني كَالفَرَسِ [لِصُورَتِهِ][3] المَنْقُوشَةِ في حَائِطٍ مَثَلاً، فَالمُشَابَهَةُ هُنَا إنَّمَا هِيَ بِالشَّكْلِ[4]، وَالأُصُولِيُّونَ يُسَمُّونَ هَذَا "مَجَازًا بِالشَّكْلِ"، وَأمَّا البَيَانِيُّونَ فَيُسَمُّونَهُ أيْضًا "اسْتِعَارَةً[5]"، كَمَا صَرَّحَ بِه أيضًا شَيْخُ الإسْلَامِ[6] في حَاشِيَتِهِ على "شَرْحِ جَمْعِ الجَوَامِعِ[7]"، وَصَرَّحَ بِه البُهُوتِيُّ أيْضًا في حَاشِيَتِهِ على عِصَامٍ[8]، فَرَاجِعْهُمَا، فَمَا وَقَعَ في بَعْضِ الكُتُبِ مِنْ أنَّ المُشَابَهَةَ في الشَّكْلِ مِنْ عَلَاقَاتِ المَجَازِ المُرْسَلِ؛ خَطَأٌ.

---

(١) في (ب): "علاقات الاستعارات".

(٢) الاستعارة لغةً تداوُل الأشياء بين الناس، قال ابن منظور: "قد أعارَه الشيء، وأَعَاره منه، وعاوَرَه إياه، والمُعَاوَرَة، والتَّعاوُرُ: شِبْه المُدَاولَة، والتَّدَاول في الشيء يكون بين اثنين... وتَعَوَّرَ واستَعَار: طَلَبَ العارِية، واستعار الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يُعِيرَه إياه"، لسان العرب، مادة (عور).

والاستعارة اصطلاحًا كما حدّها الجاحظ: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨ه/١٩٩٨م) ١: ١٥٣.

وذكرها ابن قتيبة بقوله: "العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمَّى بها بسبب من الأخرى أو مجاورًا لها أو مشاكلاً".تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة عبد الله بن عبد المجيد، تحقيق: أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م) ١٣٥.

(٣) في (ب): "بصورته".

(٤) قال ابن الحاجب: "والمَشَابَهَةُ قد تكونُ بالشَّكل، كالإنسان للصُّورة، أو في صفةٍ ظاهرةٍ، كالأسد على الرَّجل الشُّجاع لا على الأَبْخَرِ لِخَفَائِهَا"، منتهى الوصول، ٢٠.

(٥) يُنظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: أحمد صقر (القاهرة: دار المعارف، ط٤، د.ت)، ١: ٢٦٦؛أسرار البلاغة، ٣٠؛مفتاح العلوم، ٤٧٧؛الإيضاح،٢١٢؛المطوَّل، ٥٧٦.

(٦) زكريا بن مُحَمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ الخزرجيّ السّنيكيّ القاهريّ الشّافِعيّ، شيخ الإسلام، قاض ومفسّر ومن حفّاظ الحديث، له تصانيف كثيرة، منها: فتح الرحمن، تحفة الباري على صحيح البخاري، شرح شذور الذهب، غاية الوصول، توفي سنة (٩٢٦ه).

تُنظر ترجمته في: الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ٣: ٢٣٤-٢٣٨؛الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٧م) ١: ١٩٦.

(٧) حاشية زكريا الأنصاريّ على شرح الإمام المحلّيّ على جمع الجوامع، زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: عبد الحفيظ الجزائريّ (الرياض: مكتبة الر شد، ط١، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م)، ٢: ٣٢.

(٨) إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني، عصام الدين، ولد في أسفرايين، من قرى خراسان، وكان أبوه قاضيها، فتعلم واشتهر وألف كتبه فيها، وزار في أواخر عمره سمرقند فتوفي بها، من تصانيفه: الأطول في شرح تلخيص المفتاح، وميزان الأدب، وحاشية على تفسير البيضاويّ، توفي سنة (٩٤٥هـ) أو (٩٥١هـ).

تُنظر ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد عبد الحي بن أحمد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط (دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ١٠: ٤١٧؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقيا، رفعت بيلكه الكليسي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ١: ٤٧٧.

تَنْبِيْهٌ

فِي كَوْنِ الجَامِعِ بَيْنَ الأسَدِ وَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ هُوَ الشَّجَاعَةَ؛ مُسَامَحَةٌ، إذ الشَّجَاعَةُ مَلَكَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ تَقْتَضِي الإقْدَامَ على المَخَاوِفِ، والمَلَكَاتُ خَاصَّةٌ بِالنَّوعِ الإنْسَانِيِّ، فَاللَائِقُ أنْ يُجْعَلَ الجَامِعُ هُوَ نَفْسَ الإقْدَامِ، [وَاللهُ أعْلَمُ][1].

بَابُ [علَاقَاتِ][2] المَجَازِ المُرْسَلِ[3]

اعْلَمْ أوَّلاً - أيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى - أنَّهُم اخْتَلَفُوا؛ هَلْ تُلَاحَظُ وَتُعْتَبَرُ علَاقَةُ المُرْسَلِ مِن جِهَةِ المَعْنَى الأصْلِيِّ، فَيُقَالُ في نَحْو: رَعْينَا غَيْثًا: العلَاقَةُ السَّبَبِيَّة، أو مِن جِهَةِ الفرعِيِّ، فَيُقَالُ: المُسَبِبِيَّة، أو مِن جِهَتِهِمَا، فَيُقَالُ: السَّبَبِيَّة وَالمُسَبِبِيَّة؟ وَالمَشْهُورُ هُوَ الأوَّلُ فَإنَّهُم يُمْثِّلُونَ لِعلَاقَةِ السَّبِبِيَّةِ بِنَحْو: رَعِيْنَا غَيْثًا، وَللمُسبِبِيَّةِ بِنَحْو: أمْطَرَتِ السَّمَاءُ [١/أ] نَبَاتًا... إلخ، وَهُوَ الَّذِيْ نَمْشِي عَلِيْهِ[4].

وَلْنَشْرَع في عَدِّهَا بِعَونِ اللهِ، فَنَقُولُ: اعْلَمْ أنَّ علَاقَاتِ المَجَازِ المُرْسَلِ على التَّحْقِيْقِ إحْدَى وَعِشْرُونَ[5] كَمَا سَيَجِيءُ ذَلِكَ مُفَصَّلاً، وَقَدْ نَظَمْتُهَا بِقَولِي:

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (أ): "علاقة".

(٣) يأتي وصف هذا المجاز بـ(المرسَل) من إطلاقه من قيد المشابهة وعدم تقييده بعلاقة واحدة، فـ(الإرسال) في اللغة: الإطلاق، و(أرسله) بمعنى أطلقه. يُنظر: لسان العرب، مادة (رسل).

ولمَّا كانت الاستعارة مقيدَّة بادَّعاء أنَّ المشبَّه من جنس المشبَّه به، كان المجاز المرسل مطلقًا من هذا القيد وحرًّا من هذا الارتباط، فهو طليق مرسل، ويعدّ السّكاكيّ أوَّل من أطلق هذه التَّسمية عليه، وحدَّه القزوينيُّ بقوله: "هو ما كانت العلاقة بين ما استُعمِل فيه وما وُضِع له ملابسةً غير التَّشبيه". الإيضاح، ٢٠٥.

(٤) قال الإسنويّ: "إذا تعارض الأمر بين العلاقة الأولى وهي إطلاق اسم السَّبب على المسبَّب، وبين الثَّانية وهي إطلاق اسم المسبَّب على السَّبب، فالأول أولى؛ لأنَّ السَّبب المعين يدل على السَّبب المعين بخلاف العكس... فلما كان فهم المسبَّب عن السَّبب أقرب من عكسه كان أولى، وقد يقال: العكس أولى؛ لأن وجود المسبَّب بدون السَّبب محال، فالسَّبب لازم للمسبَّب، ولا ينعكس لجواز تخلف المسبَّب عن السَّبب". نهاية السُّول في شرح منهاج الأصول، عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (القاهرة: عالم الكتب، د.ط، د.ت) ٢: ١٦٦.

(٥) اختلف العلماء في عددها، من مثل: البيضاويّعدَّها اثنتي عشرة، والصَّفيّ الهنديّ فيما نقل عنه الإسنويّ إحدى وثلاثين، والقزوينيّ تسعًا، وتقي الدين السّبكيّ أربع عشرة، والزّركشيّ ثماني وثلاثين، والمرداويّ أربعًا وعشرين، ولعل سبب ذلك يرجع إلى تفصيل بعضهم الأنواع على الاستقلال، بينما أدخل بعضهم الآخر أكثر من نوع في نوع واحد.

يُنظر: منهاج الوصول إلى علم الأصول، عبد الله بن عمر البيضاويّ، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ٩٥-٩٦؛ التّلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط،د.ت) ٢٩٧-٢٩٩؛الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: أحمد جمال الزمزمي، نور الدين عبد الجبار صغيري (دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)٣: ٧٦٤-٧٩٧؛نهاية السُّول، ٢: ١٦٥؛البحر المحيط، الزركشي، ٢: ١٩٨-٢١٣؛ التّحبير شرح التّحرير، علي بن سليمان المرداويّ، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، أحمد السراح (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ١: ٣٩٤-٤١٥.

إِنَّ عَـلَاقَـاتِ الـمَـجَـازِ الـمُـرْسَـلِ ... إِحْـدَى وَعِـشْـرُونَ كَـمَـا سَيَنْجَلِي

فَـسَـبَـبِـيَّـةٌ مُـسَـبَّـبِـيَّـهْ ... وَلَازِمِـيَّـةٌ وَمَـلْـزُومِـيَّـهْ

كُـلِّـيَّـةٌ جُـزْئِـيَّـةٌ حَـالِـيَّـهْ ... مَـعَ الـمَـحَـلِّـيَّـةِ وَالآلِـيَّـهْ

مَـعَ اعْـتِـبَـارِ مَـا مَـضَـى وَالأَوَّلُ ... ثُـمَّ عُـمُـومٌ وَخُـصُـوصٌ يـتـلـو

دَالِّـيَّـةٌ كَـذَاكَ مَـدْلُـولِـيَّـهْ ... ضِـدِّيَّـةٌ تَـعَـلُّـقٌ بَـدَلِـيَّـهْ

الإِطْـلَاقُ وَالـتَّـقْـيـيـدُ وَالـمُـجَـاوَره ... فَـادْعُ لِـمَـنْ نَـظَـمَـهَـا بِـالِـمْـغِـفَـرهْ

وَلْنَشْرَحهَا على هَذَا التَّرْتِيْبِ، فَنَقُولُ:

الأُوْلَى السَّبَبِيَّةُ؛ أيْ كَونُ المعْنَى الأصْلِيِّ سَبَبًا في المَعْنَى الفرْعِيِّ، وَهَكَذَا يُقَالُ فيمَا بَعْدُ مِنْ كُلِّ مَا فيهِ (ما)[1] المَصْدَرِيَّةُ، فَيُفَسَّرُ بِالكَوْنِ كَذَا[2].

وَمِثَالُها: رَعَيْنَا غَيْثًا؛ فَالغَيثُ الَّذِيْ هُوَ المَطَرُ سَبَبٌ في الفرْعِيِّ وَهُوَ النَّبَاتُ.

وَنَحْو: لِلأَمِيْرِ يَدٌ؛ أيْ قُدْرَةٌ، فَاليَدُ سَبَبٌ في الفرْعِيِّ، وَهُوَ القُدْرَةُ لَكِنْ بِوَاسِطَةِ آثَارِهَا، وَحَاصِلُهُ أنَّهُ تُجُوِّزَ بِالقُدْرَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ عَنْ آثَارِهَا؛ لِأنَّ السَّبَبَ عَن اليَدِ هُوَ الآثَارُ، وَتُجُوِّزَ بِالآثَارِ عَن اليَدِ، فَيَكُونُ في الكَلَام مَجَازٌ على مَجَازٍ، فَافْهَمْ.

فَإنْ قُلْتَ: هَلْ يَصِحُّ أنْ يَكُونَ تَجَوُّزُ: رَعَيْنَا غَيْثًا؛ مَجَازًا بِالحَذْفِ؟

قُلْتُ: نَعَم، يَصِحُّ بِجَعْلِ أنَّ المَعْنَى: رَعَيْنَا مسَبَّبَ غَيْث، فَيَكُونُ هَذَا التَّقْدِيْرُ مَلْحُوظًا، وَالغَيْثُ مُسْتَعْمَلٌ فيمَا وُضِعَ لَهُ؛ لاَ تُجُوِّزَ فيه، نَعَم؛ صَرَّحُوا بِأنَّ المَجَازَ المُتَعَارَفَ أوْلَى مِنَ المَجَازِ بِالحَذْفِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَجْرِي في غَيْرِ أمْثِلَةِ السَّبَبِيَّةِ مِمَّا يَصْلُحُ أنْ يَكُونَ مِنْ مَجَازِ الحَذْفِ، فَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِيْنَ.

الثَّانِيَةُ المُسَبِّبِيَّةُ؛ وَمِثَالُهَا: أمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا، فَالنَّبَاتُ سَبَبٌ عَنِ الغَيْثِ عَادَةً.

الثَّالِثَةُ اللازِمِيَّةُ؛ مُثَالُهَا: مَاتَ الأَمِيرُ؛ بِمَعْنَى: مَرِضَ مَرَضًا شَدِيْدًا، فَالمَوتُ لاَزِمٌ للمَرَضِ الشَّدِيدِ غَالِبًا، وَمِن ذَلِكَ إطْلَاقُ الضَّوءِ على نَفْسِ الشَّمْسِ؛ أي الكَوكَبُ النَّهَارِيُّ.

الرَّابِعَةُ المَلْزُومِيَّةُ؛ مِثَالُهَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾[الروم ٣٥]، حَيْثُ أطْلَقَ التَّكَلُّمَ على الدَّلَالَةِ؛ لِكُونِهِ مَلْزُومًا لَهَا.

وَيَصِحُّ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ على سَبِيْلِ الاسْتِعَارَةِ المُصَرَّحَةِ التَّبَعِيَّةِ بَأَنْ شُبِّهَتِ الدَّلَالَةُ بِالتَّكَلُّمِ بِجَامِعِ إيْضَاحِ

---

(١) في (ب): "يا".

(٢) مثاله قوله تعالى:]فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ[[البقرة ١٩٤]، فقد سُمي جزاء الاعتداء اعتداء؛ لأنه مسبب عن الاعتداء؛ أي: اعتداؤكم عليه لكونه اعتدى عليكم.

المَعْنَى وإيْصَالِهِ إلى الذِّهْنِ في كُلٍّ، وَاسْتَعَارَ التَّكَلُّمَ لِلدَّلاَلَةِ، وَاشْتَقَّ مِن التَّكَلُّمِ (يَتَكَلَّمُ) بِمِعْنَى: يَدُلُّ.

وَيَصِحُّ أنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً بِالكِنَايَةِ بِأَنْ شَبَّهَ الضَّمِيْرَ المُسْتَتِرَ في (يَتَكَلَّمُ) بِإنسَانٍ، وَطَوَى جَمِيعَ أرْكَانِ التَّشْبِيْهِ إلَّا المُشَبَّهَ، وَأَثْبَتَ لَهَا شَيْئًا مِن لَوَازِمِ المُشَبَّهِ بِه، وَهو التَّكَلُّمُ[1].

وَيَصِحُّ أنْ يَكُونَ التَّجوُّزُ في إسْنَادِ التَّكَلُّمِ إلى الضَّمِيْرِ، فَيَكُونَ مَجَازًا عَقْلِيًّا، فَافهَمْ[2].

ومِن هَذِهِ العَلاَقِةِ إطْلاَقُ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ الكَوكَبُ النَّهَارِيُّ على ضَوئِهَا.

وَاعْلَمْ أنَّ الكِنَايَةَ على القَولِ بِأَنَّهَا مِن المَجَازِ تَكُونُ عَلاَقَتُهَا المَلْزُومِيَّةَ، لَكِنَّ التَّحْقِيقَ مَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ المَحَقِّقُونَ، وَمِنْهُم السَّكَّاكِيُّ[3]؛ أنَّهَا غَيْرُ صَرِيحَةٍ[4]، قَالَهُ شَيْخُ الإسْلاَمِ[5].

الخَامِسَةُ الكُلِّيَّةُ؛ مِثَالُهَا قَولُهُ تَعَالَى:]يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِم[[البقرة ١٩]، فَاسْتَعْمَلَ الأَصَابِعَ في أَنَامِلِهَا؛ إذْ لاَ يُمْكِنُ جَعْلَ كُلِّ الإصْبَعِ في الأُذُنِ.

فَإنْ قُلْتَ: مَع جَعْلِ المُرَادِ بِالأَصَابِعِ الأَنَامِلَ؛ لاَ يَنْفَكُّ الإشْكَالُ بِالمَرَّةِ؛ إذِ الأَنَامِلُ جَمْعٌ مُضَافٌ، فَيَعُمُّ كُلَّ الأُنْمِلَةِ، وَذَلِكَ لاَ يُمْكِنُ أيْضًا.

قُلْتُ: أُجِيْبَ بَأَنَّ أَصَابِعَهُم وَأَنَامِلَهُم مِن بَابِ مُقَابَلَةِ الجَمْعِ بِالجَمْعِ[6]، نَحْو: رَكِبَ القَوْمُ دَوَابَّهُم، وَالمَعْنَى: يَجْعَلُ كُلٌّ مُنْهُم إصْبَعَهُ - أيْ أُنْمُلَتَهُ - في أُذُنِهِ، فَتَفَطَّنْ لِهَذِهِ النُّكْتَةِ.

السَّادِسَةُ الجُزْئِيَّةُ؛ مِثَالُهَا قَولُهُ تَعَالَى:]فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[[النساء ٩٢]؛ أطْلَقَ الجُزْءَ، وَهُوَ الرَّقَبَةُ، وَأَرَادَ الكُلَّ.

---

(١) قال السّكاكيّ: "فالَّذي عندي هو نظم هذا النَّوع في سلك الاستعارة بالكناية". مفتاح العلوم، ٥١١.

(٢) قال الجرجانيّ: "وحدُّه: أنَّ كلَّ جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول فهو مجاز". أسرار البلاغة، ٣٨٥.

(٣) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السَّكاكيّ الخوارزميّ الحنفيّ، أبو يعقوب، سراج الدِّين: عالم بالعربيَّة والأدب، مولده ووفاته بخوارزم، من كتبه: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة، توفي سنة (٦٢٦ه).
تُنظر ترجمته في: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م) ٦: ٢٨٤٦؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م) ٣: ٣٦٤.

(٤) قال السّكاكيّ: "الكناية هي ترك التَّصريح بذكر الشَّيء على ما ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور على المتروك، كما نقول: فلان طويل النِّجاد؛ لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة... والحقيقة في المفرد والكناية تشتركان في كونهما حقيقتين، ويفترقان في التّصريح وعدم التّصريح". مفتاح العلوم،٥١٢، ٥٢٥.

(٥) حاشية زكريا الأنصاريّ، ٢: ١٤٨.

(٦) قال الزّركشيّ: "مقابلة الجمع تَقْتَضِي انْقِسَامَ الْآحَادِ على الْآحَادِ"، البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ط، د.ت) ٤: ٥.

وَكَقَولِهِم: [٢/أ] فُلَانٌ يَمْلِكُ أَلْفَ رَأْسٍ مِن الغَنَمِ.

وَمِن ذَلِكَ تَسْمِيَةُ النُّحَاةِ الكَلَامَ "كَلِمَةً"، وَأَهَلِ اللُّغَةِ رَبِيْئَةَ القَومِ "عَيْنًا"، قَالَ في "المُطَوَّلِ": "وَذَلِكَ لِأَنَّ العَينَ لمَّا كَانَتْ هِيَ المَقْصُودَةُ في كَونِ الرَّجُلِ رَبِيْئَةً؛ لأَنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَعْضَاءِ مِمَّا لاَ يُغْنِي شَيْئًا بِدُونِهَا؛ صَارَتِ العَينُ كَأَنَّهُ الشَّخْصُ كُلُّهُ، فَلَا بُدَّ في الجُزْءِ المُطْلَقِ على الكُلِّ مِنْ أنْ يَكُونَ لَهُ مَزْيِدَ اخْتِصَاصٍ بِالمَعْنَى الَّذِي قُصِدَ بِالكُلِّ، مَثَلاً؛ لَا يَجُوزُ إطَلاقُ اليَدِ أو الإصْبَعِ على الرَّبِيْئَةِ، وَإنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا جُزْءًا مِنْه"[١]، وَبِهَذَا تَعْلَمُ أنَّ في جَعْلِ تَسْمِيَةِ النُّحَاةِ الكَلَامَ "كَلِمَةً" مِنْ هَذَا القَبِيلِ شيئًا، فَتَأَمَّلْ وَتَدَبَّرْ.

السَّابِعَةُ الحَالِيَّةُ؛ مِثَالُهَا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٧]، يَعْنِي: جَنَةَ اللهِ، فَأَطْلَقَ الحَالَّ، وَهُو الرَّحْمَةُ؛ على المَحَلِّ، وَهُو الجَنَّةُ، لَكِنْ كَوْنُهَا مَحَلاً لِلرَّحْمَةِ هُوَ بِوَاسِطَةِ آثَارِهَا، وَذَلِكَ إذا تَجَوَّزْنَا بِالرَّحْمَةِ سَوَاءٌ أكَانَتْ بِمَعْنَى إرَادَةِ الإحْسَانِ، أو الإحْسَانِ لِأَثَرِهَا، وَهُوَ المُنْعَمُ بِه؛ مِنْ إطْلَاقِ اللَّازِمِ وَإرَادَةِ المَلْزُومِ، ثُمَّ تَجَوَّزْنَا بِالمُنْعَمِ بِه إلى مَحَلِّهِ، وَهُو الجَنَّةُ؛ مِنْ إطْلَاقِ الحَالِّ وَإرَادَةِ المَحَلِّ، فَيَكُونُ في الكَلَامِ مَجَازٌ على مَجَازٍ، فَافْهَمْ.

الثَّامِنَةُ المَحَلِّيَّةُ؛ نَحْو قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق ١٧]، يَعْنِي بِالنَّادِي أهْلَهُ.

وَكَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢]، يَعْنِي بِالقَرِيَةِ أهْلَهَا.

فَأَطْلَقَ المَحَلَّ فَيْهِمَا، وَأَرَادَ الحَالَّ[٢].

وَاجتَمَعَتِ العَلَاقَتَانِ الحَالِّيَّةُ وَالمَحَلِّيَّةُ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف ٣١]، أيْ: ثِيَابَكُم عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ وَطَوَافٍ[٣].

التَّاسِعَةُ الآلِيَّةُ؛ كَقَولِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ سَيِّدِنَا إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعلى نَبَيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَاجْعَلْ لي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ﴾ [الشعراء ٨٤]، يَعْنِي بِلِسَانِ صِدْقٍ: ذِكْرًا حَسَنًا، فَأَطْلَقَ على الذِّكْرِ آلَتَهُ.

العَاشِرَةُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ وَمَضَى؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء ٢]، إذِ اليَتِيمُ صَغِيرٌ لَا أبَ لَهُ، فَاسْتُعْمِلَ في البَالِغِ على التَّجَوُّزِ، وَيُحْتَمَلُ أنَّهُ اسْتَعْمَلَهُ في غَيْرِ البَالِغِ، وَالحُكْمُ مُقَيَّدٌ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَآتُوهُم إذَا بَلَغُوا، على أنَّ أصْلَ الاشْتِقَاقِ يَصْدُقُ ﴿بِالصَّغِيْرِ وَالكَبِيرِ﴾[٤]؛ لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ اليُتْمِ، وَهُوَ

---

(١) المطوَّل، ٥٧٦.

(٢) قال السّبكيّ: "وفيه نظر، فقد قيل إنَّه من مجاز الحذف، كقوله تعالى:]وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ[". عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ٢: ١٣٨.

(٣) قال الزّركشيّ: "فإنَّ الزِّينة حالة في الثِّياب، والمسجد محلُّ الصَّلاة، ففي الأوّل إطلاق الحال وإرادة المحلِّ، والثَّاني إطلاق المحلِّ وإرادة الحال وهي الصَّلاة". البحر المحيط، ٢: ٢١١.

(٤) في (ب): "بالكبير والصّغير".

الانْفِرَادُ[1]، وإنَّمَا خَصَّصَهُ عُرْفُ الشَّرْعِ بِالصَّغِيرِ لِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ يُتْمَ بَعْدَ احتِلاَمٍ[2]"، كَمَا في البَيْضَاوِيِّ[3] وَحَوَاشِيهِ.

الحَادِيَةَ عَشرَةَ اعْتِبَارُ مَا يَكُونُ؛ وَهُوَ المُسَمَّى عِنْدَهُم بِالأَوَّلِ[4]، سَواءٌ أكَانَتْ كَيْنُونَتُهُ في المُسْتَقْبَلِ قَطْعًا[5]، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر ٣٠]، أوْ ظَنًّا؛ لِغَلَبَتِهِ ورُجْحَانِهِ، كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف ٣٦]، أيْ: مَا سَيَكُونُ خَمْرًا[6]، لاَ احْتِمَالاً؛ كَالحُرِّ لِلعَبْدِ، فَلاَ يَصِحُّ ذَلِكَ[7]، وَمِنَ الظَّنِّ قَولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ[8]"، أيْ شَخْصًا حَيًّا يَؤُولُ إلى القَتْلِ.

الثَّانِيَةَ عَشرَةَ العُمُومُ؛ نَحْو قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء ٥٤]، بِمَعْنَى: مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطْلَقَ العَامَّ، وَأَرَادَ بِهِ الخَاصَّ.

وَكَقولِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران ١٧٣]، حَيثُ

---

(١) يُنظر: لسان العرب، مادة (يتم).

(٢) رُوي في: السنن،أبو داود سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدّعّاس، عادل السيد (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)كتاب الوصايا، باب "ما جاء متى ينقطع اليُتم"، ٣: ١٩٨،الحديث /٢٨٧٣/.

وصُحِّح في: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: محمد زهير الشاويش (بيروت؛ دمشق: المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م) ٥: ٧٩، الحديث /١٢٤٤/.

(٣) أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، محمود أحمد الأطرش (بيروت: دار الرشيد، ط١، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م) ١: ٣٣٠.

(٤) أي عَلاَقَةَ مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ، وتسمَّى عند بعض الأصوليين"علاقة الاستعداد"، و"ما بالفعل على ما بالقوة".

يُنظر: جمع الجوامع، عبد الوهاب بن علي السبكي،تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م)٣١.

(٥) أي كانهذا المآل آتيًا لا محالة.

أي كان هذا المآل مظنونًا؛ لاحتمال أن يقوم مانع دون الاختمار، والقرينة على أن المراد من لفظ (الخمر)العنب أنها عصير والعصير لا يعصر.

(٦) وعدَّها ابن جني من باب الاكتفاء بالمسبَّب من السبب؛ قال: "وإنما يعصر عنبًا يصير خمرًا، فاكتفى بالمسبَّب الذي هو الخمر من السبب الذي هو العنب".الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت)٣: ١٧٧.

وجعلها السّبكيّ من باب تسمية الشّيء باسم سببه الغائيّ؛ قال: "فأطلق الخمر على العنب لأنّ الخمر غاية مقصودة من زراعة العنب وعصره عند بعض النّاس". الإبهاج، ٣: ٧٧٠.

(٧) لأن الحر ربما يصير عبدًا إذا وُجدت الأسباب، فالمحتمل لا يدخل في اعتبار ما سيكون.

(٨) رُوي في:الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه) كتاب فرض الخمس، باب "مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلاَبَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فيهِ"، ٤: ٩٢، الحديث /٣١٤٢/.

أَطْلَقَ النَّاسَ الأَوَّلَ على نَعِيمِ بنِ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيِّ[1]، وَالثَّانِي على أَبِي سُفْيَانٍ[2] وَأَصْحَابِهِ[3].

الثَّالِثَةَ عَشرَةَ الخُصُوصُ؛ نَحْو قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩]، أي: رِفْقًا، فَأَطْلَقَ الخَاصَّ، وَأَرَادَ العَامَّ، كَذَا مَثَّلَ بَعْضُهُم، وَفِيهِ نَظَرٌ، فَقَدْ قَالَ البَيْضَاوِيُّ: "وَلَمْ يُجْمَعْ (رَفِيقًا) لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَالجَمْعِ كَالصَّدِيقِ، أو لِأَنَّه أُرِيد: وَحَسُنَ كُلُّ رَفِيقٍ مِنْهُم رَفِيقًا"[4]، وَعلى كِلا الاحْتِمَالِينِ لاَ خُصُوصَ وَلاَ تَجَوُّزَ، فَالحَقِيقَةُ هِيَ الأَصْلُ، فَالأَوْلَى أَنْ يُمْثَّلَ بِإطلاقِ النُّحَاةِ لاَمَ الجُحُودِ على اللاَّمِ الوَاقِعَةِ بَعْدَ كَونٍ مَنْفِيٍّ مَاضٍ لَفْظًا وَمَعْنًى، نَحْو: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال ٣٣]، أو مَعْنًى فَقَط، نَحْو: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء ١٦٨]، حَيثُ أَطْلَقُوا الجُحُودَ الَّذِي هُوَ نَوعٌ خَاصٌّ مِن النَّفْيِ[5]، فَهُو مِن هَذَا القَبِيلِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِن قَبِيلِ الحَقِيقَةِ العُرْفِيَّةِ، إِذِ الفَرْقُ بَيْنَ المَجَازِ وَالحَقِيقَةِ العُرفِيَّةِ أَنَّه إِنْ هُجِرَ المَعْنَى الأَصْلِيُّ فَالحَقِيقَةُ العُرفِيَّةُ، وَإِنْ لَمْ يُهْجَرْ فَالمَجَازُ[6].

---

(١) نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانيّ الأشجعيّ، صحابيّ أسلم في وقعة الخندق، وهو من أوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق، توفي في آخر خلافة عثمان (ر).

تُنظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق: عادل مرشد (عمَّان: دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م) ٧٢٦؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير علي بن محمد، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت) ٥: ٣٢٨.

(٢) صخر بن حرب بن أميَّة القرشيّ الأمويّ، أسلم عام الفتح، وشهد حنينًا والطّائف واليرموك، حسن إسلامه، توفي بالمدينة سنة ٣١ه.

تُنظر ترجمته في: الاستيعاب،٣٤٥؛ أسد الغابة، ٣: ٩.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت) ٧: ٤٠٥؛ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود ابن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٨م) ١: ٦٦٠؛البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ه/١٩٩٣م) ٣: ١٢٣٤.

(٤) تفسير البيضاوي، ١: ٣٦٩.

(٥) هي عند بعض النّحويين لام توكيد النّفي، قال ابن هشام: "قال النّحاس: والصّواب تسميتها لام النّفي، لأنّ الجحد في اللغة أنكار ما تعرفه لا مطلق الإنكار".مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م) ٣: ١٦٥.

(٦) قال الرازيّ: "الحقيقة إذا قلَّ استعمالها صارت مجازًا عرفيًّا، والمجاز إذا كثر استعماله صار حقيقة عرفيَّة". المحصول، ١: ٣٤٤.

وقال الغزاليّ: "والاسم يسمى عرفيًّا باعتبارين: أحدهما أن يوضع الاسم لمعنى عام ثم يُخَصِّص عُرف الاستعمال من أهل اللغة ذلك الاسمَ ببعض مسمياته... الاعتبار الثاني أن يصير الاسم في غير ما وُضع له أولاً، بل فيما هو مجاز فيه". المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ (المدينة المنورة: د.ن، د.ط، د.ت) ٣: ١٥، ١٦.

وَمِن هَذَا القَبِيلِ أيْضًا قَولُهُ تَعَالَى: [٣/أ] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير ١٤]، أي: كُلُّ نَفْسٍ، فَأَطْلَقَ الخَاصَّ، وَأَرَادَ العَامَّ[١]، وَتَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أنَّ النَّكِرَةَ في سِيَاقِ الإثْبَاتِ مِن أفْرادِ الخُصُوصِ[٢]، فَمَا وَقَعَ في بَعْضِ الكُتُبِ مِن عَدِّهَا عَلَاقَةً؛ لاَ يَخْفَى مَا فيهِ على مَنْ عَرَفَ مَعْنَى العَلَاقَةِ، فَتَفَطَّنْ.

الرَّابِعَةَ عَشرَةَ الدَّالِّيَّةُ، كَإطْلَاقِ لَفْظِ "الحَقِيقَةِ" و"المَجَازِ" على المَعْنَى الحَقِيقِيِّ وَالمَعْنَى المَجازِيِّ، فَإنَّهُ لَا يُوْصَفُ بِهِمَا إلَّا اللفظ، فَإطْلَاقُهُمَا عَلِيهِمَا مِن إطلَاقِ الدَّالِّ على المَدْلُولِ.

الخَامِسَةَ عَشرَةَ المَدْلولِيَّةُ؛ كَإطْلَاقِ لَفْظِ "الكُلِّيِّ" و"الجُزْئِيِّ" على اللفْظِ الَّذِي مَعْنَاهُ كُلِّيٌّ أو جُزْئِيٌّ، فَإنَّه لَا يُوصَفُ بِهِمَا إلَّا المَعْنَى، فَإطلَاقُهُمَا عَلِيهِمَا مِن إطلَاقِ المَدْلُولِ على الدَّالِّ.

السَّادِسَةَ عَشرَةَ الضِّدِّيَّةُ؛ كَإطلَاقِ "المَفَازَةِ" على البَرِّيَّةِ المُهْلِكَةِ، و"البَصِيرِ" على الأَعْمَى، و"البَيَاضِ" على السَّوادِ، و"القِيَامِ" على القُعُودِ.

وَلَا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ مِن ذَلِكَ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى ٤٠]، وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة ١٤٩]، خِلَافًا لِبَعْضِهِم حَيْثُ جَعَلَ (سَيِّئَة) الثَّانِيَةِ و(فَاعتَدُوا) مَجَازًا مُرْسَلًا عَلَاقَتُهُ الضِّدِّيَّةُ[٣]، وَكَأَنَّهُ تَوَهَّمَ أنَّ المُرَادَ بِالضِّدِّ مَا يَشْمَلُ الخِلَافَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ قَطْعًا، وَسَيَأتِي أنَّ ذَلِكَ مِن المُشَاكَلَةِ[٤].

السَّابِعَةَ عَشرَةَ التَّعَلُّقُ[٥]؛ سَوَاءٌ كَانَ التَّجَوُّزُ مِن المُتَعَلِّقِ بِكَسْرِ اللَّامِ لِلمُتَعَلَّقِ بِفَتْحِهَا، نَحو: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان ١١]، أي: مَخْلُوقُهُ، وَرَجُلٌ عَدْلٌ، أي: عَادِلٌ، أو بِالعَكْسِ، نَحْو: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم ٦]، أي: الفِتْنَةُ، وَقُمْ قَائِمًا، أي: قِيَامًا.

---

(١) سمَّاها السّبكيّ والزّركشيّ "إطلاق النّكرة وإرادة الجنس"، فالمراد بالنّفس ماهيتها وجنسها لا الذّات المفردة، بينما عدَّها البخاريّ من إطلاق النّكرة للعموم، أي كل نفس.
يُنظر: الإبهاج، ٣: ٧٩٥؛ البحر المحيط، ٢: ٢١١؛ كشف الأسرار عن أصول البزدوي، أحمد بن محمد البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ٢: ٩٠.

(٢) النّكرة في الإثبات قد تفيد العموم أيضًا إذا وردت بوصفٍ عامٍّ يصلُحُ أن يوصف به كلُّ فردٍ من أفراد الموصوف؛ قال البخاري: "ثم قيل: النّكرة في الإثبات إنّما تخصُّ إذا كانت اسمًا غير مصدر، فإن كانت مصدرًا فهي تحتمل العموم، فإنه تعالى قال:]لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوْرًا وَاحِدًا وادْعُوا ثُبُوْرًا كَثِيْرًا[[الفرقان ١٤]، وصف الثّبور بالكثرة وكذا لو قال: أنت طالق طلاقًا، ونوى الثلاث يصحُّ فعلم أن المصدر المنكر يحتمل العموم في الإثبات، ألا ترى لو قال: رأيت رجلاً كثيرًا لا يصحُّ أنه اسم؟". كشف الأسرار، ٢: ٢٠.

(٣) منهاج الوصول، ٩٦؛تشنيف المسامع، ١: ٤٦١.

(٤) قال الزّركشيّ: "واعلم أنَّ العلاقة في إطلاق اسم أحد المتقابلين على الآخر ليس هو اللّزوم الذّهنيّ، للاتّفاق على امتناع إطلاق الأب على الابن، بل هو من قبيل الاستعارة بتنزيل المقابل منزلة المناسب بواسطة تلميح أو تهكم، كما في إطلاق الشّجاع على الجبان، أو تفاؤل، كما في إطلاق البصير على الأعمى، أو مشاكلة، كما في إطلاق السّيئة على جزاء السّيئة". البحر المحيط، ج٢، ص٢٠٣.

(٥) هو إقامة صيغة مقام أخرى، كإطلاق المصدر على اسم المفعول والفاعل، وإطلاق اسم المفعول والفاعل على المصدر. يُنظر: البحر المحيط، الزركشي، ٢: ٢١٠.

الثَّامِنَةَ عَشرَةَ البَدَلِيَّةُ؛ نَحو: فُلَانٌ يَأْكُلُ دَمَ أخِيهِ، يَعْنِي بِالدَّمِ الدِّيَةَ، كَذَا مَثَّلُوا لِلبَدَلِيَّةِ، وَهُو لاَ يَأتِي إلَّا على القَولِ بِأَنَّ العَلَاقَةَ تُعْتَبَرُ مِن جِهَةِ المَعْنَى الأَصْلِي، ثُمَّ في هَذَا المِثَالِ مَجَازٌ بِالحَذْفِ أيْضًا، أي: يَأْكُلُ إهْرَاقَ دَمِ أخِيهِ، فَفِيهِ مَجَازٌ على مَجَازٍ، فَتَأَمَّلْ[1].

التَاسِعَةَ عَشرَةَ الإطْلَاقُ؛ مِثَالُهُ قَولُهُ تَعَالَى في آيَةِ الظِّهَارِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة ٣]، يَعْنِي: مُؤْمِنَة، فَاسْتَعْمَلَ المُطْلَقَ في المُقَيَّدِ[2].

وَمِنهُ قَولُ الشَّاعِر[3]:

فيَا لَيْتَ كُلَّ اثْنَينِ بَينَهُمَا هَوًى ... مِن النَّاسِ قَبْلَ اليومِ يِلْتَقِيَانِ

حِيْثُ استَعْمَلَ اليومَ الصَّادقَ بِيومِ القِيَامةِ وَبغِيرِهِ [فِي خُصُوص يومِ القِيامَةِ][4].

العشرُونَ التَّقييدُ؛ كاسْتِعمالِ "المِشْفرِ" الَّذِيْ هُوَ في الأَصْلِ اسمٌ لإحدَى شَفَتَيِ البَعِيرِ الزَّائِدَةِ على الأُخْرَى[5] في مُطْلَقِ شَفَة، كَشَفَةِ زَيْدٍ مثلًا في قَولِكَ: رَأَيْتُ مِشْفرَ زَيْدٍ، وَيَكُونُ مَجَازًا بِمَرْتَبَةٍ إنِ استَعْمَلْتَهُ في شَفَةِ زَيدٍ بِكَونِهَا فَرْدًا مِن مُطْلَقِ شَفَتِهِ[6]، وَبِمَرتَبَتَيْنِ إنْ نَقَلْتَهُ مِنْ مُطْلَقِ شَفَةِ زَيدٍ، حَيثُ نَقَلْتَهُ مِن إحدَى شَفَتَيِ البَعِيرِ الزَّائِدةِ على الأُخْرَى، وَاستَعْمَلْتَهُ في شَفَةِ زَيدٍ؛ لِعَلَاقةِ الإطْلَاقِ، فَيَكُونُ مَجَازًا مَبْنِيًّا على مَجَازٍ[7]، وَهَذَا يَصِحُّ أنْ يَكُونَ مِن بَابِ الاسْتِعَارَةِ بِأَنْ يُشَبِّهَ شَفَةَ زيدٍ بِإحدَى شَفَتَيِ البَعِيرِ الزَّائِدةِ على الأُخْرَى بَجَامِعِ الغِلَظِ والتَّدلِي، وَيَسْتَعْمِلَ اسمَ المُشبَّه بِهِ في المُشبَّهِ؛ على سَبِيلِ الاستِعَارَةِ التَّصرِيحِيَّةِ

(١) رأى القزوينيّ أنّه من تسمية السَّبب باسم المسبَّب؛ قال: "وقولهم فلان أكلَ الدَّم، أي: الدِّية التي هي مسبَّبة عن الدَّم"، الإيضاح، ٢٠٩.

وعلّق التّفتازانيّ على ذلك بقوله: "وأورد في الإيضاح في أمثلة تسمية السَّبب باسم المسبَّب قولهم: فلان أكل الدَّم، وظاهر أنَّه سهو؛ لأنَّه من تسمية المسبَّب باسم السَّبب؛ إذ الدَّم سبب الدِّية، والعجب أنَّه قال في تفسيره: أي الدّية المسبَّبة عن الدَّم". المطوَّل، ٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) قال السّبكيّ: "وهو يرجع إلى التّعبير بالجزء عن الكلّ؛ لأنّ المطلق جزء المقيَّد إلاّ أنّه أخصُّ منه؛ لأنّ الجزء أعمُّ من أن يكون جمليًا كالمطلق أو غير جملي كسقف الدار". عروس الأفراح، ٢: ١٣٩.

(٣) عروة بن حزام، والبيت في:الحماسة البصريَّة،علي بن أبي الفرج البصري،تحقيق: مختار الدين أحمد(حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ط، ١٣٨٣ه/١٩٦٤م) ٢: ١٦٧؛خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٨ه/١٩٩٧م)٣: ٣٧٧.

(٤) سقطت من (ب)؛ أي: ذكرَ اليوم المطلق وأراد به المقيَّد ويعني يوم القيامة.

(٥) يُنظر: لسان العرب، مادة (شفر).

(٦) فينقلُ من المقيَّد إلى المطلق، وتكون علاقته التقييد.

(٧) أي نقلَ من المطلق إلى المقيَّد، فتكون علاقته التقييد والإطلاق.

الأَصلِيَّةِ التَّحقِيقِيَّةِ[1].

الحَادِيَةُ وَالعشرُونَ المُجَاورَةُ؛ كَإطلَاقِ "العِلْمِ" على الظَّنِّ، فإنَّه مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ المُجَاورَةُ.

وكـ"الرَّاوِيَةِ" على ظَرفِ المَاءِ المَعرُوفِ، مَع أنَّها في الأصلِ اسمٌ لمَا يحملُه مِن بَعِيرٍ أو غَيرِهِ.

وَكَإطلَاقِ "دَار عَمْرٍو" على القَرِيبَةِ مِنَها، قَالَهُ البُهُوتِيُّ وَغَيرُهُ[2].

وَقَالَ (سم): "وَلَمْ أرَ لَهَا - أيْ لِهَذِهِ العَلَاقَةِ - ضَابِطًا، وَقَضِيَّتُها صِحَّةُ التَّجَوُّزِ بِإطلَاقِ نَحو لَفْظِ "الأَرضِ" على النَّابِتِ فيهَا مِن الشَّجرِ وَغَيْرِهِ، وَلَفظِ "الشَّفةِ" على الإنسَانَ، وَلَفظِ "السَّقفِ" على الجِدَارِ، وَلَفظِ "المَسْجِدِ" على مُلَاصِقِهِ مَن نَحو الدُّورِ، وَبالعَكسِ، وَلَا يَخلُو ذَلك مِن غَرَابَةٍ وَبُعدٍ"[3].

تَنْبِيهٌ

اخْتَلَفُوا في المُشَاكَلَةِ، أي ذِكرِ الشَّيءِ بِلَفظِ غَيرِهِ لِوقُوعِهِ في صُحبَتِهِ، كَقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى ٤٠][4]، وَقَولِهِ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة ١٩٤][5]، الآيةُ؛ هَل

---

(١) قال عبد القاهر: "فاعلم أنّك قد تجد الشّيء يُخلط بالضّرب الأوّل الذي هو استعارة من طريق اللّفظ ويعدّ في قبيله، وهو إذا حقّقت ناظرٌ إلى الضّرب الآخر الذي هو مستعار من جهة المعنى وجار في سبيله. فمن ذلك قولهم: إنّه لغليظ الجحافل، وغليظ المشافر، وذلك أنّه كلام يصدر عنهم في مواضع الذّمّ، فصار بمنزلة أن يقال: كأنّ شفته في الغلظ مشفر البعير، وغليظ المشافر". أسرار البلاغة، ٣٦.

وقال التّفتازانيّ: "إنّ اللفظ الواحد بالنّسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون مجازًا مرسلاً، وأن يكون استعارة باعتبارين، وذلك إذا كان بين ذلك المعنى والمعنى الحقيقيّ نوعان من العلاقة أحدهما المشابهة والآخر غيرها، كاستعمال المشفر في شفة الإنسان فإنه استعارة قصد المشابهة في الغلظ، ومجاز مرسل باعتبار استعمال المقيّد، أعني مشفر البعير في مطلق الشّفة على ما صرّح به الشّيخ عبد القاهر". المطول، ٥٩٨.(٨١) يُنظر: الصّحاح، مادة (روى).

(٢) أحمد بن قاسم العباديّالقاهريّ الشّافعيّ، عالم فقيه، من تصانيفه: الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع، غاية الاختصار، حاشية على شرح المنهج، حاشية على شرح ألفية ابن مالك، توفي سنة(٩٩٤ه).

تُنظر ترجمته: الكواكب السّائرة، ٣: ١١١؛ ابن العماد، شذرات الذّهب، ١٠: ٦٣٦.

(٣) الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع، أحمد بن قاسم العبادي، تحقيق: زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م) ٢: ١٧٧.

(٤) المقصود بلفظة (سيئة) الثانية الجزاء الواقع على المعتدي، والذي سوَّغ وقوع الجزاء بلفظ (السيئة) وقوعها في صحبة لفظة (سيئة) الأولى المقصود بها معناها الحقيقي وهو الفعل المنهي عنه.

(٥) المقصود بلفظ (اعتدوا) الثانية الجزاءُ الذي يقع على المعتدي، والذي سوَّغ التعبير عن الجزاء بلفظ الاعتداء، وقوعه في صحبة لفظة (اعتدوا)المقصود بها الاعتداء الحقيقي.

وقد عدّها القزوينيّ من باب تسمية المسبَّب باسم السّبب، فقد تُجُوِّز بلفظ السّيئة عن الاقتصاص لأنه مسبَّب عنها، وسُمِّي جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبَّب عن الاعتداء. الإيضاح، ٢٠٧، ٢٠٨.

هِي مِن الاستِعَارَةِ[1]، أو مِنَ المَجَازِ المُرسَلِ، أو لاَ حَقِيقَةَ وَلَا مَجَازَ؟ ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ حَكَاهَا حَفِيدُ السَّعدِ[2]، وَعلى كَوْنِهَا مِنَ المَجَازِ فَمَا عَلَاقَتُهَا؟ قَالَ المَولَى سَعدُ الدِّينِ[3]: "وَتَحقِيقُ العَلَاقَةِ في مَجَازِ المُشَاكَلَةِ مُشكِلٌ، ولَم يَظهَر بَينَ الطَّبخِ وَالخِيَاطَةِ عَلَاقَةٌ في قَولِهِ[4]: [٤/أ]

قَالُوا اقتَرَحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ اطبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيْصا

وَكَأَنَّهم جَعلُوا المُصَاحَبَةَ في الذِّكرِ عَلَاقَةً"[5].

وَتَعَقَّبَهُ الأَبهَرِيُّ[6] بِأَنَّ المُصَاحَبَةَ في الذِّكرِ لا تَصلُحُ أن تَكُونَ عَلَاقَةً؛ لأَنَّ حُصُولَهَا بَعدَ استِعمَالِ المَجَازِ، وَالعَلَاقَةُ يَجِبُ أن تَكَونَ حَاصِلَةً قَبْلَهُ؛ لِتُلَاحَظَ، فَيُستَعْمَلَ المَجَازُ.

وَيُجَابُ بِأَنَّ المُتَكَلِّمَ يُعَبِّرُ عَمَّا في نَفْسِهِ، فَلَا بُدَّ مِن مُلَاحَظَةِ المُصَاحَبَةِ في الذِّكرِ قَبلَ التَّعبِيرِ بِالمتَصَاحِبَينِ في المُشَاكَلَةِ التَّحقِيقِيَّةِ[7]، وَبِأَحَدِهِمَا في التَّقدِيرِيَّةِ[7]، فَالتَّحقِيقُ أَنَّهَا مَجَازٌ مُرسَلٌ عَلَاقَتُهَا

---

(١) أي إن الجزاء كان السيئة والاعتداء بجامع أنَّهما فعلان غير مرضيين عند الآخرين، فاستعير اسماهما له.

(٢) أحمد بن يحيى التّفتازانيّ الهرويّ، شيخ الإسلام، من فقهاء الشّافعيّة، ويعرف بحفيد السّعد التّفتازانيّ، كان قاضي هراة مدة ثلاثين عامًا، من مؤلفاته مجموعة سميت "الدّرّ النّضيد في مجموعة الحفيد"، في العلوم الشّرعية والعربيّة، وحاشية على شرح التّلخيص، والفوائد والفرائد في الحديث، وشرح تهذيب المنطق، توفي سنة (٩١٦هـ).

تُنظر ترجمته في: الأعلام، ١: ٢٧٠؛معجم المؤلّفين، عمر كحالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط،د.ت)١: ٣٢٥.

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التّفتازانيّ، عالم بالعربيّة والكلام والأصول والمنطق، من مصنفاته: المطوّل، شرح تلخيص المفتاح، حاشية التّلويح على التّوضيح في الأصول، تهذيب المنطق والكلام، حواشي الكشاف، توفي سنة (٧٩١هـ).

تُنظر ترجمته في: بغية الوعاة، ٢: ٢٨٥؛ شذرات الذّهب، ٨: ٥٤٧.

(٤) نُسب إلى أبي الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكيّ، والشاهد أنه شبه الخياطة بالطبخ.

يُنظر: معاهد التّنصيص شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (بيروت: عالم الكتب، د.ط، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) ٢: ٢٥٢.

(٥) شرح مختصر المنتهى الأصولي، ١: ٥٣٧.

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر الأبهريّ الكبير، ألف كتبًا كثيرة، منها: شرح المختصر الكبير والصّغير لابن عبد الحكم، وكتاب في أصول الفقه، وإجماع أهل المدينة، توفي سنة (٣٧٥هـ).

تُنظر ترجمته في: طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الرائد العربي، د.ط، د.ت) ١٦٧؛تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ٢٦: ٥٨٠-٥٨٢.

(٧) هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.يُنظر:الكلّيات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ٨٤٣.

المُجَاوَرَةُ في الذِّكرِ كَمَا تَقَدَّمَ، قَالَهُ الكَمَالُ ابنُ أبِي شَرِيفٍ[1]. [2]

فَصْلٌ

لاَ يُقَالُ: قَد يَدخُلُ بَعضُ مَا سَبَقَ مِن بَعْضِ العَلاَقَاتِ في بَعضٍ، ألَا تَرَى أنَّ التَّعلُّقَ بِقِسمِيهِ المُتَقَدِّمِينِ دَخَلَ في اللاَزِمِيَّةِ وَالمَلْزُومِيَّةِ، وَالسَّبَبِيَّةَ دَخَلَتْ في المَلْزُومِيَّةِ، وَالمُسبَّبِيَّةَ دَخَلَتْ في اللاَزِمِيَّةِ، بَل غَالِبُ العَلاَقَاتِ لاَ يَخرُجُ عَن اللاَزِمِيَّةِ وَالمَلْزُومِيَّةِ؛ لأَنَّ المُرَادَ بِاللزُومِ وَلَو في العَادةِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: العِبْرَةُ بِمَا لاَحَظَهُ وَاعتَبَرَهُ المُتَكَلِّمُ عَلاَقَةً كَمَا هُو مُقَرَّرٌ عِندَهُم[3]، فَيُحتَمَلُ أنَّ الَّذيْ اعتَبَرَهُ المُتَكَلِّمُ عَلاَقَةَ إنَّمَا هُوَ التَّعلُّقُ لاَ اللاَزِمِيَّةُ وَالمَلْزُومِيَّةُ، وَأنَّ الذيْ اعتَبَرَهُ إنَّمَا هُوَ السَّبَبِيَّةُ لَا المَلْزُومِيَّةُ، وَالمُسَبِّبِيَّةُ لاَ اللاَزِمِيَّةُ، وَكَذَا يُقَالُ في غَيرِ ذَلِكَ، فَيَكُونُ ذَلكَ حَاصِلاً لَكِنَّهُ غَيرُ مَقصُودٍ، وَالعِبرَةُ بِالمَقصُودِ، على أنَّ بَعضَ ذَلكَ مُلاَحَظَته وَاعتِبَاره في الكَلِمَةِ التيْ لَم يُجعَل فيهَا عَلاَقَةٌ؛ بَعِيدَةٌ فَلَا يُلْتَفتُ إلَيهِ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَمَّا تَقَرَّرَ بِأَنَّهُ ينْبَغِي لِمَنْ قَرَّرَ لَفظَةً وَفِيْهَا عَلاَقَتَانِ قَرِيبَتَانِ أن يَقُولَ: العَلاَقَةُ لِتِلكَ اللفظَةِ إمَّا هَذِهِ، أو هَذِهِ، أو هُمَا، إذ

---

(١) كمال الدّين بن أبي شريف، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي، فقيه من فقهاء الشّافعيّة، عالم بالأصول، مفسّر، متكلّم، أشهر مؤلفاته: الإسعاد بشرح الإرشاد، والتّاج والإكليل على أنوار التّنزيل، والدّرر اللوامع بتحرير شرح جمع الجوامع، توفي سنة (٩٠٦ه).

تُنظر ترجمته في: الكواكب السّائرة، ١: ٩-١١؛ شذرات الذّهب، ١٠: ٤٣، ٤٤.

(٢) لا يرى ابن يعقوب المغربيّ اندراج المشاكلة في باب المجاز اللغويّ، ذلك أن المجاز لا بدّ فيه من علاقة مصححة لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له، وإذا بحثنا في المشاكلة عن العلاقة التي جوّزت النّقل، وجدنا أنهّا وقوع اللفظ الثّاني في صحبة اللفظ الأوّل حقيقةً أو تقديرًا، والوقوع ليس معدودًا ضمن علاقات المجاز المتعارف عليه، فلا تكون المشاكلة من باب المجاز، وإذا كانت المشاكلة لا تدخل في باب الحقيقة، فإنه يرى أنّ المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز؛ قال: "والتّحقيق أنّ المشاكلة من حيث هي مشاكلة ليست حقيقة، ولا مجازًا؛ لأنّها مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما، ولو كان نحو هذا القدر يكفي في التّجوّز؛ لصحّ التّجوّز في نحو قولنا: جاء زيد وعمرو، بأن يقال: جاء زيد وزيد، مرادًا به عمرو، لوقوعه في صحبة الغير ولا يصحّ، بل المشاكلة أن يعدل عن لفظ المعنى إلى لفظ غيره في أماكن يستظرف فيها ذلك". مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربيّ، أحمد بن محمد، تحقيق: خليل إبراهيم خليل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣) ٢: ٥٠٥.

(٣) قال البصريّ: "وَأمّا الْبَيَان الَّذِي لَا يخْتل وَلَيْسَ هُوَ بتعليل فضربان: أحدهمَا أن يكون الْخطاب أمرًا بِشَيْء، فَيعلم وجوب مَا لَا يتم إلَّا بِهِ، لما تقرر في الْعقل أن وجوب الشَّيْء يتبعهُ وجوب مَا لَا يتم إلَّا بِهِ، وَإِلَّا كَانَ إيجَابًا لما لَا يُطَاق، وَلِهَذَا يعلم كل عَاقل أن أمر السَّيِّد غُلَامه بِشَري اللَّحْم من السُّوق، يدل على وجوب مَشْيه إلى السُّوق، وَالْآخر أن يظْهر في الْعقل كَون ظَاهر الْخطاب غير مُرَاد، وَيعلم بِالْعَادَةِ أنه مُسْتَعْمل في وَجه من وُجُوه الْمجَاز، فَيعلم أنه مُرَاد الْمُتَكَلّم". المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي البصريّ تحقيق: محمد حميد الله (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، د.ط، ١٣٨٤ه/١٩٦٤م) ١: ٣٢٢.

لَا مَانِعَ مِن مُلَاحَظَةِ وَاعتِبَارِ عَلَاقَتَينِ في الاستِعمَالِ، نَعم إن عَيَّنَ المُتَكَلِّمِ شَيئًا فَإنَّهُ لَا يَعْدِلُ عَنهُ؛ لأَنَّهُ هُوَ المُعْتبرُ دُونَ غَيرِهِ كَمَا اتَّضَحَ لَكَ[1]، فَتَفَطَّنْ، وَاللهُ أعْلَمُ.

فَصْلٌ

قَد تَبَيَّنَ لَكَ أنَّ عَلَاقَاتِ المَجَازِ المرسَلِ إحدَى وَعشْرُونَ عَلَاقَةَ فَقَط، وَأَنَّ مَا زَادَهُ بَعْضُهُم مِن المُشَابَهَةِ في الشَّكلِ، وَالنَّكرَةِ في الإثبَاتِ، فَقَد عَلِمْتَ رَدَّ الأُولَى في بَابِ عَلَاقَةِ الاستِعَارَةِ، وَعَلِمْتَ رَدَّ الثَّانِيةِ في بَحْثِ عَلَاقةِ الخُصُوصِ، فَرَاجِعْهُ.

أمَّا الحَذفُ والزِّيَادَةُ بِقِسمَيهَا فَلَيسَتَا مِن المَجَازِ المُرسَلِ أصلاً، بَل لَيسَتَا مِن المَجَازِ بِالمَعنَى المُتَعَارَفِ، بِل بِمَعنَى مُطلَقِ التَّوسُّعِ، وَلَنَذكُر لَكَ مَبْحَثَ هَذَا المَجَازِ، أعنِي مَجَازَ الحَذفِ وَالزِّيَادَةِ تَتمِيمًا لِلفَائِدَةِ فَنَقُول:

بَابٌ

قَالَ السَّعدُ وَغَيرُهُ: "لَفظُ المَجَازِ يُطلَقُ بِالاشتِرَاكِ اللَّفظِيِّ - أو بِطَرِيقِ التَّشَابُهِ؛ على مَا ذَكَرَ في المُفتَاحِ[2] - على المَجَازِ المُتَعَارَفِ، وَعلى المَجَازَ بِالزِّيَادَةِ وَالحَذفِ"[3].

وَعَرَّفَهُ صَاحِبُ "التَّلخِيصِ" بِأَنَّهُ كَلِمَةٌ تَغَيَّرَ إعرَابُهَا بِزِيَادَةِ حَرفٍ أو مُضَافٍ، أو نَقصٍ كَذَلِكَ[4].

---

(١) قال السّبكيّ: "فاعلم أنَّ في كلّ من المجاز والكناية انتقالاً. والانتقال تارة نعني به انتقال المتكلِّم عن لفظ إلى لفظ لانتقال ذهنه إليه، وتارة نعني به انتقال ذهن السّامع من اللفظ المستعمل إلى غيره، فإن أردت الأوّل فالمتكلِّم إذا أراد الإخبار بمعنى، فقد ينتقل ذهنه إلى ملزومه، فيستعمل لفظ الملزوم في اللازم، كقولك: رأيت بحرًا ماشيًا؛ تريد كريمًا، وقد ينتقل ذهنه إلى استعمال اللازم مريدًا به الملزوم كقولك: كثير الرماد؛ مريدًا الكرم، وإن أردت انتقال ذهن السامع، فالحال بالعكس، فالانتقال في المثال الأول من الملزوم إلى اللازم، وفي المثال الثاني من اللازم إلى الملزوم، فظهر أن المجاز يحصل فيه تارة الانتقال من اللازم إلى الملزوم، وتارة بالعكس، كقول العرب: رعينا غيثًا، فيطلق الملزوم على اللازم، وأمطرت السماء نباتًا، يطلق اللازم على الملزوم، ويدل على ذلك أن من علاقات المجاز إطلاق المسبَّب على السبب وعكسه، والمتعلَّق على المتعلَّق وعكسه، والجزء على الكل وعكسه، وكل من الجزء والمسبب والمتعلق لازم للكل والسبب والمتعلق". عروس الأفراح، ٢: ١٥.

(٢) قال السّكاكيّ: "من فصول المجاز في المجاز اللغويّ الرّاجع على حكم الكلمة في الكلام هو عند السّلف رحمهم الله أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصليّ إلى غيره، كما في قوله علت كلمته: ﴿وجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر ٢٢] فالأصل: وجاء أمر ربك، فالحكم الأصليّ في الكلام لقوله: (ربك) هو الجرّ، وأمّا الرّفع فمجاز، وفي قوله: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢] والأصل: ﴿واسأل أهل القرية﴾، فالحكم الأصليّ للقرية في الكلام هو الجرّ، والنّصب مجاز، وفي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى ١١] فالأصل ليس مثله شيء، بنصب مثله، والجرّ مجاز، ومدار هذا النّوع على حرف واحد وهو أن تكتسي الكلمة حركة لأجل حذف كلمة لا بدّ من معناها أو لأجل إثبات كلمة مستغنى عنها استغناء واضحًا كالكاف في قوله عز اسمه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾". مفتاح العلوم، ٥٠٢.

(٣) مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازاني، مع حاشية محمود حسن (كراتشي: مكتبة البشرى، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ٢: ١٨٧.

(٤) قال القزوينيّ: "وقد يطلق المجاز على كلمةٍ تغيَّرَ حكمُ إعرابها بحذف لفظٍ أو زيادة لفظٍ"، التلخيص، ٣٣٦.

مَثَالُ الأَوَّلِ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]، أي: لَيسَ مِثْله شَيء، وَإلا فَهِي بِمَعنَى: مِثل، فَيَكُونُ لَه تَعَالَى مِثْلٌ، وَهُوَ مُحَالٌ، وَالقَصدُ بِذَلِكَ نَفيُهُ[1].

وَكَقولِهِ تَعَالَى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر ٤٦]، إذِ المُرَادُ نَفسُهُ، على أحِدِ الأَوجُهِ.

وَكَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَعلى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة ١٨٤]، إذِ المُرَادُ: لاَ يُطِيقُونَهُ، على أحَدِ الأَوجُهِ.

وَكَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف ٨٢]، فَالمُرَادُ: أهلُ القَريَةِ، على أحَدِ الوَجهِينِ مِن المَعْلُومَينِ مَمَّا مرَّ، وَقَد عَلِمتَ مِن التَّمثِيلِ لِهذَا المَجَازِ بِنَحو قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَعلى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أنَّ التَّعريفَ المارَّ غَيرُ جَامِعٍ، إذ لَم يَتَغيَّر هُنَا الإعرَابُ.

وَمِثلُ هَذَا المِثَالِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد ١]، إذ المُرَاد: أُقسِمُ بِرَبِّ هَذَا البَلَدِ، فَهُو مَجَازٌ بِالزِّيَادَةِ، وَلَم يَتَغَيَّر الإعرَابُ، فَلْيُتَأَمَّل.

تَنْبِيهٌ

ضَابِطُ هَذَا المَجَازِ أن يُلَاحَظَ الحَذفُ، وَتُلَاحَظَ الزِّيَادَةُ، وَتُستَعمَلَ الأَلفَاظُ في مَوضُوعِهَا، وَقَد عَلِمْتَ مِن ذَلِك أنَّ تَعبِيرَهَم بِالعَلَاقَةِ بِالنِّسبَةِ لِلزِّيَادَةِ وَالنَّقصِ في نَحو قَولِهم: لَا أُقسِمُ؛ مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ الزِّيَادَةُ مَثَلاً؛ تَسمُّحٌ، لأَنَّ العَلَاقَةَ الَّتي هِيَ مُنَاسَبَةٌ بَينَ الأَصلِيِّ وَالفَرعِيِّ لاَ تَصدُقُ عَلَيهِ، فَإنَّ اللفظَ لَم يَخْرُج عَن مَوضُوعِهِ بِاستِعمَالِهِ في غَيرِهِ[2]، فَافهَم، وَاللهُ أعْلَمُ.

(١) يُنظر: الإبهاج، ٣: ٧٨٢.

(٢) قال الجرجانيّ: "ولا ينبغي أن يقال: إنّ وجهَ المجاز في هذا، الحذفُ، فإنّ الحذفَ إذا تجرَّد عن تغيير حُكْم من أحكام ما بقي بعد الحذفِ لم يُسَمَّ مجازًا... وإذا صحَّ امتناعُ أن يكون مجرَّدُ الحذفِ مجازًا، أو تحِقَّ صفةُ باقي الكلام بالمجاز، من أجل حذفٍ كان على الإطلاق، دون أن يحدُث هناك بسبب ذلك الحذف تغيُّرُ حكمٍ على وجهٍ من الوجوه علمتَ منه أنّ الزّيادة في هذه القضية كالحذف". أسرار البلاغة، ٣١٦، ٣١٧.

وقال السّكاكيّ: "ورأيي في هذا النّوع أن يعدَّ ملحقًا بالمجاز ومشبَّهًا به لما بينهما من الشّبه، وهو اشتراكهما في التّعدي عن الأصل إلى غير أصل، لا أن يعدَّ مجازًا وبسبب هذا لم أذكر الحدَّ شاملاً له ولكن العهدة في ذلك على السّلف"، مفتاح العلوم، ٥٠٢.

وعلَّق الشّريف الجرجانيّ على كلامه: "وبيان النّظر أنّ الأصوليين بعدما عرّفوا المجاز بالمعنى المشهور، أوردوا في أمثلته المجاز بالزّيادة والنّقصان، ولم يذكروا أنّ للمجاز عندهم معنى آخر كما ذكره صاحب المفتاح ونسبه إلى السّلف، وزعم أنّ الأولى أن يعدَّ ملحقًا بالمجاز، فالمفهوم من كلامهم أنّ (القرية) مستعملة في (أهلها) مجازًا، ولم يريدوا بقولهم: إنّها مجاز بالنّقصان أنّ (الأهل) مضمر هناك مقدّر في نظم الكلام؛ فإنّ الإضمار يقابل المجاز عندهم، بل أرادوا أنّ أصل الكلام أن يقال: أهل القرية، فلما حذف (الأهل) استعمل (القرية) مجازًا، فهي مجاز بالمعنى المتعارف، وسبيله النّقصان، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشّورى ١١] مستعمل في معنى (المثل) مجازًا، وسبب هذا المجاز هو الزّيادة، إذ لو قيل: ليس مثله شيء لم يكن مجازًا". الحاشية على المطوّل، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: رشيد أعرضي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ٤٠١.

خَاتِمَةٌ نَسأَلُ اللهَ حُسنَهَا

مَا تَقَدَّمَ مِن [أنَّ][1] الكَافِ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى ١١] زَائِدَة، قَالَ شَيخُ الإسلَامِ: [٥/أ] "إنَّهُ رَأيُ كَثِيرِينَ[2]"، ثُمَّ قَالَ: "وَالتَّحقِيقُ كَمَا قَالَ التَّفتَازَانِيُّ وَغَيرُهُ: إنَّها لَيسَتْ زَائِدَةً وَلا يَلْزَمُ المحَالُ[3]؛ لِجَوازِ سَلبِ الشَّيءِ عَن المَعْدُومِ، كَسَلبِ الكِتَابَةِ عَن زَيدٍ المَعدُومِ، وَلِأَنَّ "المِثْلَ" يَأتِي بِمَعنَى "المَثَل" - بِفَتحَتَينِ - أي الصِّفَة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾ [الرعد ٣٥]، أي صِفَتُهَا، فَالمَعنَى: لَيسَ كَصِفَتِهِ شَيءٌ، وَلِأَنَّ ذَلِكَ مِن الكِنايَةِ التي هِي أبلَغُ مِن الصَّرِيحِ لِتَضَمُّنِهَا إثبَاتَ الشَّيءِ بِدَلِيلِهِ، كَمَا في قَولِهِم: مِثْلُكَ لَا يَبْخَلُ؛ إذ المَعنَى: مَن كَانَ مِثْلَكَ لَا يَبْخَلُ، فَكَيفَ أنتَ؟!

وَأيضًا مِثْلُ المَثَلِ مِثْلٌ، فَلَيزَم مَن نَفيِهِ نَفيَهُمَا.

وَأَيضًا "المَثَلُ" قَد يَأتِي بِمَعنَى النَّفْسِ، كَمَا قِيلَ بِهِ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَإنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة ١٣٧]، فَالمَعنَى هُنَا: لَيسَ مِثلَ نَفْسِهِ"[4]، فَتَلَخَّصَ لَنَا مِن ذَلِكَ مَع جَوَابِ الزِّيَادَةِ سِتَّة أجوبَةٍ:

أحَدُهَا بِمَنعِ لُزُومِ المحالِ المَذْكُورِ لِجَوازِ سَلبِ الشَّيءِ عَن المَعدُومِ، وَالخَمسَةُ الأُخرَى بِالتَّسلِيمِ[5]، وَاللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أعلَمُ.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) قال به كثير من النّحاة من مثل الأخفش وابن السّراج والفارسيّ وابن جني وابن مالك والرّضي وابنهشام.
يُنظر: معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق:هدى محمود قراعة (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ٢: ٥٢٣؛الأصول في النحو، ابن السراج محمد بن السري، تحقيق: عبد الحسين الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ١: ٢٩٤، ٤٣٨؛المسائل البغداديات، الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي (بغداد: مطبعة العاني، د.ط، د.ت) ٤٠٠؛ سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت) ١: ٢٩١؛ شرح التّسهيل، ابن مالك محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون (القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ٣: ١٧٠؛ شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الأستراباذي،تحقيق: يوسف حسن عمر (بنغازي: جامعة قار يونس، ط٢، ١٩٩٦) ٤: ٣٢٤، ٣٢٥؛مغني اللبيب، ٣: ١٩.

(٣) وهو إثبات المثل، إذ المعنى: ليس شيء مِثلَ مثلِه.

(٤) حاشية زكريا الأنصاري، ٢: ٣٣، ٣٤.

(٥) الأوّل أن (مثلاً) هي الزّائدة كما زيدت في: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُم بِهِ﴾[البقرة ١٣٧].
الثّاني أن (مثلاً) بمعنى الذّات، أي: ليس كذاته شيء.
الثّالث أن (مثلاً) بمعنى الصّفة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾[الرعد ٣٥] أي: ليس كمثل صفته تعالى شيء من الصّفات الّتي لغيره.
الرّابع أن تكون اسمًا بمعنى (مثل) من قبل التّوكيد اللفظيّ، وهو قول سيبويه، والزّمخشري.
الخامس أنّ الآية محمولة على المعنى الحقيقيّ لها، وذلك أنّ العرب تقول: مثلك لا يفعل كذا، يعنون المخاطب نفسه، لأنهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب فينفونها في اللفظ عن مثله فيثبت انتفاؤها عنه بدليلها.

قَالَ مُؤَلِّفُهَا: وَكَانَ الفَرَاغُ مِن رَقْمِهَا يَومَ الثُّلاثَاءِ المُبَارَكِ لِثِمانِي لَيَالٍ بَقَينَ مِن مُحرَّمِ الحَرَامِ، سَنَةَ سِتٍ وَسِتِّينِ وَمِئَةٍ وَأَلفٍ، وَكَانَ الفَرَاغُ مِن كِتَابَةِ هَذهِ النُّسخَةِ المُبَارَكَةِ لَيلَةَ الجُمُعَةِ غرَّة شَهرِ ذِي الحِجَةِ مِن شُهُورِ سَنَةِ ثَلاثَ وَثَمَانِينَ وَمِئَة وَأَلفٍ مِن الهِجرَةِ النَّبويَّةِ؛ على صَاحِبِهَا أفضَلُ الصَّلاةِ وَأَتَمُّ التَّسلِيمِ، وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم[1].

يُنظر: الكتاب، سيبويه عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ه/١٩٩٨م) ١: ٤٠٨؛ الكشّاف، ٥: ٣٩٨، ٣٩٩؛الجنى الدّاني في حروف المعاني، الحسن ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فضل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م) ٨٩-٩١؛ مغني اللبيب، ٣: ١٩-٢٧؛ الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السّمين الحلبيّ أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت) ٩: ٥٤٣-٥٤٧.

(١) في (ب): "كان الفراغ من كتابتها يوم السبت المبارك لتسعة أيام خلت من شهر ربيع الثاني سنة ألف ومئتين وأربعة وثمانين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، على يد كاتبها الفقير الحقير محمد بن أحمد حسنين البولاقي الشافعي حفه الله بلطفه والمسلمين، آمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى أله وأصحابه وأهل بيته الطاهرين، آمين، والحمد لله رب العالمين".

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الآيات البيّنات على شرح جمع الجوامع، أحمد بن قاسم العبادي، تحقيق: زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير علي بن محمد، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر (القاهرة؛ جدة: مطبعة المدني؛ دار المدني، د.ط، د.ت).
- الأصول في النحو، ابن السراج محمد بن السري، تحقيق: عبد الحسين الفتلي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- الأعلام، خير الدين الزركلي (بيروت: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢).
- أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، محمود أحمد الأطرش (بيروت: دار الرشيد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: أحمد جمال الزمزمي، نور الدين عبد الجبار صغيري (دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي (الرياض: دار الصميعي، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣).
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: محمد زهير الشاويش (بيروت؛ دمشق: المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق: عادل مرشد (عمَّان: دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- البحر المحيط، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، عمر سليمان الأشقر (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة دار التراث، د.ط، د.ت).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٧، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة عبد الله بن عبد المجيد، تحقيق: أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- تاج اللغة وصحاح العربيَّة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- التّحبير شرح التّحرير، علي بن سليمان المرداويّ، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، أحمد السراح (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع (القاهرة: مكتبة قرطبة، د. ط، د.ت).
- التّلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).
- جمع الجوامع، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- الجنى الدّاني في حروف المعاني، الحسن ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فضل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- حاشية زكريا الأنصاريّ على شرح الإمام المحليّ على جمع الجوامع، زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق: عبد الحفيظ الجزائريّ (الرياض: مكتبة الر شد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الحاشية على المطوّل، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: رشيد أعرضي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- حلية البشر في تاريخ القرن الثّالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار (دمشق، بيروت: مجمع اللغة العربية، دار صادر، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- الحماسة البصريَّة، علي بن أبي الفرج البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ط، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م).

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت).
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي (القاهرة: المطبعة الوهيبة، د.ط، ١٢٨٤هـ).
- الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السّمين الحلبيّ أحمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت).
- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمد معوّض، أحمد عادل عبد الموجود (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت).
- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدّعّاس، عادل السيد (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد عبد الحي بن أحمد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط (دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- شرح التّسهيل، ابن مالك محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون (القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر (بنغازي: جامعة قار يونس، ط٢، ١٩٩٦).
- شرح مختصر المنتهى الأصولي، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي [عليه حاشية التفتازاني]، تحقيق: محمد إسماعيل (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الرائد العربي، د.ط، د.ت).
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني (القاهرة: مطبعة المقتطف، د.ط، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م).
- عجائب الآثار في التّراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (القاهرة: دار الكتب والوثائق الرسمية، ط١، ١٩٩٨).
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي عبد الكبير الكتاني، اعتناء: حسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

- القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، محمد بن يعقوب الفيروز آباديّ (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٧٩، نسخة مصوَّرة عن الطَّبعة الثَّالثة للمطبعة الأميريَّة سنة ١١٣١هـ).
- الكتاب، سيبويه عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٩٨م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- كشف الأسرار عن أصول البزدوي، أحمد بن محمد البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقيا، رفعت بيلكه الكليسي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة، محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، تحقيق: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).
- المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت).
- مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازاني، مع حاشية محمود حسن (كراتشي: مكتبة البشرى، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- المسائل البغداديات، الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي (بغداد: مطبعة العاني، د.ط، د.ت).
- المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ (المدينة المنورة: د.ن، د.ط، د.ت).
- المطوَّل، مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
- معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق: هدى محمود قراعة (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- معاهد التّنصيص شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (بيروت: عالم الكتب، د.ط، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م).
- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي البصريّ تحقيق: محمد حميد الله (دمشق: المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، د.ط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
- معجم المؤلّفين، عمر كحالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت).
- معجم مصنفات الحنابلة، عبد الله الطّريفي (الرياض: د.ن، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، ابن الحاجب عثمان بن عمرو (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- منهاج الوصول إلى علم الأصول، عبد الله بن عمر البيضاويّ، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: أحمد صقر (القاهرة: دار المعارف، ط٤، د.ت).
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربيّ أحمد بن محمد، تحقيق: خليل إبراهيم خليل (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٣).
- نهاية السُّول في شرح منهاج الأصول، عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (القاهرة: عالم الكتب، د.ط، د.ت).
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة وكالة المعارف الجليلة في إستنبول، ١٩٥١).

Abstracts of Articles

An answer to the question of who solved the plague in their country by the scholar Abi Al-Abbas Ahmed bin Mubarak Al-Sijilmassi Al-Lamti (d. 1156 AH)

Ali Qasimi / Morocco

This is «an answer to the question of the occurrence of the plague in a country» as stated by fakih Ahmed bin Mubarak as a summary of what he stood on from what was written.

The Sijilmassi answered , abbreviated and fulfilled, because digging in Islamic jurisprudence requires logical competencies, linguistic, theological science.

Al-Kawakib Al-Dariyah in Metaphorical Relations

by Muhammad bin Ali Al-Sabban / Muhannad Omar Rana / Syria

The importance of this thesis is evident in that it dealt with a subject that few of his independent research was devoted to in one author, i.e. explaining metaphorical relationships, and that its author dealt with the issues of metaphorical relations in a manner that reveals many problems, with the emergence of his personality in discussing the opinions of scholars and weighting some of them, and rejecting others.

Historian Shaker Saber Al dhabit, and his approach to writing history

Samir Abdul Rasoul Al-Obaidi / Iraq

Various political, social and economic factors have led the Arab world in recent decades to increasing interest in " history" reading, interpreting, and writing, an interest that resulted from a general sense of the need to realize the roots of the general phenomenon in the life of the nation properly, amid an era characterized by the most complex and comprehensive social transformations.

Many of the convictions provided by these justifications, realizing that they were written according to concepts that were the product of an era that is no longer nowadays era, and therefore they lack the stability that generates a new conviction, Unlike the foreign historians who based their writings on the experiences of their own nations, or to serve certain political goals, as they generally do not represent it, and are not suitable for discovering its roots.

The historical thought in Iraq is an important element of the Arab-Islamic culture, and is closely related to the civilizational and cultural foundations of the history of Iraq and the Arab nation, as the civilizational prosperity witnessed by Iraq during the early Abbasid eras led to the emergence of important basic justifications for the emergence of many types of human and pure sciences, because the intellectual and civilizational needs of society require the emergence and emergence of that knowledge, which applies to this day people.

Camels in Andalusia

Prof. Abdel Salam Jamati / Morocco

Some scholars doubted the existence of the camel in Andalusia, or reduced the numbers inferred by it, to the extent that it made it similar to the palm in Andalusia, and that the camel product may have been limited to rare cases due to the lack of homogeneity of the Andalusian environment for this desert animal. However, we try in this study - by presenting and analyzing a set of data and references contained in the direct and buried historical sources of the Andalusian civilization - to review this unique historical specificity of Andalusia, through which we confirm the fact that this desert animal was there in a temperate and rainy geographical and climatic environment, in the far southwest of the European continent, by interrogating the texts we found on the history of camels in Andalusia.

Abstracts of Articles

Faslu khitab fi fawasil alali wa al kitab ((An objective and analytical study))

Suleiman Ayden / Turkey

This research enables reader to know the importance the Quranic commas and their meanings, wisdom and secrets, so it proves what was mentioned under the Qur'an commas in terms of sections, types, connotations and meanings in a form of investigations taking into consideration who preceded us and what Allah opened to us.

The literature of reading books in the Arab heritage

Islam bin Al-Sabti / Mauritania

The researcher finds in the Arabic manuscript, many poetic texts with a praise dimension for a large group of books of Arab culture, where they were read by well-known figures, and praised by others who did not stand on their names, and thus we have formed material for a topic that researchers did not take much care of, so I took it upon myself to study this rich topic, and present it to the reader, and unveil that great wealth, its language, meaning and style.

Narrating poetry from the point of view of literary criticism among the Arabs

Prof. Walid Ibrahim Al-Qassab / Saudi Arabia

The Arabs paid unparalleled attention to poetry, so they called for its preservation, narration, imitation, to which they return, and by which they are proud, and on its rule they descend, and to it they become.

Poetry, memorization, and imitation of poetry were cultures that no learner should be ignorant of.

The importance of this narration of poetry has been linked to the values of this art and to the various utilitarian functions it performs.

But the attitudes of critics varied, and their views differed from narrating the meanings that poetry may carry from which it smells of absurdity, madness, or disregard for faith and religion.

This section will stop at the issue of applied criticism among the Arabs, which is the position of narrating poetry."

INDEX

Editorial

"Thorough Care for Rare Manuscripts and Preservation of Cultural and Scientific Treasures"
Editing Secretary 4

Researches Titles:

Faslu khitab fi fawasil alali wa al kitab ((An objective and analytical study))
Dr. Suleiman Ayden 6

The literature of reading books in the Arab heritage
Dr. Islam bin Al-Sabti 49

Narrating poetry from the point of view of literary criticism among the Arabs
Prof. Walid Ibrahim Al-Qassab 71

Historian Shaker Saber Al dhabit, and his approach to writing history
Prof. Samir Abdul Rasoul Al-Obaidi 88

Camels in Andalusia
Prof. Abdel Salam Jamati 107

Manuscripts' Verification

An answer to the question of who solved the plague in their country by the scholar Abi Al-Abbas Ahmed bin Mubarak Al-Sijilmassi Al-Lamti (d. 1156 AH)
Ali Qasimi 127

Al-Kawakib Al-Dariyah in Metaphorical Relations" by Muhammad bin Ali Al-Sabban
Muhannad Omar Rana 153

Abstracts 194

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 32 : No. 122 - Dhu al-Qidah - 1444 A.H. - June 2023

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ - أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ - ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ - يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ - يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ - يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ - بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ - أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ - على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ - يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ - أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ - تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ - ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ - لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ - لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ - يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ - يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al-Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

Volume 32 : No. 122 - Dhu al-Qidah - 1444 A.H. - June 2023

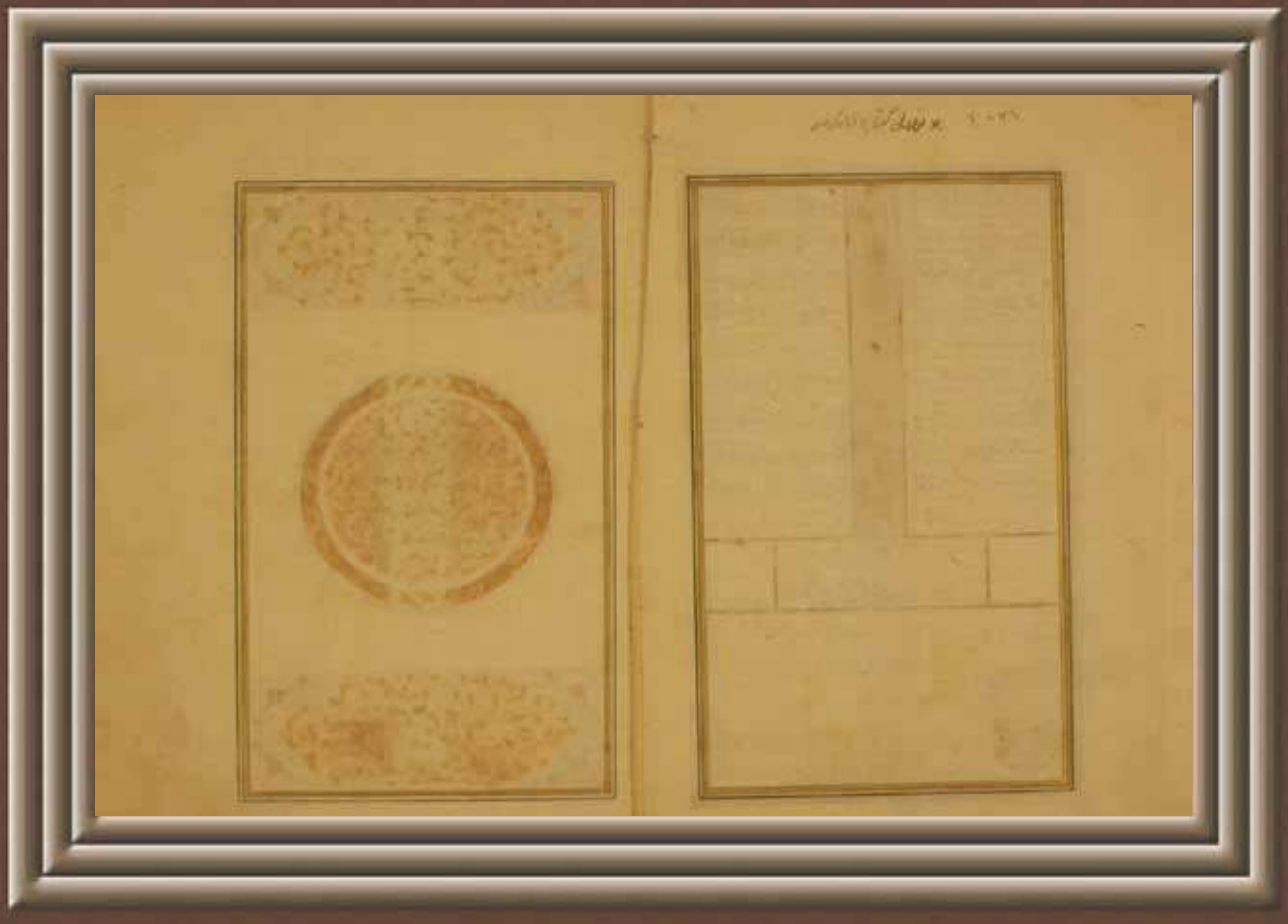

لامية العجم الطغرائي:

الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني مؤيد الدين، أبو إسماعيل ٥١٣ هـ مكتبة نور عثمانية

lamiat aleajam

altugharayiyu : alhusayn bin ealii bin muhamad al'asbhani muayid aldiyn , 'abu 'iismaeil 513 hu

maktabat nur euthmania

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage